





مـــركز الــدراسات الشرقيــة

ORIENTAL STUDIES CENTER

يهــود المغــرب

تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية

دكتور

أحمد الشحات هيكل

سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية

العدد (٣٥)

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

يهود المغرب

تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية

تأليف

د. أحمد الشحات هيكل

سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية

يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة

تحت إشراف أ.د/ أحمد محمود هويدى

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د علي عبد الرحمن يوسف

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د. عبد الله التطاوي

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

رقم الايداع	٢١٩٥٣ / ٢٠٠٧

مطبعة العمرانية للاوفست

ت : ٣٣٧٥٦٢٩٩

تقديم*

القارىء الكريم.....

يسر مركز الدراسات الشرقية أن يقدم إصداره الجديد فى إطار سلسلة الدراسات التاريخية والدينية ، وهذا الإصدار بعنوان " يهود المغرب وعلاقتهم بالصهيونية " . وهو تأليف الدكتور أحمد الشحات المدرس بكلية الآداب – جامعة حلوان .

من المعروف أن المجتمع الإسرائيلى يتكون من مجموعات عرقية وأثنية ودينية مختلفة، ويعتبر يهود المغرب أحد شرائح هذا المجتمع . ويهود المغرب مثل غيرهم من الجماعات اليهودية جاءت إلى إسرائيل وهى تحمل بين جنباتها مفاهيم اجتماعية مختلفة ومكونات ثقافية محلية، ومعتقدات دينية مغايرة لما هو سائد فى إسرائيل . ويهود المغرب مثلهم مثل كثير من الطوائف اليهودية السفاردية تعانى من التمييز الطائفى القائم على أسس أثنية وعرقية ، مما يؤكد وجود هوة واسعة بين اليهود السفاراد واليهود الإشكناز ، وهذه الهوة توضح لنا مظهر من مظاهر التناقض داخل المجتمع الإسرائيلى .

وقد عمدت المؤسسات الإسرائيلية الإشكنازية منذ تدفق هجرة اليهود السفاراد عامة ويهود المغرب خاصة إلى إسرائيل ، إلى اتباع عمليات التذويب القهرى والإجبار الثقافى فى محاولة جادة لنزعهم عن هويتهم الشرقية وسلخهم من ماضيهم ، وبذلك حكمت بالموت على الهوية اليهودية الشرقية ، ورأت أن يحل محلها الهوية الإسرائيلية الجديدة ذات الطابع العلمانى الغربى .

وأدى ذلك إلى وجود أزمة هوية لدى اليهودى الشرقى وهى ثمرة طبيعية للتمييز الطائفى والقمع الثقافى وصار اليهودى الشرقى يكتنفه إحساس مزدوج بالغربة الأولى تجاه مجتمعه الجديد فى إسرائيل ، والثانية تجاه هويته وثقافته الشرقية . ويكشف لنا الكتاب الذى نقدمه للقارئ بأن الصهيونية حاولت تحقيق أهدافها فى أن تصبح دولة إسرائيل بوتقة صهر ووطن لشتات اليهود ، ولكنها فشلت فى تحقيق هذا الهدف .

وقد قسم الباحث الكتاب إلى أربعة فصول . استعرض فى الفصل الأول الآراء حول بداية تواجد اليهود فى المغرب ، وقد حاول الفصل بين الرواية التاريخية الواقعية والروايات الشعبية الشفهية بهدف الوصول إلى دعم الروايات التاريخية ورفض المعتقدات الشعبية حول بداية وجود يهود المغرب . وخصص الفصل الثانى لدراسة واقع حياة يهود المغرب داخل المجتمع المغربى ، وذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين . فتناول فى هذا الفصل أوضاع اليهود

الاجتماعية وتحديد أماكن تواجدهم ودراسة أحوالهم المعيشية ومستواهم التعليمى ، ثم عرض لنشاط يهود المغرب الاقتصادى وأهم المهن التى مارسها يهود المغرب ،ثم عرض لأوضاعهم السياسية والقانونية والسمات الثقافية المميزة ليهود المغرب .

وجاء الفصل الثالث بعنوان " النشاط الصهيونى فى المغرب وعمليات تهجير اليهود إلى فلسطين (١٩٠٠ – ١٩٦٤) " . حيث أبرز تعاون يهود المغرب مع النشاط الصهيونى موضحًا أبرز القطاعات التى تعاطفت مع الفكرة الصهيونية وهدفها من تلك المشاركة ، ثم تناول فى هذا الفصل أيضًا مراحل عمليات تهجير يهود المغرب والأسباب التى لجبرت إسرائيل على استجلاب يهود المغرب .

وتناول فى الفصل الرابع أوضاع يهود المغرب فى إسرائيل خلال النصف الثانى من القرن العشرين . وقد حاول الباحث فى هذا الفصل رصد واقع يهود المغرب فى إسرائيل بعد هجرتهم مع مطلع الخمسينات من القرن الماضى . وقد ركز على مظاهر التمييز الطائفى فى كافة النواحى الحياتية – اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية – وغيرها من الإشكاليات التى تعانى منها الطائفة اليهودية المغربية داخل المجتمع الإسرائيلى . وتناول أيضًا العناصر الثقافية اليهودية المغربية التى حرص أبناء الطائفة اليهودية المغربية على اصطحابها معهم إلى إسرائيل .

والمركز إذ يشكر جهد الدكتور أحمد الشحات فى عرض تاريخ يهود المغرب وإشكالية دمجهم فى المجتمع الإسرائيلى يدعو جميع الباحثين إلى دراسة أوضاع بقية الطوائف اليهودية الشرقية فى إسرائيل .

ونرجو أن يستفاد من هذا الكتاب المتخصصون فى دراسة أوضاع الأقليات فى المجتمع الإسرائيلى ، تاريخيًا وثقافيًا واجتماعيًا .

والله من وراء القصد

أ.د. أحمد محمود هويدى

قائم بأعمال مدير مركز الدراسات الشرقية

المقدمة

ما أن بزغت شمس القرن العشرين إلا وترافقت معها موجات متتالية من الهجرات اليهودية من مختلف أرجاء المعمورة، وهم يحدوهم الأمل في مستقبل مشرق في أرض الميعاد المقدسة. وقد جاءت تلك الطوائف اليهودية إلى فلسطين وهي تحمل بين جنباتها مفاهيمًا اجتماعية متباينة، ومكونات ثقافية شديدة المحلية، ومعتقدات دينية متناقضة، لدرجة أن كل طائفة منها يمكن أن تشكل جماعة يهودية قائمة بذاتها منفصلة عن باقي الطوائف اليهودية الأخرى.

ونظرًا لأن المجتمع الإسرائيلي، هو مجتمع مهاجرين فقد كان لابد، بطبيعة الحال، من حدوث صدام بين الجماعات المهاجرة إليه. وكان التقاء كل من الثقافة اليهودية الشرقية بالثقافة الغربية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي، أحد أبرز معالم هذا "الصدام الثقافي"، أو بالأحرى "القمع الثقافي". فقد تكشف فجأة لأبناء الطوائف اليهودية السفارادية أن ثقافتهم اليهودية الشرقية شكلت حاجزًا بينهم وبين المجتمع الجديد، فهي تثير الاحتقار والعداء، كما أن حاملي هذه الثقافة يوصفون بأنهم أقل شأنًا وغرباء على المجتمع الجديد، فظهر لديهم ما عرف باسم "أزمة الهوية "وهي الثمرة الطبيعية لهذا التمييز الطائفي والقمع الثقافي.

ونتجت عن الأساليب القمعية التي انتهجتها إسرائيل، ومن ورائها الحركة الصهيونية، من أجل صهر الفروق الثقافية للجماعات اليهودية المهاجرة إليها، آثارًا عكسية أثرت بالسلب على جموع الطوائف اليهودية السفارادية؛ أصبحوا بسببها مسوخًا بلا ملامح، بعد تجريدهم من سماتهم اليهودية الشرقية، وإجبارهم على تبني ثقافة غربية لا تعبر عنهم ولا تتوافق مع طبيعتهم، وأخذت تلازمهم بعض المشاعر التي لازمت اليهودي الجيتوي من الإحساس بالغربة، والشتات، والدونية، وكراهية الذات واحتقار البيئة التي نشأ فيها والنفور من العادات والتقاليد التي تربي عليها لما تحمله من جهل وخنوع – وفقًا للزعم الإشكنازي.

وكأنما كان لزامًا علي اليهودي السفارادي في إسرائيل أن يمر بجميع المراحل التي مر بها اليهودي الجيتوي في شرق أوروبا، كشرط رئيس لقبوله واستيعابه داخل المجتمع الإسرائيلي؛ ومن هنا نشأ جيل من اليهود السفارديم يعاني من الخواء النفسي والازدواج الثقافي.

وترافق هذا مع ألوان من التمييز الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على خلفيات طائفية؛ وهكذا، أفاق اليهود "السفاراديم " من حلم الأرض التي تفيض "لبنًا وعسلاً "، ذلك الحلم الخيالي الذي روجت له الحركة الصهيونية، على واقع مرير أشبه بالكابوس، واقع تحول فيه اللبن والعسل إلى أراضي وعرة وأكواخ ضيقة من الصفيح تفتقد للحد الأدنى من أساسيات العيش البشري، وأقصى ما استطاعت أن توفره لهم الحكومة الإسرائيلية هو إلحاقهم بما يسمى "أعمال الطوارئ" وهي أعمال شاقة مهينة كما أنها مؤقتة، التي لا تمكنهم من العيش في حياة كريمة.

كل هذا وغيره الكثير يدحض الادعاءات الكاذبة، التي طالما تشدقت بها وسائل الإعلام اليهودية والإسرائيلية، بأن إسرائيل هي "واحة الديموقراطية" و"النموذج المثالي لاحترام حقوق الإنسان" وسط بحر عربي هائج من الديكتاتورية والاضطهاد والقمع" !!! فما هذه الادعاءات المغلوطة إلا محاولة رديئة لتجميل وجه إسرائيل القبيح.

وتعد التجربة المريرة التي خاضتها الطائفة اليهودية المغربية مع الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل نموذجًا واقعيًا على فشل الحركة الصهيونية في تحقيق الأهداف المرجوة من وراء إقامة دولة لليهود، ومن جانب آخر برهانًا جليًا على ما يعانيه أبناء الطوائف اليهودية السفارادية من تمييز اجتماعي وقهر حضاري داخل المجتمع الإسرائيلي.

وعلى ذلك، فإن دراسة هذه الطائفة تساعد، بلا شك، على استكمال سلسلة الدراسات السابقة التي عنيت باليهود السفاراديم؛ بما سيمكن من رسم صورة واضحة المعالم للمجتمع الإسرائيلي، وإلقاء الضوء على الجوانب المظلمة التي تحرص الدوائر الرسمية الإسرائيلية على إخفائها.

ولذلك، فقد عمدت الدراسة إلى سبر أغوار الواقع الاجتماعي والثقافي ليهود المغرب بدءًا من مرحلة ما قبل الهجرة إلى فلسطين، مركزة الضوء حول حقيقة علاقة يهود المغرب بالنشاط الصهيوني ومراحل عمليات تهجيرهم إلى إسرائيل، ثم عرجت بعد ذلك على أوضاعهم داخل المجتمع الإسرائيلي؛ لتكوين خلفية واضحة حول هذه الطائفة. وأرجو من الله أن تكون هذه الدراسة إسهامًا جادًا للمكتبة العربية.

******

وختامًا أتقدم بجزيل الامتنان والعرفان لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ رشاد عبد الله الشامي، فقد كان لتوجيهاته العلمية المتميزة ولنصائحه السديدة ولصبره الذي لا ينفد ولعلمه الذي لا ينضب الفضل الكبير في تقدم الدراسة، أسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويجزيه عني خير الجزاء.

ويشرفني أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ محمد محمود أبو غدير وإلى الأستاذ الدكتور/ أحمد محمود هويدي، اللذين أمدا لي يد العون والنصح والإرشاد، وكان لهما الدور الفاعل في إنجاز هذه الدراسة وخروجها بصورة لائقة، أسأل الله العظيم أن يجزيهما عني الجزاء الأوفى.

والله ولي التوفيق ،،

د. أحمد الشحات هيكل

الفصل الأول
بداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا

عولت الكثير من المصادر المُختلفة على ما هو شائع في أوساط يهود شمال إفريقيا من الحكايات والمعتقدات الشعبية المتواترة، التي لا تستند إلى أية أدلة تاريخية صحيحة، لتأصيل بدايات التواجد اليهودي في بلاد شمال إفريقيا، بينما عمدت بعض المصادر الأخرى إلى الخلط بين تلك المرويات الشفهية الشعبية وبين الافتراضات التاريخية؛ وعلى ذلك توصلت معظم هذه المصادر إلى نتيجة مفادها أن بداية التواجد اليهودي في هذه المنطقة يعود لفجر التاريخ البشري، وأن اليهود هم أول من ضربوا بجذورهم الاستيطانية في منطقة شمال إفريقيا.

لذلك فمن الأفضل الفصل بين الافتراضات التي تستند للحكايات والمرويات الشعبية الشائعة بين يهود المنطقة وبين الافتراضات التاريخية؛ لمحاولة وضع أفضل الافتراضات التاريخية وأقربها للواقع، لأنها قضية لا تزال بحاجة لمزيد من البحث والتدقيق.

(أولاً): بداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا في المعتقدات الشعبية اليهودية

شاعت الكثير من الحكايات الشعبية في أوساط يهود بلاد شمال إفريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر والمغرب)، التي تتحدث عن وجود علاقات قديمة واتصالات عديدة بين بني إسرائيل وبين هذه المنطقة، دارت أحداثها في فترات قديمة جدًا من فجر التاريخ. تحدثت هذه الحكايات عن الزيارات التي قام بها "موسى"(عليه السلام)، و"يشوع بن نون"(عليه السلام) و"يوآب" قائد جيش الملك "داود"(عليه السلام) لهذه المنطقة، كما حددت أماكن دفن بعض الشخصيات التوراتية المهمة في هذه المنطقة، مثل "يشوع بن نون" والنبي "دانيال"(عليه السلام).

(١) رحلة "موسى" و"يشوع" إلى شمال إفريقيا:

تذكر الحكاية أن "موسى" قلق علي حميه "يثرو" الذي اختفي من المنزل، فجاءت الأخبار لموسى من السماء أن يثرو ذهب إلي المكان الذي توجد به عين الحياة، التي تمنح الخلود لمن يشرب منها، وأنها توجد عند مجمع البحرين "البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي". وأمرَ

"موسى" أن يحمل معه سلة بها سمكة، قاصدًا هذا المكان، وعلامة هذا المكان، هو نزول السمكة إلى الماء. وامتثل "موسى" لكل هذه الأوامر، وقال "موسى" لخادمه "يشوع" الذي يرافقه: " لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا"(الكهف الآية ٦٠). ولذا يسيران على طول ساحل البحر المتوسط حتى وصلا إلى صخرة، وهناك نام "موسى"، وفي هذه الأثناء قفزت السمكة إلى الماء، ونسي "يشوع" أن يخبر "موسى" بذلك. ثم قاما وواصلا المسير، وعندما حان وقت الراحة وتناول طعام الغداء تذكر "يشوع" ما حدث للسمكة " فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)" (الكهف الآيات ٦٢- ٦٤)، حتى وصلا إلى الصخرة التي قفزت عندها السمكة إلى الماء. وتوجد هذه الصخرة على الطريق المؤدي من ندروما إلى نمور بالقرب من مدينة تلمسان في الجزائر على مقربة من الحدود المغربية الجزائرية(١).

ومن الجدير بالذكر أنه هذه الحكاية قد وردت بالسياق ذاته في أكثر من مصدر وبلغات متنوعة (٢).

من الملاحظ أن المصدر العبري الذي أورد هذه القصة قد استشهد بالآيات القرآنية ليدلل على صحة القصة، دون أن يرجع إلى أي مصدر من مصادر التراث اليهودي، مما يؤكد بقوة أن هذه القصة نشأت نتيجة التواجد اليهودي في أوساط المجتمع الإسلامي، حيث أعادوا سرد القصص القرآني مضيفين إليها بعض الملامح الأسطورية القديمة(مثل سعي "يثرو" ومن ورائه نبي الله "موسى" للبحث عن عين ماء تمنح حياة الخلود)، وعدلوا فيها بما يتمشى مع تقاليدهم وعاداتهم ولخدمة أغراضهم (فلم يكن "يثرو" هو من ذهب "موسى" للقائه).

هناك احتمال بسيط يقوض زعمهم هذا، وينفي ذهاب "موسى" أو خادمه "يشوع" إلى هذه المنطقة، وهو أن المقصود "بمجمع البحرين" هو التقاء خليج العقبة بخليج السويس، أو التقاء أحد فروع النيل السبعة القديمة بالبحر الأبيض في دلتا النيل(٣).

وليس من المعقول أن يسير "موسى" من أرض مديان- حيث كان يقيم "موسى" بعد أن فر من بطش فرعون لأنه قتل رجلاً مصريًا " فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان "(سفر الخروج ص ٢ : ع ١٥)- إلى أقصى بلاد المغرب مجتازًا الأراضي المصرية وهو مطلوب القبض عليه من قبل فرعون. كما أن التوراة تذكر أن أول خروج لموسى من أرض مديان كان إلى مصر (الخروج ص٤ : ع١٨-١٩).

ومن المعروف من التوراة أن "يثرو" لـم يترك مديان إلا عندما خرج "موسى" ببني إسرائيل من مصر وجاء بهم إلى برية سيناء (الخروج ص ١٨ : ع١-٧). وكل هذه القرائن تدحض ما يزعمه اليهود من أن نبي الله موسى قد زار هذه المنطقة.

(٢) قبر يشوع بن نون:

واستمرارًا لرحلة "موسى" في شمال إفريقيا، تذكر الحكايات أن يشوع تـوفي خـلال هـذه الرحلة، ودفن في أرض بني مَنِير. بالقرب من ندروما. ويطلق السكان المحليون على هذا القبر اسم قبر "سيدي يشوع"، وهو يحظى بتقدير واحترام جميع السكان مسلمين كـانوا أو يهـودًا، ويذهب الكثيرون لزيارته. ويذكر أيضًا أن المسلمين أقاموا مسجدًا على هذا القبر، وبالقرب منه يوجد قبر نون والد يشوع. وهناك العديد من الحكايات الشعبية تتحدث عن المعجزات الخارقـة التي قام بها أصحاب هذه الأضرحة مع سكان هذه المنطقة(٤).

وحتى اليوم يزعم سكان هذه المنطقة أن يشوع خاض حربًا هناك، وأن البربر عقدوا معـه حلفًا في منطقة ندروما(٥).

لكن كل هذا لا يستند إلى أي دليل تاريخي ويتعارض أيضًا مع ما ورد في التوراة: "وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئه وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمنه سَارَح (٦) التي في جبل افرايم شمالي جبل جاعش" (يشوع ص ٢٤ : ع ٢٩-٣٠).

(٣) يوآب بن صرويه:

يعد "يوآب بن صرويه" من أبرز الشخصيات التوراتية التـي نُسجت حولها بعض الحكايـات الشعبية المنتشرة في أوساط الجاليات اليهودية في بلاد شمال إفريقيا، ويعتمدون عليهـا فـي التدليل على قدم ارتباطهم بهذه المنطقة.

يقال إن "يوآب بن صرويه" قائد جيش الملك "داود" قام بمطاردة الفلسـطينيين والكنعـانيين حتى أطراف منطقة شمال إفريقيا (٧)، وذلك استنادًا لما جاء في العهد القديم: "فرجع يوآب وضرب أدوم في وادي الملح أثنى عشر ألفًا " (المزمور ٦٠ : ع ٢). وتذكر الروايات اليهودية أن "وادي الملح" -المذكور في المزمور ٦٠- يوجد في مدينة الجم، بين مدينتي صفاقس وسوسة، في منطقـة الساحل الشرقي لتونس. ومن هناك واصل "يوآب" السير مع جنوده حتى وصلوا إلـى سـاحل المـحيط الأطلنطي، عند مدينة فاس أو بالقرب من موجادير(٨) (الصويرة حاليًا)؛ ويدعي يهود

موجادير أنه تم العثور على خاتـــم ذهبـــي ليوآب بالقرب من مدينتهم. ويُذكر أيضًا أن "يوآب" قد وضع في الأماكن التي مر بها شواهد حجريه نقش عليها عبارات للذكرى مثل :" إلـــى هنـــا وصل يوآب قائد جيش الملك داود عند ضربه موآب والفلسطينيين"(٩).

تختلف الأقوال أيضًا حول الأماكن الأصلية التي وضعت فيها هذه الشواهد في بلاد المغرب، فيقال إنها وضعت بجزيرة جربة التونسية، وفي طنجة، وفاس، وفـــي وادي الدرعـــة أو فـــي التخوم الصحراوية المغربية، أي أن مراد هذه الشواهد الإشارة إلى المواضع التي وصل إليهـــا "يوآب"(١٠).

هذه الحكاية عن قيام "يوآب" بمطاردة بقايا العائلات الفلسطينية على طول ســـواحل شـــمال إفريقيا مخترقًا العديد من الإمبراطوريات العظمى آنذاك، مثل الدولة الفرعونية فـــي مصـــر، لا يتناسب مع حجم وقوة مملكة " داود "، فجيشه ليس بهذه القوة ليتخطى هذه البلاد.

كما يتضح أيضًا أن "وادي الملح" هذا لا يقع في شمال إفريقيا، بل هو يوجد في شـــمال وادي العربة الواقع بين البحر الميت ومدينة العقبة الأردنية (١١).

(٤) قبر النبي دانيال:

يُذكر أن قبر النبـــي دانيال يوجد في منطقة قريبة من مدينة سفرو الـــمجاورة لمدينة فاس المغربية، وقد تناقلت العديد من المصادر المتنوعة حكاية هذا القبر (١٢).

لكن مصير مثل هذه المرويات مثل ما سبقوها؛ فلا يوجد ما يؤكد صـــحتها، ســـواء علـــى مستوى الأحداث التاريخية المستقاة من العهد القديم أو على مستوى الاكتشافات الأثرية.

فمثل هذه الحكايات لا تستند إلى حقائق تاريخية، بل تتعـــارض مـــع الأحـــداث التاريخيـــة والاكتشافات الأثرية، وتتحرر من الكثير من القيود، خاصة قيود التـــاريخ. وتهـــدف الحكايـــات الشعبية والمرويات الشفهية إلى إضفاء نوع من التبجيل والتقدير للتواجد اليهودي فـــي هـــذه المنطقة عن طريق جعلها مسرحًا لأحداث مهمة، أبطالـــها من الشخصيات الدينية البارزة فـــي العهد القديم، وهذا يساعدهم في الاعتماد عليها لتدليل علـــى قـــدم علاقـــتهم بهـــذه المنطقـــة وبالتالـــي على قدم تواجدهم.

(ثانيًا): بداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا في الافتراضات التاريخية

وضعت بعض المصادر التاريخية مجموعة من الفرضيات للتأريخ لبداية التواجـــد اليهـــودي في شمال إفريقيا، ومن هذه الفرضيات، ما يلي:

(١) وصلوا برفقة الفينيقيين في عهد سليمان (القرن ١٠ ق.م):

من المعروف أن الفينيقيين كانوا على علاقات وطيدة مع ملوك بني إسرائيل وخاصة مع "سليمان"(ﷺ) (٩٦٠-٩٢٢ ق.م)، حيث ساعدوه في إقامة أسطوله التجاري وكان بعض من بحارة هذه السفن من الفينيقيين، فقد جاء في الملوك الأول(ص ٩: ع ٢٧): " فأرسل حيرام (ملك صور) في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان". وهكذا وصل عبيد "سليمان" إلى سواحل إفريقيا، برفقة الفينيقيين، وأقاموا هناك بصفة دائمة وكونوا بذلك أول تواجد يهودي في هذه المنطقة(١٣).

(٢) وصلوا في عهد مستعمرة قرطاجة (القرن ٩ ق.م):

انقسمت مملكة "سليمان" بعد وفاته إلى مملكتين: مملكة إسرائيل في الشمال تحت حكم "يروبعام بن نباط" وإلى مملكة يهوذا في الجنوب تحت حكم "رحبعام بن سليمان". وكانت هناك حالة حرب مستمرة بين المملكتين "وكانت حرب بين رحبعام ويروبعام كل الأيام "(الملوك الأول ص ١٤: ع ٣٠)، وجرت العديد من المعارك الحربية بينهم متفرقين أو مجتمعين من ناحية وبينهم وبين المصريين والآراميين والآشوريين من ناحية أخرى(١٤).

خلال هذه الفترة التي كانت تعاني فيها أرض كنعان من الاضطرابات والحروب المستمرة، ازدهرت مستعمرة قرطاجة التي أسسها الفينيقيون عام ٨١٤ ق.م تقريبًا، بالقرب من مدينة تونس حاليًا، مما دفع الكثيرين الذين يبحثون عن ملاذ آمن بعيدًا عن أرض كنعان، وخاصة أبناء الأسباط الشمالية: زفلون، ونفتالي وآشر، للانضمام للفينيقيين والانتقال لبلاد شمال إفريقيا. وقد جاء ما يؤيد ذلك في المدراش:" قال ربي شمعون بن جمليئيل: هاجر في البداية سبط زفلون وسبط نفتالي"، أي أن الأسباط الشمالية - جيران الفينيقيين - من أوائل الذين خرجوا من أرض كنعان(١٥).

يتناسب هذا مع ما جاء في بعض المصادر من أن يهود جبال الأطلس يرجعون بنسبهم ووجودهم إلى ما قبل الغزو البابلي ودمار الهيكل الأول، ويؤكدون أن أجدادهم لم يتم سبيهم إلى بابل(١٦).

ومن هذه الفرضية، يعتقد أغلب يهود المغرب الجنوبية، في منطقة جبال الأطلس، أنهم من سبط افرايم. بينما يرى يهود جزيرة جربة التونسية الأوائل أنهم من أبناء سبط زفلون، وأنهم

جاءوا في سفن ترشيش(١٧) الفينيقية(١٨). كما يشيع بين يهود جربة أنهم أقاموا معبدهم الكبير في عهد سليمان، علي حجر أخذوه من هيكل أورشليم (١٩).

وتنقسم المصادر حول هاتين الفرضيتين إلى ثلاثة فرق:

الفريق الأول: يرى أنه لا توجد أية نقوش مكتوبة أو شواهد أخرى تدل علي إقامة مستعمرات يهودية كاملة علي الشواطئ الإفريقية في عهد مدينات صور وصيدا؛ ويعد تاريخ تلك الفترة ضربًا من الأساطير (٢٠).

الفريق الثاني: يرى أنه من الناحية التاريخية، انضم مستوطنون من أسباط بني إسرائيل لمؤسسي مستعمرة قرطاجة "قرت حدشت" على سواحل إفريقيا، عندما سيطر الفينيقيون علي المكان، إلا أنه لا توجد في حوزتهم وثائق تثبت ذلك وتدعم موقفهم؛ ولذلك آثروا الاعتماد علي الروايات الشفهية وعلي الافتراضات التي يتوصل إليها الباحثون في هذا المجال(٢١).

الفريق الثالث: يرى أن بداية التوافد اليهودي على شمال إفريقيا بدأ في عهد مملكة إسرائيل الموحدة (١٠٠٠- ٩٢٢ ق.م)، خاصة في عهد سليمان (٩٦٠- ٩٢٢ق.م)، واستمر هذا التوافد حتى بعد انقسام المملكة واضطراب الأوضاع في أرض كنعان، وصنفوا دوافع الهجرة إلى ثلاث مجموعات:

(أ) دوافع تجارية(في عهد المملكة الموحدة): بدأت هذه الهجرات مع ازدياد النشاط التجاري نتيجة الصلات التي نشأت بين "داود" و"حيرام" ملك صور، التي توثقت من بعد بين "سليمان" و"حيرام" وكان النشاط التجاري المتصاعد يحمل التجار من بني إسرائيل على الاستيطان في بلاد أخرى وتشكيل الجاليات اليهودية بعيدًا عن أرض كنعان (٢٢).

(ب) دوافع سياسية واقتصادية-اختيارية (بعد انقسام المملكة): خاصة بعد موت "سليمان"، وانقسام المملكة إلى مملكتين متصارعتين، واضطراب الأوضاع وكثرة الحروب؛ لذلك آثروا النزوح التطوعي رغبة في الانفلات المبكر من هذا الجو الملبد في السامرة وأورشليم فراحوا يجربون حظهم بعيدًا عن أرض اللبن والعسل(٢٣).

(ج) دوافع عسكرية-قهرية (بعد انقسام المملكة): فاليهود الذين كانوا يقعون أسرى في أيدي أعدائهم في أوقات الحرب تعرضوا لواحد من مصيرين.. إما أن

يحتفظ الآسر بالأسير عبدًا لخدمته وأسرته، وإما أن يتنازل عنه بالهبة أو البيع إذ كانت النخاسة تجارة معروفة ورائجة منذ أقدم عصور التاريخ (٢٤).

وبناء على ذلك، لم يكن كل اليهود الأوائل قد جاءوا للمستعمرات الفينيقية برغبتهم، فالكثير منهم كانوا أسرى حرب، ويشير سفر عاموس(ص ١: ع ٩) إلى ذلك " هكذا قال الرب من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا أرجع عنهم لأنهم سلموا سبيًا كاملا إلى أدوم و لم يذكروا عهد الأخوة"(٢٥).

كل هذه النوى تشكل الأصول القديمة لنزوح اليهود عن أرض كنعان: النفي القهري، واسترقاق الحرب والنخاسة، والنزوح الاختياري لضروريات التجارة وأبواب الارتزاق الأخرى، الهروب المتأرجح بين القهر والاختيار تفاديًا للعقاب الفردي أو الجماعي من جانب السلطان المهيمن على الإقليم(٢٦).

(٣) فترة ما بعد دمار الهيكل الأول القرن ٦ ق.م:

ترى بعض المصادر أنه من العبث تحديد متى بالضبط تم تأسيس المستعمرات اليهودية الأولى في شمال إفريقيا، لكن المألوف أن المستعمرات المهمة الأولى قد أقيمت بعد دمار الهيكل الأول (٢٧).

هذه هي معظم الافتراضات التي جاءت حول بداية التواجد اليهودي في بلاد شمال إفريقيا، ومن الصواب أن نتعامل مع هذه الفرضيات بموضوعية بدون تهويل أو تهوين. فبداية التوافد اليهودي إلي هذه المنطقة، سواء في عهد مملكة "سليمان" أو بعد انقسامها، جاء في ركاب الفينيقيين وبأعداد محدودة جدًا؛ ولذلك فإن هذا التواجد- إن ثبت - لم يلعب دورًا فعالاً في المنطقة، ولم تكن لهم مستعمرات أو حتى تجمعات سكانية ذات شأن؛ وهذا هو السبب في عدم وجود آثار لهذا التواجد اليهودي في عهد الفينيقيين في منطقة شمال إفريقيا. وكان هذا التواجد يزداد بصورة طفيفة مع ازدياد موجات الاضطرابات والحروب في أرض كنعان خاصة بعد تدمير الهيكل الأول، ولكن هذا لم يُمَكّن اليهود من أن يكون لهم تأثير ملحوظ على مسرح الأحداث في تلك المنطقة؛ نظرًا لأعدادهم الضئيلة للغاية ولضعفهم الاقتصادي والحضاري.

ثالثًا: بداية استقرار التواجد اليهودي في بلاد المغرب

تزايد التواجد اليهودي في منطقة شمال إفريقيا كلما تزايدت موجة الاضطرابات والأزمات التي كانت تجتاح فلسطين، خاصة في أيام الحكم اليوناني، وقد تزايدت هذه الاضطرابات بصورة

كبيرة في فترة حكم " انطيوخوس الأول" (١٧٥- ١٦٤ ق.م)(٢٨). وكان المركز الرئيس لهذا التواجد في القرن ٢ق.م يوجد في منطقة برقة بشرق ليبيا، التي عرفت في المصادر القديمة باسم " Cyrenaeca -كرينيكا" وهو الاسم الذي عرفت به في المصادر العبرية(٢٩).

بعد دمار الهيكل الثاني ٧٠م على يد " تيتوس"، جاءت موجة جديدة من المهاجرين اليهود لشمال إفريقيا، أقام معظمهم عن طيب خاطر، وآخرون جيء بهم إلى هناك كأسرى حرب للعمل في المقاطعات الرومانية. وكان هناك مكان يقع إلى الجنوب الشرقي من طرابلس يعرف باسم "Scina -سكينى" يعتقد أنه إحدى المقاطعات التي كان يقيم فيه عبيد الإمبراطورية الرومانية(٣٠).

وفي العقد الثاني من القرن ٢م، وقع تمرد شمل أرجاء كبيرة من الإمبراطورية الرومانية، وقد اشترك اليهود فيه، واستمر من ١١٥م حتى ١١٧م، في النهاية نجح الرومان في قمع هذا التمرد بلا هوادة. وكان من نتيجة هذا؛ تدمير مراكز الجاليات اليهودية في مصر وليبيا لاشتراكهم في هذا التمرد، ومنذ ذلك الحين انتقل مركز التواجد اليهودي إلى الجزء الغربي من منطقة شمال إفريقيا، حيث فر العديد من اليهود إلى هناك وأقاموا في المدن الساحلية أو في المناطق الداخلية(٣١).

ويلاحظ أن المصادر المختلفة تحدثت عن وجود شواهد محلية حول التواجد اليهودي قبل منتصف القرن ٢م في المنطقة الغربية من بلاد شمال إفريقيا، ولكن هذه المصادر لم تتحدث تقريبًا بداية من هذه الفترة عن اليهود في شرق ليبيا. ولأن هذا الصمت لا يبرهن على انتهاء التواجد اليهودي في شرق ليبيا، كذلك فإننا لا يمكن أن نحدد بالضبط أنه قبل القرن ٢م لم يكن يوجد يهود في الجزء الغربي لشمال إفريقيا. وبداية من نهاية القرن ٢م، بدأت المصادر تتحدث عن حياة اليهود في هذه المنطقة، وتكشف لنا تجمعات ومناطق متفرقة يقيم فيها اليهود، سواء على طول المنطقة الساحلية أو في الداخل(٣٢).

وبدأت المكتشفات الأثرية تؤكد فرضية أن بداية التواجد اليهودي الحقيقي في المنطقة المغربية ترجع إلى نهايات القرن الثاني بعد الميلاد. ففي مدينة " وليلي" التي تقع بين مدينتي مكناس وفاس، وهى ترجع للعصر الروماني، تم العثور على بعض العبارات منحوتة على شاهد قبر بالخط العبري: "مترونا ابنه ربي يهودا لها السكينة"(٣٣) ويفترضون أنها ترجع للقرن ٣م، وفي خرائب هذه المدينة تم العثور أيضًا على شمعدان برونزي منقوش عليه صورة لشمعدان.

وفي منطقة طنجة تم العثور على أواني خزفية مرسوم عليها شمعدانات ذات سبعة عروش(٣٤).

وبناء على ذلك، فإنه يمكن القول إن بداية التواجد الفعلي لليهود في المنطقة المغربية بدأ مع بدايات القرن الثالث الميلادي، حيث أقام الوافدون الجدد في أوساط قبائل الأمازيغ "البربر" المنتشرة في مختلف ربوع بلاد المغرب، خاصة في المناطق الداخلية؛ وكان من نتيجة هذا أن تأثر يهود المغرب بكثير من العادات والتقاليد الأمازيغية وحمل تراثهم طابعًا أمازيغيًا واضحًا.

لكن هذه الفرضية لا تثبت حقًا تاريخيًا للاستيطان اليهودي في بلاد المغرب، خاصة إذا وضعنا في الحسبان فرضية أخرى – تحتاج لمزيد من المراجعة والتدقيق(٣٥)- تذهب إلى أن معظم يهود المغرب وبالتحديد اليهود الذين عاشوا في المناطق المغربية الداخلية هم من أصل أمازيغي، حيث تهودت الكثير من القبائل الأمازيغية مع الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، الذي بدأ في الربع الأخير من القرن السابع الميلادي واكتمل مع مطلع القرن الثامن الميلادي، وذلك رغبة منهم في الانطواء تحت مظلة التسامح الإسلامي مع أهل الذمة، وبذلك يمثل الأمازيغ العنصر الأثني الأساسي ليهود المغرب.

وقد أيد فرضية تهود الكثير من قبائل الأمازيغية الباحث اليهودي المغربي "حاييم الزعفراني(٣٦)" بقوله: " وقد أصبحت النظرية التي تفترض بأن جل اليهود المغاربة برابرة أصلا، والتي يقول بها بعض المؤرخين، متداولة ومسلمة ثابتة(٣٧).

الهوامش:

(١) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، إصدار وزارة التربية والتعليم، القدس، الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة، ١٩٧٤، (ص ٢٧)، [بالعبرية].

(٢) المرجع نفسه، (ص ٢٧ هامش رقم ٢، ٤)، ومن أبرز هذه المصادر، ما يلي:

- Basset , René , Nedromah et les Traras , Paris, 1901 ,(pp. 10-11) ; - Selections from the Koran, The Christian Literature Society for India, London and Madras, 1896, (p. 61).

(٣) حول هذه النقطة انظر: لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المجلد ٢، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، (ص ٨٩٨).

(٤) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٢٨).

(٥) ناتان شورافي، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، إصدار سفاريم عام عوفيد، تل أبيب، ١٩٧٥، (ص ٤١)، [بالعبرية].

(٦) تمنة سارح: يرجح أن تكون هي تمنه التي تقع على مسافة ١٢ ميلاً شمال شرقي مدينة اللد في إسرائيل(قاموس الكتاب المقدس، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م، ص ٢٢٣). وذكرت في سفر القضاة ص ٢: ع ٩ تمنة حيرس.

(٧) ناتان شورافي، مرجع سابق، (ص ٤١).

(٨) موجادير: تقع على الساحل المغربي المطل على المحيط الأطلنطي، وتعرف الآن باسم مدينة الصويرة.

(٩) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٢٩).

(١٠) حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، د. ن، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، (ص ٩).

(١١) الموسوعة المقرائية، مجلد ٢، إصدار موساد بيالك، القدس، ١٩٧٨، (ص ص ٤٧٩- ٤٨٠)، [بالعبرية].

(١٢) لمزيد من التفاصيل انظر: ح. ز. هيرشبرج، من بلاد الشرق، إصدار إدارة شئون الشباب التابعة للهستدروت الصهيوني العالمي، القدس، ١٩٥٧، (ص ٩٤)، [بالعبرية]؛ انظر أيضًا: أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٢٦ هامش ١)؛ Voinot ,L., Pélerinages Judeo-Musulmans du Maroc, Paris , 1948, (p. 51).

(١٣) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣١).

(١٤) لمزيد من التفاصيل انظر: محمود نعناعة، المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، الجزء الأول "من ظهور ابرام حتى سقوط يهوذا " مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م، (ص ص ٢٧١-٢٨١).

(١٥) لمزيد من التفاصيل انظر: أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ص ٣١- ٣٢).

(١٦) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط: الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦م، (ص٩٤).

(١٧) وردت سفن ترشيش في سفر إشعيا (ص ٢٣: ع ١) وهي سفن تتبع مدينة صيدا الفينيقية.

(١٨) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٢).

(١٩) ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٤١).

(٢٠)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٩).

(٢١) ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٣٧)؛ انظر أيضًا: أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ص ٣٣- ٣٤)؛ ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مجلد ١، إصدار موساد بيالك، القدس، ١٩٦٥، (ص ٢٤ في المقدمة)، [بالعبرية].

(٢٢) محمود نعناعة، مرجع سابق،(ص ص٢٩٦-٢٩٧)؛ انظر أيضًا: يحزقيئيل حدد، يهود البلاد العربية والإسلامية: التاريخ والمشاكل والحلول، تل أبيب، ١٩٨٣، (ص ص ٢٠- ٢١)، [بالعبرية].

(٢٣) محمود نعناعة، مرجع سابق، (ص ٢٩٧).

(٢٤) المرجع نفسه.

(٢٥) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٣).

(٢٦) محمود نعناعة، مرجع سابق، (ص ص٢٩٧-٢٩٨).

(٢٧) ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٤٠).

(٢٨) سلسلة اعرف شعبك، مدخل لتاريخ يهود المغرب، المركز الإعلامي، (ص ١)،[بالعبرية].

(٢٩) لمزيد من التفاصيل انظر: أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٤)؛ ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص ص ٥- ٦)؛ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ص٤١-٤٢).

(٣٠) ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص ٧).

(٣١) أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ص ٣٥- ٣٦)؛ انظر أيضًا:ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص 9)؛ ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ص ٤٣- ٤٤).

(٣٢) ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص ص ١٧- ١٨، ٢٦).

(٣٣)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٩).

(٣٤) ح. ز. هيرشبرج، تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص ٢٨).

(٣٥)وذلك للصعوبة المتعلقة بهذه الإشكالية "بسبب الطابع المتجزئ للكتب التاريخية التي تتناول تاريخ اليهود الأمازيغ. فنجد أن اليهود الذين يتكلمون بالدارجة ويعيشون في الحواضر، قد خلفوا وثائق عن تاريخهم وتاريخ علاقاتهم مع المحيط، وبالمقابل فإن المعطيات الخاصة بتاريخ اليهود الذين عاشوا في المناطق القروية قليلاً ما ترد

في وثائق مكتوبة لأنها شفوية لا تتداولها سوى الألسن. لكن المشكلة هنا تتمثل في اختلاطها بعدد من الأساطير والخرافات". انظر: رشيد نجيب سيفاو، اليهود الأمازيغ :تاريخ وحضارة، مجلة الأفق الأمازيغي، عدد ١٤ أبريل ٢٠٠٧: http://alofoq-alamazighi.maktoobblog.com/?post=282499

(٣٦) حاييم الزعفراني: أستاذ كرسي بجامعة السوربون، وهو رئيس شعبة اللغة العبرية، له العديد من المؤلفات، وعدد كبير من المقالات والدراسات حول الفكر اليهودي، واللهجات العبرية في المغرب.

(٣٧) حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٠).

الفصل الثاني
اليهود في المغرب خلال القرن العشرين

أولاً: الأوضاع الاجتماعية

قسمت الأراضي المغربية منذ بداية القرن العشرين إلى منطقتين رئيستين: تقـع المنطقـة الأولى، في الريف المغربي في الشمال على سواحل البحر المتوسط وسواحل المحيط الأطلنطي وتسمى المنطقة الأسبانية نظرًا لخضوعها لأسبانيا بعد توقيع معاهدة الحماية مع المغرب، فـي ١٢ نوفمبر ١٩١٢م، وتعرف أيضًا باسم المنطقة الخليفية؛ حيث كان يتم تعيين خليفة نيابة عن الملك إلى جوار المفوض العام الأسباني. وكانت مدينة طنجة منطقة دولية منذ عام ١٩٢٣م، ثم ضمتها أسبانيا لمنطقتها في عام ١٩٤٠م. والمنطقة الثانية، تمتد من جنوب منطقة الريف حتى المنطقة الصحراوية في أقصى الجنوب، وتعرف بالمنطقة الفرنسية؛ نظرًا لخضوع هذه المنطقة لسلطة الحماية الفرنسية بعد توقيع المغرب على معاهدة الحماية في مدينة فاس مع فرنسا فـي ٣٠ مارس ١٩١٢م. ورغم حصول المغرب على استقلالها عام ١٩٥٦م، إلا أنه ما تزال هناك بعض الجيوب الأسبانية حتى الآن ممثلة في مـدينتي سـبتة ومليلـة علـى سـواحل البحـر المتوسط(١).

(١) تطور تعداد يهود المغرب

قبل التعريج على الإحصائيات السكانية المختلفة لتعداد اليهود في المغرب، تجـدر الإشـارة إلى وجود تنوع أثني وثقافي بين يهود المغرب أنفسهم، فهناك يهود الداخل وجبـال الأطلـس وهؤلاء عاشوا في كنف القبائل الأمازيغية، بل أن بعض المصادر ترجع أصـولهم إلـى قبائـل أمازيغية متهودة، وهناك يهود الساحل، وهم اليهود السفارديم الذين توافدوا على المغرب بعـد سقوط دولة الأندلس و طرد المسلمين و اليهود منها، " وقد استقر هؤلاء بدايـة فـي المـدن الساحلية كالرباط و الصويرة و العرائش و القنيطرة و طنجة و تطوان و غيرهـا ثـم بـدءوا بالتنقل إلى مدن داخلية مثل فاس و مراكش و مكناس(٢)".

هذا وقد سار تعداد يهود المغرب في خط تصاعدي، وهذا واضح في مختلف الإحصاءات السكانية، ولم يحدث تدهور في عددهم إلا بعد بداية عمليات التهجير الجماعية إلى إسرائيل في العصر الحديث.

أجرت سلطات الحماية الفرنسية تعدادًا لسكان المغرب في المنطقة الفرنسية عام ١٩٣٦م، ونشرته في الصحيفة الرسمية الفرنسية في ١٤ من أكتوبر عام ١٩٣٨م، وجاء فيه أن إجمالي تعداد اليهود وقتئذ نحو ١٨٢ ألف نسمة. ومن الجدير بالذكر، أنه خلال عام ١٩٣٨م كان من الممكن إحصاء نحو ٢٠ ألف يهودي مغربي في المنطقة الأسبانية والدولية و ٨ آلاف يهودي من ذوي الجنسيات الأخرى(٣).

تزايد تعداد اليهود في المغرب، وفقًا لإحصاء ١٩٤٧م، إلى أن وصل إلى نحو ٢٠٣ ألف نسمة أي نحو٢,٣٥% من مجمل تعداد سكان المغرب في المنطقة الفرنسية (٤).

أما عدد يهود المنطقة الأسبانية فبلغ ٢٥ ألف نسمة، منهم ١٠ آلاف في طنجة والبقية في المنطقة الخليفية: ١٣ ألف و٦٦٧ نسمة بالمدن و ٥١٩ نسمة بين الريف والبادية(٥).

وفي عام ١٩٥٢م، بلغ تعداد يهود المغرب قرابة ٢٢٠ ألف نسمة [في جميع أراضي المغرب]، وتدهور هذا العدد تدريجيًا حتى وصل إلى ١٥٩ ألف و٨٠٦ نسمة عام ١٩٦٠م فسجل بذلك نقصًا تجاوز ٦٠ ألف نسمة أو ٢٥% من المجموع. وبلغت النسبة المئوية لليهود بالنسبة لمجموع السكان في المغرب نحو ٢,٣% عام ١٩٥٢م و١,٤% عام ١٩٦٠م(٦).

يرجع هذا التناقص في عدد اليهود إلى عمليات التهجير المحمومة إلى إسرائيل بالدرجة الأولى ولغيرها من دول أوروبا وأمريكا الشمالية اللاتينية، لكن يجب أن نضع في الحسبان أن هذا التناقص الآخذ في الزيادة كان يقابله زيادة في عدد المواليد لارتفاع نسبة الخصوبة بين يهود المغرب؛ الأمر الذي سوف يسبب مشاكل لأقرانهم الذين هاجروا لإسرائيل، مما أبطأ نوعًا ما من سرعة تقلص عدد أفراد الجالية اليهودية بالمغرب.

وقد بلغ متوسط عدد أفراد الأسرة اليهودية نحو ٤,٩٥ فردًا للأسرة وهي نسبة مرتفعة قليلاً عن نسبة الأسرة المسلمة بالمغرب التي تبلغ ٤,٨٩ فردًا (٧).

ووفقًا لتقدير زعماء الجاليات اليهودية، تراوح عدد اليهود بالمغرب بعد حرب ١٩٧٣م ما بين ٢٠ ألف نسمة و٢٥ ألف نسمة. كان يقيم منهم نحو ١٧ ألف نسمة في الدار البيضاء، والبقية مبعثرة في مدن أخرى مثل مراكش وكان بها نحو ٣ آلاف يهودي، وفي مكناس

١,٧٠٠ يهودي وفي فاس ألف يهودي، هذا بالإضافة إلى بضع مئات في مدن طنجة، وتطوان والصويرة(٨).

وفي عام ١٩٨٥م، لم يبق في المغرب إلا نحو ٢٠ ألف يهودي، طبقًا للكتاب السنوي الصادر في لندن عام ١٩٨٥م، بينما قدرت صحيفة "معاريف" الصادرة في ١٩٨٥/٣/٥م، عدد اليهود الباقين في المغرب بنحو ١٥ ألف يهودي(٩). بينما يبلغ تعداد اليهود المقيمين حاليًا[قبيل نهايات القرن العشرين] في المغرب أقل من ١٠ آلاف نسمة، لكنهم مازالوا يمثلون أهم مجموعة يهودية في العالم العربي(١٠).

ويفيد الإحصاء السكاني للمغرب، الذي أجرى في يوليو ٢٠٠١، أن نسب التقسيمات العرقية للسكان على النحو التالي: يُشكِّل العرب ـ البَربَر نسبة ٩٩,١%، من إجمالي عدد السكّان؛ واليَهود ٠,٢%؛ والعرقيات الأخرى ٠,٧%(١١).

وتؤكد إحصائيات نشرتها صحف مغربية في الآونة الأخيرة أن عدد اليهود الموجودين في المغرب حاليا لا يتجاوز ٤ آلاف نسمة(١٢).

(٢) **التوزيع الديموجرافي**

منذ منتصف القرن التاسع عشر، حدثت تغييرات في أماكن توزيع السكان اليهود داخل الأراضي المغربية؛ وذلك في إثر ازدياد النفوذ الأوروبي في المغرب، خاصة في المدن الساحلية التي تحولت لمراكز اقتصادية نشيطة جذبت إليها الكثير من اليهود الطامحين إلى تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، فأخذ اليهود يتدفقون من القرى الداخلية ومن جبال الأطلس إلى المدن الكبرى الرئيسة. ومع مطلع القرن العشرين، خاصة منذ فرض الحماية الفرنسية على المغرب عام ١٩١٢م، تركز معظم اليهود في المدن المغربية الكبرى.

يشير إحصاء عام ١٩٣٦م إلى أن أكثر من ثلثي يهود المغرب كانوا يقيمون في المراكز الكبرى، ويوضح الجدول التالي أبرز المدن المغربية التي أقام بها اليهود(١٣):

جدول رقم (١) "توزيع اليهود على المدن المغربية الكبرى في إحصاء ١٩٣٦م"

المدينة	الدار البيضاء	مراكش	فاس	مكناس	الرباط	الصويرة (موجادير)	سفرو
عدد اليهود	٣٨,٦٠٦	٢٥,٦٤٦	١٠,٥٠٧	٩,٥٢١	٦,٦٩٨	٦,١٥١	٤,٣٨٢

وذكرت إحصائيات عام ١٩٤٧م، أن ٨٠% من يهود المغرب كانوا يعيشون في مراكز مدنية، حيث شكلوا نحو ٩% من مجموع سكان المدن تقريبًا(١٤).

يتضمن الجدول التالي تعدادهم في إحصائيات عامي ١٩٥٢م و ١٩٦٠م، وبذلك يتسنى تتبع تطورهم الديموجرافي خلال هذه السنوات الثماني(١٥):

جدول رقم (٢) "توزيع اليهود على المدن المغربية الكبرى في إحصائي ١٩٥٢م، ١٩٦٠م"

المدينة	تعداد ١٩٥٢م		تعداد ١٩٦٠م	
	عدد اليهود	نسبتهم للمجموع الكلي لهم	عدد اليهود	نسبتهم للمجموع الكلي لهم
الدار البيضاء	٧٤,٧٨٣	٣٤%	٧٢,٩٢٦	٤٥,١%
الرباط	١٠,٢٩٣	٤,٧%	١١,٠٠٨	٦,٢%
مكناس	١٢,٤٥٤	٥,٧%	١٠,٨٩٤	٦,٨%
مراكش	١٦,٣٩٢	٧,٥%	١٠,٠٠٧	٦,٣%
فاس	١٢,٦٤٨	٥,٨%	٨,٧٣٢	٥،٥%
طنجة	١٢,٠٠٠	٥،٥%	٦,٢٣٢	٣,٩%

يجب أن نلاحظ أن حياة اليهود في المدن المغربية لم تتركز داخل أحياء مغلقة أو في أماكن معزولة عن باقي السكان المسلمين، إنما عاشوا في أحياء خاصة تسمى "الملاح(١٦)" وكان لهم مطلق الحرية في الخروج منها والإقامة في أي مكان متى شاءوا.

وقد أشارت الإحصائيات أن عدد اليهود الذين عاشوا خارج ملاحات الدار البيضاء يقدر بنحو ٣٠ ألف يهودي وذلك عند نهايات العقد الرابع من القرن العشرين(١٧).

(٣) التغيرات الاجتماعية

رافق ازدياد النفوذ الأجنبي في المغرب ثم وقوع المغرب تحت سلطتي الانتداب الفرنسي والأسباني، العديد من التغيرات والتحولات على مختلف الأصعدة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية والسياسية، ومن أبرز هذه التحولات الاجتماعية للطائفة اليهودية بالمغرب ما يلي:

(أ)الهجرة للمدن: حتى بدايات القرن العشرين، كان معظم يهود المغرب من أبناء القرى سواء الداخلية في وسط المغرب أو الواقعة في جبال الأطلس، لكن مع الاحتلال الفرنسي للمغرب ترك معظمهم القرى وانتقلوا للمدن، وتبرز الأرقام التالية تلك التحولات:

في عام ١٩١١م، كان يبلغ عدد السكان اليهود في الرباط نحو ٢٠٠٠ يهودي، وفي عام ١٩٣١م، كان بها نحو ٤,٢١٨ يهوديًا، ثم ارتفع هذا العدد في عام ١٩٤٧م إلى نحو ١٢,٣٥٠يهوديًا (١٨).

* جاء هذا التنقل المكاني نتيجة اقتصار عمليات التطوير والنهوض على المدن المغربية الرئيسة، كما اتسمت هذه الهجرة بانخفاض مستوى معيشة المهاجرين من القرى، لذلك رافقتها

الرغبة في الحصول على فرصة عمل مناسبة لتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. وينطبق نفس هذا الوضع على معظم المدن المغربية الكبرى (مثل: الدار البيضاء، ومراكش، وطنجة، وفاس، ومكناس وتطوان)، التي شهدت هجرات قروية وتدفقًا كبيرًا من قبل اليهود.

(ب)<u>الخروج من الملاح</u>: يمثل الملاح أو الحي اليهودي الصفة المميزة للحياة اليهودية في مدن المغرب وبيوت الحي على الطراز المراكشي وهو مجاور للأحياء العربية، والوصول إليه عبر شوارع تحيط بها حوانيت صغيرة تضم الصناعات والأعمال المختلفة التي تتوزع حسب أنواعها في أسواق منفصلة، ومن هذه الأسواق تتفرع أزقة ضيقة هي طرق مسدودة يعيش فيها الناس في بيوت صغيرة تزدحم بالسكان ولا تتوفر فيها الشروط الصحية. أحوال اليهود في الملاح تشبه أحوال سائر السكان الذين يعيشون في نفس المستوى الاجتماعي، ولكن اليهود كانوا اسعد حظًا إذ أثارت الأحوال المعيشية السيئة في الملاح اهتمام الطوائف والسلطات اليهودية المحلية(١٩).

وشهد العصر الحديث رحيل أعداد كبيرة من اليهود عن أحيائهم التقليدية "الملاح"، إما لظاهرة تكدس هذه الأحياء أو نتيجة لتزايد قوة مسيرة التنمية التي شجعت أعدادًا كبيرة منهم على الخروج من أحيائهم التقليدية والعيش في الأحياء الجديدة التي تم توطين الأوروبيين بها، وقد ترك نصف يهود المغرب الأحياء التقليدية قبيل الحرب العالمية الثانية(٢٠).

وقد اقتصرت عملية ترك الملاح على جيل الشباب أصحاب الثقافة وعلى الموسرين الراغبين في الارتقاء الطبقي، وهذا دليل على حرية الحركة التي تمتع بها اليهود داخل المجتمع المغربي المسلم، فلم تفرض أية قيود عليهم ولم يجبروا على الإقامة في مكان بعينه.

(ج)<u>تزايد الأخذ بالأنماط الأوروبية</u>: أخذت أنماط الحياة الأوروبية في التزايد في أوساط اليهود سكان المدن المغربية الكبرى حيث كان التأثير الأوروبي قويًا جدًا. وقد كانت المساعدات التي قدمتها المنظمات اليهودية العالمية أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت مسيرة التنمية إلى الأمام في أوساط يهود المغرب.

عملت هذه المنظمات، عن طريق أجهزة يهودية محلية، على وضع برامج واسعة من أجل رفع المستوى الاجتماعي والصحي والثقافي لليهود وخاصة سكان الملاح. ومن أشهر هذه المنظمات(٢١) ما يلي:

[ج/١] منظمة" OSE -منظمة غوث الأطفال" الإنجليزية، التي عملت على مكافحة الأوبئة بين اليهود وأنشأت مراكز صحية في معظم المدن ومراكز للعناية بالأطفال تقدم فيها الغذاء والملبس والعناية الصحية.

[ج/٢] منظمة "American Jewish Joint Distribution Committee-A.J.D.C - اللجنة الأمريكية اليهودية المشتركة للمساعدات" التي تعرف اختصارًا باسم الجوينت(٢٢) التي كانت تدعم ماليًا مؤسسات يهودية كثيرة في خدماتها الاجتماعية والصحية والثقافية، فكانت تمول مدارس "Lubavitch-لوبافيتش(٢٣)" في برامجها من أجل تعليم الأطفال اليهود وغذائهم وكسائهم، وكذلك تقديم المعونة المالية إلى مدارس "ORT (٢٤) - Organization of Rehabilitation through Training- منظمة التأهيل التدريبي" التي تتولى تدريب الشباب على المهارات الفنية، كما عملت "الجوينت" على إنشاء المطاعم المتنقلة، وتقديم المساعدات لآلاف العائلات التي هاجرت من المناطق النائية وتنظيم المعسكرات والنوادي للشباب.

[ج/٣] منظمة "Central British Fund- الصندوق المركزي البريطاني" التي عملت على وضع مشروع كامل لتحسين غذاء الأطفال اليهود في المغرب وإنشاء دور للعجزة بالاشتراك مع "OSE- منظمة غوث الأطفال".

وقد ساهمت هذه الجهود في تحسين أوضاع اليهود وتخليص -سكان الملاح من الأمراض والتخلف الاقتصادي والاجتماعي وإخراج الآلاف منهم نحو الأحياء الجديدة. والواقع أن مثل هذه الفرص لم تتح لسائر المغربيين من أهل البلاد!!).

ولكن الوضع اختلف بالنسبة لسكان الداخل، خاصة في جنوب المغرب حيث يكاد ينعدم التأثير الأوروبي على هذه المناطق، وفي المقابل سيطرت الحياة التقليدية علي اليهود هناك وظلوا محافظين على العادات والتقاليد والسلوكيات الخاصة بالطائفة اليهودية.

(د)<u>تأخر سن الزواج</u>: كان من مظاهر تأثير مسيرة التنمية والتطور على اليهود أنه ارتفعت في أوساطهم سن الزواج، فيفيد إحصاء عام ١٩٥٢م أن إحدى عشرة فتاة فقط من بين كل عشرة آلاف فتاة كن متزوجات، وكانت أعمارهن دون الرابعة عشرة (٢٥).

(٤) التعليم

عد يهود المغرب التعليم إحدى الوسائل الفاعلة لتحقيق الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي داخل المجتمع المغربي؛ لذلك حرصوا على إلحاق أبنائهم في مراحل التعليم المختلفة، كما اهتمت جهات يهودية أجنبية عديدة بإقامة المدارس المختلفة لرفع مستوى يهود المغرب. وتنقسم مدارس التعليم اليهودي إلى: مدارس يهودية تقليدية، ومدارس فرنسية يهودية حكومية، ومدارس فرنسية يهودية خاصة ومدارس يهودية عبرية خاصة.

(أ)المدارس اليهودية التقليدية: وكانت تدرس في تلك المدارس " علوم ومبادئ الديانة اليهودية التوراتية واللغة العبرية، وانتشرت هذه المدارس في المناطق ذات الكثافة اليهودية، من بينها الدار البيضاء، وتطوان، والرباط، وسفرو، والصويرة، وإيفران، وفاس، ودبدو(٢٦)".

وقد وجد نوعان أساسيان من المدارس الدينية اليهودية: مؤسسات " تلمود توراة " التابعة للجالية، للتلاميذ ذوي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الفقيرة، و"الصالات" التي تقابل الحيدر في شرق أوروبا(٢٧).

كانت مدرسة "الصلا" توجد في الملاحات القديمة بالمدن الكبرى، أو في أماكن تجمعات السكان المتواضعة بالقرى، أو في تخوم الصحراء أو في أودية الأطلس، وهي مكان مخصص للتعليم، يتراوح ما بين البناية الكبيرة في المدينة، وبين الحجرة الصغيرة في القرية. وهذا اللفظ يعني كذلك الصلاة، المعبد، وكل مبنى يلقن فيه التعليم التقليدي، ولو كان الأمر يتعلق بمحل خصوصي خصصه المعلم لهذا الغرض حتى بيته الخاص(٢٨).

يدخل الولد لهذه المدرسة في سن ما بين الثالثة والسادسة، ويبدأ في تعلم الأبجدية في سن الرابعة، وينبغي أن تستمر الدراسة على الأقل إلى حدود سن الرشد الديني، وهو محدد مبدئيًا في الثالثة عشر. ويمنع منعًا كليًا على كل صانع أن يشتغل عنده طفلاً قبل سن الرشد الديني(٢٩).

ومن الملاحظ أن هذه النوعية من التعليم التقليدي قد حظيت بإقبال غفير من أبناء الطبقات الفقيرة في المدن وكذلك معظم أبناء القرى، كما ظهرت في فترة لاحقة مؤسسات تعليمية تقليدية أخرى، سعت بدورها لنشر التعليم اليهودي في أوساط يهود المغرب.

وفي منتصف عشرينات القرن العشرين، ازدهرت مؤسسة "أم الأبناء" التعليمية لمؤسسها الحاخام "زئيف هالبرين"، من شرق أوروبا وأقام في المغرب خلال ١٩١٤-١٩٢٢م، وكانت الفرنسية هي اللغة الرسمية داخل هذه المؤسسة التعليمية(٣٠).

كان الدعم المالي لمدارس "أم الأبناء" يأتي من قبل نساء الجالية، وبصفة خاصة من زوجات الحاخامات والأثرياء؛ وفي عام ١٩٣٥م كان لها مدارس هامة في المناطق الداخلية بالمغرب، خاصة في فاس، سفرو، مكناس ومراكش (٣١).

(ب)المدارس الفرنسية اليهودية: تنقسم المدارس الفرنسية اليهودية إلى: مدارس حكومية تخضع لإشراف سلطات الحماية الفرنسية ومدارس خاصة تتولى الإشراف عليها هيئة "الإليانس"(٣٢).

ويُشار إلى أن "الاحتلال الفرنسي ركز على إنشاء المدارس على أسس طائفية، وجعلها أداة لتكريس الانتصار العسكري الفرنسي، فكانت هناك المدارس الفرنسية العربية، والفرنسية البربرية، والفرنسية اليهودية، إلى جانب المدارس الأسبانية اليهودية التي أشرفت عليها سلطات الاحتلال الأسباني التي كانت تسيطر على شمال المغرب، وكان الهدف من ذلك خلق نخبة مغربية بعيدة عن هويتها الوطنية والدينية، ويفسر هذا الانتقادات الواسعة التي وجهها الحاخامات المغاربة إلى تلك المدارس التي اعتبرت تهديدًا للهوية اليهودية للمغاربة، وإعلان حرب مباشرة على المدارس اليهودية العتيقة(٣٣)".

وقد أقامت سلطات الحماية الفرنسية مدارس فرنسية يهودية؛ لأن المدارس الأجنبية لم تكن تقبل الأولاد المغاربة بصفة عامة. لكن هذه المدارس الحكومية كانت قليلة وأبعد من أن تلبي لهم احتياجاتهم في شئون التعليم، ومن هنا نجحت "الإليانس" بشكل كبير في سد هذا العجز والتقصير من قبل السلطات الفرنسية في المغرب. وبلغ عدد الطلاب اليهود في المدارس الفرنسية اليهودية الحكومية في العام الدراسي ١٩٤٢/١٩٤٣م نحو ٢,٢٠٠ تلميذ، بينما في مدارس "الإليانس" نحو ١٤,٩٢٨ تلميذًا(٣٤).

هذا، وقد تأسست أول مدرسة تابعة لهيئة "الإليانس" في مدينة تطوان المغربية في عام ١٨٦٢م، وبعدها أقيمت سلسلة من المدارس: في طنجة عام ١٨٦٥م، وفي فاس علم ١٨٨٨م، وفي الدار البيضاء علم ١٩٠٠م. وعند وصول قوات الحماية الفرنسية [١٩١٢م]، كان نحو ٤,٥٠٠ طالب يتعلمون اللغة الفرنسية بالفعل(٣٥).

وقد تركزت الدراسة في مدارس "الإليانس" على العلوم الدنيوية، ولم تعن في بداية الأمر بتدريس العلوم الدينية اليهودية الذي تولت الاهتمام به المدارس اليهودية التقليدية.

لكن منذ عام ١٩٤٠م، درست "الإليانس" إلى جانب العلوم الدنيوية العلوم الدينية كما أدخلت دراسة العبرية والثقافة اليهودية في مناهجها(٣٦).

هذا، وقد نجحت مدارس "الإليانس" في إقامة مدارس فنية، لتأهيل الطلاب على الأعمال: الخشبية، والمعدنية، والكهربائية، وأعمال السباكة، والسكافة والخياطة. وإلى جوار هذه المدارس توجد برامج "أورت-الإليانس"، التي تهدف إلى حث الشباب اليهودي للتوجه للأعمال الحرفية والأعمال الزراعية(٣٧).

وأسست "الإليانس" بالتعاون مع رابطة"درع داود(٣٨)" بالدار البيضاء معهدًا لإعداد معلمي العبرية في عام ١٩٤٦م، في الدار البيضاء، يحصل خريج هذا المعهد، بعد أربع سنوات دراسية يجمع فيها بين دراسة العلوم اليهودية والعلمانية، مع إضافة عام خامس للتأهيل التربوي، على شهادة تخرج تمكنه من التدريس في مدارس التعليم الأساسي. وفي عام ١٩٥٦م، أبدت الجامعة العبرية في القدس اهتمامًا كبيرًا بهذا المعهد ووافقت على منح خريجيه شهادة خاصة من قبلها، تشهد بمدى إلمام الحاصلين عليها بأسس اللغة العبرية وثقافتها، وكان معترف بها من قبل المؤسسات الثقافية العليا في إسرائيل(٣٩).

(ج)<u>المدارس اليهودية العبرية الخاصة</u>: مزجت هذه المدارس بين التعليم اليهودي التقليدي وبين تدريس العلوم العلمانية، وكان غرضها الأساسي نشر الثقافة واللغة العبرية في أوساط الجالية اليهودية في المغرب، وكانت تتلقى الدعم المالي والفني من منظمات يهودية أجنبية.

وقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة أخرى من مراحل تطوير نظام التعليم اليهودي في المغرب، وكانت هذه المرحلة مرتبطة بأنشطة منظمة "كنز التوراة(٤٠)" السفارادية بالولايات المتحدة الأمريكية، والداعية إلى الدمج بين العلوم الدينية ونظيرتها الدنيوية وحظيت هذه الأنشطة بدعم هيئة "الجوينت" اليهودية(٤١).

وقد نجحت منظمة "كنز التوراة" في افتتاح مدارس ابتدائية وثانوية في المدن الكبرى مثل: الدار البيضاء، وطنجة، وفاس، ومراكش، ومكناس، والصويرة (موجادير) والرباط، كما أرسلت مدرسين لقرى جنوب المغرب(٤٢).

ويقدر عدد الدارسين في مدارس هذه المنظمة في عام ١٩٦٥م بنحو ٦,٥٤٠ تلميذًا، وفي المقابل كان عدد الدارسين في مدارس "الإليانس" يقدر بنحو ٣٣,٠٠٠ تلميذ، مما يدل على أن هاتين المؤسستين نجحتا في استيعاب حوالي ٩٠% من التعداد الكلي للتلاميذ اليهود في المغرب(٤٣).

وفي نفس الفترة التي تأسست فيها مدارس"كنز التوراة"، تأسست سلسلة مدارس أخرى تحمل اسم "خيلم يوسف يتسحاق" والمعروفة باسم "Lubavitch- لوبافيتش" قامت بتأسيسها منظمة "لوبافيتش"(٤٤).

هذا وقد حرصت الكثير من الروابط الصهيونية على نشر الثقافة العبرية بين يهود المغرب، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فقامت بعضها بإقامة فصول تعليمية شبيهة بالمدارس واستخدمت اللغة العبرية كلغة رسمية للتدريس وأحضرت مدرسين من فلسطين.

برزت في هذا المجال رابطة "درع داود"، وكانت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للتعليم في مدارسها. وعملت أيضًا في المغرب رابطة "شارل نيطر(٤٥)"، التي اهتمت بنشر اللغة العبرية والثقافة العبرية خاصة في أوساط الشباب اليهودي عن طريق الاجتماعات والمحاضرات والدروس المسائية(٤٦).

وقد أتاح هذا التنوع في التعليم اليهودي في المغرب والتيسيرات والدعم المالي الخارجي على تحسين الأوضاع التعليمية والثقافية، وهو أمر لم يتح للسكان المغربيين أنفسهم.

وعند المقارنة بين مستوى معرفة اليهود بنظيره لدى المسلمين إبان نهايات فترة الاستعمار الفرنسي نجد أنه في الوقت الذي حصل فيه ١٣% من مسلمي المغرب على قسط وافر من التعليم الغربي الحديث، فإن هذه النسبة في أوساط اليهود قدرت بنحو ٦٠%(٤٧).

وعلى أية حال؛ لم تحافظ سوى ٤ مدارس يهودية بالدار البيضاء، العاصمة الاقتصادية للمغرب، على استمراريتها من بين عشرات المدارس في أنحاء المغرب رغم الهجرات المكثفة لليهود المغاربة لفلسطين المحتلة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، أو إلى دول أوروبا. وتلك المدارس هي: مدرسة "سيماش" وتأسست عام ١٩٦٠ وتضم ١٦٢ تلميذًا، ومدرسة "ترسيس ليفن" وتضم ٢٨٥ تلميذًا، وثانوية "مايمونيد" تأسست عام ١٩٦٦ وتضم ٣٤٦ تلميذًا، و"المدرسة العبرية" وتأسست في نفس العام وتضم ١٤١ تلميذًا، وكلها تخضع لإشراف "رابطة المغرب"(٤٨).

ثانيًا: النشاط الاقتصادي

وفقًا لإحصاء علم ١٩٣٦م، بلغ تعداد الأيدي العاملة اليهودية في المغرب نحو ٢٨ ألف و٦٠٣ يهوديًا(٤٩).

وفي الإحصاء الذي أجرى في المغرب عام ١٩٤٧م، بلغ عدد المشتغلين من اليهود نحو ٦١,١٦٤ يهوديًا (٤٦,٧٥٢ من الذكور و١٤,٤١٢ من الإناث) أي ٣٠% من مجمل تعداد يهود المغرب(٥٠) وهذه النسبة الفائقة تكتسب أهمية أخري إذ تتجاوز في واقع الأمر أكثر من نصف اليهود القادرين علي العمل (٥١).

وقد تزايد عدد النساء اليهوديات المشاركات في النشاط الاقتصادي بالمغرب، ففي عام ١٩٣٦م تم إحصاء نحو ٥,٣٣٦ امرأة تمارسن النشاط الاقتصادي. وفي غضون عشر سنوات ازداد عددهن ثلاث مرات، ووفق إحصائية عام ١٩٤٧م بلغ عددهن نحو ١٤,٤١٢ امرأة. وإذا كانت تعمل ٦٢ امرأة من بين كل ألف امرأة يهودية في عام ١٩٣٦م، فإن هذه النسبة قد ارتفعت عام ١٩٤٧م لتصل إلى ١٤٧ امرأة، بينما كانت تعمل من بين كل ألف امرأة مسلمة نحو٦٤ امرأة فقط علم ١٩٤٧م مقابل ٢٧ لمرأة عام ١٩٣٦م(٥٢).

يتضح من ذلك، أن المرأة المغربية اليهودية شاركت في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي في المغرب وكان لها حضور واضح أكثر من المرأة المغربية المسلمة. وهذه الأرقام الإحصائية تقوض الأقاويل التي ترددت حول فرض المجتمع الإسلامي قيودًا صارمة حول حرية حركة المرأة اليهودية داخل المجتمع المغربي المسلم.

وقد شارك اليهود في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي المغربي، ومن أهم المجالات الاقتصادية التي لعب فيها اليهود دورًا فعالاً ما يلي:

(١) التجارة الخارجية

كان التواجد اليهودي واضحا في مجال التجارة الخارجية، خاصة يهود المدن الساحلية؛ وذلك بفضل علاقاتهم الوطيدة بيهود جنوب وغرب أوروبا وإتقانهم للعديد من اللغات، وفوق ذلك علاقاتهم الوثيقة بالبلاط الملكي وبمراكز النشاط السياسي، ودعم وتأييد سلطات الانتداب الفرنسي لهم(٥٣).

كان اليهود في المغرب يحتكرون تصدير المواد المحلية (مثل: الحبوب، والجلود، والشمع والفرو...إلخ) ويقومون باستيراد مختلف المواد التموينية، وكذلك النسيج(٥٤).

هكذا، وقد لعب اليهود دور الوكيل والوسيط التجاري في المبادلات التجارية بين الدول الأوروبية وبين المغرب، كما منحتهم السلطات المحلية مسئولية تسيير شئون الضرائب والجمارك(٥٥). وبرزت في مجال التجارة الخارجية العديد من العائلات اليهودية المعروفة مثل: عائلات كوركوس، والمالح، وافريط وأوحنا(٥٦).

بسبب هذا النشاط الاقتصادي المتصاعد تزايدت أعداد اليهود في المدن الساحلية، وقد أدى هذا الإقبال من ناحية لارتفاع مستوى قطاع كبير من السكان اليهود، وأدي من ناحية لأخري لتعرف اليهود على ما أثير حول الفكر الصهيوني؛ وذلك بسبب احتكاكهم بيهود أوروبا وغيرهم من السكان الأوروبيين، لذلك كانت المدن الساحلية هي أول المناطق المغربية التي ظهرت فيها روابط صهيونية.

(٢) التجارة الداخلية

بلغ عدد التجار اليهود في المغرب، وفقًا لإحصاء عام ١٩٤٧م، نحو ٢٨,٤٦٩ يهوديًا مغربيًا أي ٤٦,٥% من قوة العمل اليهودي، وأغلبهم من صغار التجار والباعة المتجولين(٥٧). وإذا كان يهود المدن الساحلية قد اشتغلوا بالتجارة الخارجية، فإن يهود المدن الداخلية اشتغلوا في التجارة الداخلية(سواء داخل المدن أو بين المدن وبعضها أو بين المدن والقرى)، حيث سيطر اليهود على تجارة الجملة والتجزئة (٥٨).

كانت لليهود محلات تجارية سواء داخل الملاح أو في السوق، ففي موجادير (الصويرة) مثلا وإلى عهد قريب، كانت توجد أزقة بأكملها خارج الملاح، بها حوانيت لصناع وتجار يهود مثل: سوق الكتان والأقمشة القطنية، وسوق الصوف المغزول، وسوق الخضر والفاكهة وسوق العطارة(التوابل، والسكر، والشاي والدخان)(٥٩). كما كان يهود موجادير (الصويرة) يحتكرون تصدير بعض المواد الأساسية (مثل: الحبوب، والسكر، والشاي، والشمع والجلود) إلى مختلف المناطق والمدن المغربية وفي المقابل يستوردون معادن وأقمشة ومنسوجات(٦٠).

وذلك دليل على حرية الحركة والتعامل في مختلف ألوان الاقتصاد المغربي، لدرجة أنه يكاد لا يوجد مجال عمل يحرم على اليهود ممارسته، بل كان لهم دور بارز في الكثير المعاملات التجارية.

وقد عمل اليهود في تجارة الحبوب، وتجارة النسيج، وتجارة الدخان، وصناعة التقطير وتجارة شمع النحل وتعرف هذه الصناعة على نطاق واسع في المدن الرئيسة بالمغرب، وكان التجار اليهود يحتكرونها، هذا وتستعمل بقايا التقطير في صناعة شراب "السمحيا"(٦١) ليستهلك

في الملاح. وعمل اليهود أيضًا في دباغة وتجارة الجلود، حيث تشكل مهنة دباغة الجلود عند اليهود موضوع صفقات محلية قبل تصديرها. كما كان التجار اليهود يقومون بشراء بساتين أشجار الزيتون في بعض المناطق الزراعية مثل سفرو، وبعد قطف الزيتون يتم عصره لاستخراج الزيت(٦٢).

عمل اليهود كذلك في تجارة العطور، واللآلئ والأحجار الكريمة. وقد اشتهرت العديد من العائلات اليهود بالعمل في التجارة مثل: كوركوس، ودلمار، وشريكي دي ليفانتيه، وسومحال، وبرينته، وتوليدانو وروتي(٦٣). كما عمل عدد كبير من التجار اليهود كباعة متجولين بين المدن وبعضها أو بين المدينة والقرية أو بين القرى وبعضها، وكان يعرف باسم "دواس"(٦٤)، وهو ما يعرف في مصر باسم " القومسيونجي".

وقد تزايد التواجد اليهودي في الأماكن الرئيسة للنشاط الاقتصادي التي كانت تتمثل في المدن الكبرى(مثل: الدار البيضاء، والرباط، وفاس، ومكناس، ومراكش، والصويرة، وطنجة وتطوان). فبلغ عدد اليهود المشتغلين في الدار البيضاء نحو ٢٣,١٠٧ أي نحو ٣٧,٧% من قوة العمل اليهودي في المغرب كلها، وذلك وفق إحصاء ١٩٤٧م(٦٥).

(٣) الصناعات الحرفية

كان ليهود المغرب باع طويل في الحرف المختلفة وكانوا يتوارثون هذه الحرف عن آبائهم وأجدادهم ويحتفظون بأسرارها لأنفسهم، ومن أبرز الأعمال الحرفية التي عمل بها اليهود:

(أ)صياغة الذهب والفضة، وصناعة خيوط الذهب والفضة المخصصة لتطريز الملابس والأحذية، وفي سك العملة وفي سك المعادن، وفى الصقل والنقش على النحاس، وفي الحدادة، وفي السمكرة، وفي السراجة، وفي صناعة الأواني والأبازيم والأسلحة(٦٦).

كان يطلق على اليهود " صنّاع الصياغة في النصوص العبرية اسم- صورفيم – وبالعربية الذهابين وكان جودا بن عطّار واحدًا من أمهر الذهابين المغاربية في القرن التاسع عشر وكان جودا بالإضافة إلى عمله في صناعة الذهب قاضي قضاة ورئيس المحكمة الحاخامية(٦٧)".

(ب)صناعة الخيوط، والنسيج مثل صناعة الملابس الجاهزة، والموشية والمزركشة، وفي صناعة المشط لنفش الصوف وفى صناعة القبعات، وفى صناعة الحرير وتطريز الثياب(٦٨).

(ج)دباغة وصناعة الجلود، وفي السكافة وفي تجليد الكتب، وفي النجارة والبناء، وصناعة الصابون، والشمع والعطور، وفي صناعة الخمر، وعصر الزيوت وطحن الحبوب، وعمال خدمات: حوذيون، حمالون، صباغون، صانعو زجاج، خادمون وعمال نظافة، حلاقون وفي تصليح الساعات(٦٩).

وتجدر الإشارة إلى، أنه داخل الملاح كانت توجد أسواق خاصة بكل مجموعة من مجاميع الحرف المختلفة(فمثلاً يوجد سوق "الصرافين"، وسوق "صناعة الخيوط الذهبية" وسوق "صناعة الجلد"...إلخ). وقد تمتع اليهود بحرية واستقلال ذاتي كامل في هذه الأسواق، مع أخذهم في الحسبان تطبيق الأسعار التي كانت تطبق في المدينة(٧٠).

وهنا يجب أن نميز بين نوعين من الحرفيين: النوع الأول، الحرفي الذي يوجد بين قبائل البربر في القرى بجبال الأطلس وفي الواحات، وهو هناك الحداد، والسروجي، والصائغ، والنجار والخياط. وكانت هذه الحرف مقتصرة على اليهود يتوارثها الخلف عن السلف، الأمر الذي منحهم مكانة وأهمية، وحظوا أيضًا ببعض الامتيازات التي لم يحظ بها يهود المدن، وتمتعوا بقدر كبير من الاستقرار، حيث لم تكن هناك منافسة تقريبًا من حرفيين آخرين، واستمرت هذه الأوضاع إلى وقت قريب. والنوع الثاني، الحرفي المستقل أو الأجير الذي يعمل في المدينة، داخل بيته، أو في الورشة أو في الساحة في مختلف الأعمال الحرفية سواء للاستهلاك المحلي أو للتصدير، وأحيانًا يقوم الصانع بأعمال التسويق(٧١).

هذا، وقد شكل اليهود طوائف سواء للحرفيين الذين يمارسون نفس الحرفة، أو للتجار الذين ينتمون إلى نفس التجارة، ويخضعون إلى عدد من القواعد المهنية تحددها الأعراف والتقاليد. ويؤدون جماعة، النفقات التي تفرضها السلطات العامة، كما يؤدون المساهمات الواجب أداؤها للطائفة، ضريبة للمهنة. ويتم ذلك تحت مراقبة ومسئولية الأمين، وهو رئيسهم والممثل الرسمي الذي تلجأ إليه دائمًا السلطات الحاخامية بصفته خبيرًا وحكيمًا لحل النزاعات التجارية والصناعية التي تتطلب تدخله. وكانت هناك رابطة "الصرافين" ورابطة "الخياطين" ورابطة "النساخ"(٧٢).

وينتمي الحرفي بصفة عامة إلى أفراد الطبقة المتوسطة والفقيرة، وفي المدن التي لم تكن بها تجارة متطورة، عمل معظم اليهود في الحرف، وفي الخدمات وفي التجارة الصغيرة، وعاش هؤلاء في مستوى منخفض بالمقارنة بإخوانهم من التجار في المدن التجارية الكبرى، التي كانت تزخر بالتجارة الدولية مثل تطوان، على سبيل المثال. لكن هؤلاء التجار الأثرياء مثلوا

طبقة صغيرة جدًا في هذه المدن، ورغم أن الدخل من الصناعات الحرفية لم يصل لمرتبة الدخل من التجارة، إلا أن مكانة الحرفي كانت محترمة في المـــجتمع اليهودي، وكان يتم اختيار بعض الحرفيين لتقلد بعض الوظائف القيادية في الطائفة اليهودية(٧٣).

ومن الجدير بالذكر، أن نسبة أصحاب الحرف من اليهود كانت مرتفعة جدًا في المغرب عن أي دولة أخرى في شمال إفريقيا(٧٤).

(٤) المهن الحرة والعمل الحكومي

تزايد عدد المشتغلين من اليهود في مجال المهن الحرة، فبينما قدرت نسبتهم في هذا المجال عام ١٩٣١م بنحو٠,٦٩%، فإنها قدرت في عام ١٩٥١م بما يربو على ٢,٥%(٧٥).

وقد عمل اليهود في أعمال الصرافة والإقراض بالربا، كما كانت نسبة اليهـــود مـــن بـــين الوكلاء، والسماسرة والوسطاء في البنوك وشركات التأمين مرتفعة جدًا(٧٦).

ويُشار إلى أنه قد طرأت زيادة ملحوظة على عدد المشتغلين من اليهود كموظفين حكوميين، فبينما لم يكن لهم أي وجود في عام ١٩٣١ في الجهـــات الـــحكومية والوظيفيـــة، أصـــبحوا يشكلون في عام ١٩٥١م نسبة٥,٨٣% من مجمل قوة العمل في المغرب(٧٧).

(٥) الزراعة

بلغ عدد المشتغلين من يهود المغرب في مجال النشـــاط الزراعـــي، وفقًـــا لإحصـــاء عـــام ١٩٤٧م، نحو ٢,١١٨ يهوديًا. لكن يجب أن نوضح، أنه في الجنوب المغربي عاشت العديد من الجاليات اليهودية، وكانت الزراعة هي عملهم الرئيس منذ القدم، لكن لم يعرف بتواجدهم سوى عدد قليل من الباحثين، وظلوا يقيمون في قراهم حتى تم تهجيرهم إلى إسرائيل. وإلـــى جانـــب هذه الطبقة القديمة من الفلاحين، ظهرت مجموعة جديدة من الفلاحين مـــن طـــلاب المـــدارس الزراعية التـــي أقيمت بجوار مدارس "الإليانس" خاصة في مراكش ومكناس. وقد انجذب العديد من الشباب اليهودي المغربي للعمل في الأرض، في محاولة لتقليد "الطلائعيين-هحالوتسيم" في فلسطين(٧٨).

يرجع سبب تضاؤل عدد المشتغلين من اليهود في الزراعة إلى تزايد ظاهرة الهجـــرة إلـــى المدن، وقد قدرت نسبة المشتغلين من اليهود في هذا الـــمجال عام ١٩٣١م بنحـــو ٣,٩٣%، بينما قدرت هذه النسبة في عام ١٩٥١م بنحو ١%(٧٩).

ويتضح مما سبق أن اليهود كانوا متغلغلين داخل المجتمع المغربي وملتحمين بكافة عناصره، وكانوا يمثلون جزءًا لا يتجزأ من نسيج الوحدة الوطنية وعنصرًا فعالاً مساهمًا في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي، ولم تكن هناك تقريبًا مهنة محظورة على اليهود في المغرب.

ويستدل من كل ذلك، على مدى الحرية التي كان يتمتع بها اليهود في المغرب في ممارسة كافة أوجه المعاملات الاقتصادية. ويؤكد اندماج اليهود بالمسلمين في المغرب وعدم انعزال اليهود داخل الملاح، حيث لم يكن هناك وجود لأية حواجز عرقية، بل كانت توجد منافسة اقتصادية حرة وتعاون اقتصادي متكافئ بين اليهود والمسلمين المغاربة.

(ثالثًا): الوضع القانوني والسياسي والتنظيم الطائفي

(١) الوضع القانوني

نجح مندوبو المغرب، في إطار مؤتمر مدريد الذي عقد في عام ١٨٨٠م، في إقناع الدول الأوروبية بضرورة التقليل من عدد اليهود الذين ينعمون برعايتها، ووافق المؤتمر على طلب المغرب الداعي لتبنى مفهوم المواطنة المغربية الذي ألزم كل سكان المغرب بغض النظر عن ديانتهم بالولاء لملك المغرب، كما أصدر المؤتمر قرارًا نص على أنه يحق لرعايا الدول الأجنبية الاختيار بين العودة للمغرب والانصياع لقوانين الدولة وبين مغادرة المغرب(٨٠)، وبمقتضى هذه الاتفاقية حظي يهود المغرب بحق المواطنة المغربية، والتزمت الدول الأوروبية ببنودها. ولم يحظ بالجنسية الأجنبية سوى عدد قليل من اليهود الأثرياء وبعض المثقفين وهؤلاء حصلوا عليها في الخارج.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية في ٣٠ مارس ١٩١٢م، سعى الكثير من يهود المغرب للحصول على الجنسية الفرنسية؛ بغرض التميز والإحساس بالأمن، لكن سلطات الحماية اتخذت موقفًا متشددًا تجاه منح اليهود الجنسية الفرنسية. ولم يشعر يهود المغرب بأهمية المواطنة المغربية، إلا بعد اجتياح القوات الألمانية لشمال فرنسا، وتقلد حكومة فيشي(٨١)الموالية لألمانيا مقاليد الأمور في فرنسا ونزول القوات الألمانية لشمال إفريقيا.

كتبت جريدة فاينتشال تايمز (١٩٨٦/٦/٢٣م) تقول: "...إن الحماية التقليدية التي منحها الملك للمواطنين اليهود قد استمرت خلال الحرب العالمية الثانية، إذ إن الملك محمد الخامس أخبر الحاكم الفرنسي العام أنه لن يسمح لسلطات فيشي بإرغام اليهود على حمل نجمة داود الصفراء(٨٢)".

وأعلن الملك "محمد الخامس" حمايته الشخصية ليهود المغرب، ودافع عنهم ضد اضطهاد حكومة فيشي ومنعهم من محاولة فرض قوانين تضطهد اليهود وتفصلهم عن المجتمع المغربي. وبفضل مجهودات الملك "محمد الخامس"؛ نجا يهود المغرب من التعرض لأي اضطهاد، واستمر الملك "محمد الخامس" يعلن في العديد من المناسبات الرسمية عن رعايته الشخصية لأبنائه من اليهود.

وفي خطاب الملك "محمد الخامس" يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٥م، بمناسبة مرور ٢٧ عامًا على جلوسه على العرش، تعهد بضمان المساواة في الحقوق والواجبات لكل رعاياه من المسلمين واليهود(٨٣).

من أجل ذلك، يحظى الملك "محمد الخامس" بحب يهود المغرب، وصور على أنه مدافع عنهم، ومن هذا المنطلق غرست باسمه غابة في جبال القدس في يوليو ١٩٨٥م(٨٤). كما أقام الإسرائيليون من أصول مغربية ساحة أطلق عليها اسم الملك الراحل "محمد الخامس" في مدينة اشكلون (عسقلان) عام ١٩٨٦م اعترافًا منهم بدوره في حماية اليهود من بطش النازية(٨٥).

وبعد وفاة الملك "محمد الخامس" في ٢٦ فبراير ١٩٦١م، سار ابنه وولي عهده الملك "الحسن الثاني" على نفس نهجه تجاه اليهود، وعدهم جزءا لا يتجزأ من النسيج الوطني المغربي.

وقد صدر في هذا الصدد مرسوم رسمي بعد تولى الملك "الحسن الثاني" العرش أعلن فيه أن الطائفة اليهودية هي جزء متمم للبلد تتمتع بنفس حقوق المواطنين(٨٦). وتركزت مساعي البلاط الملكي المغربي على انتهاج سياسة معتدلة تجاه اليهود، وعدهم حلقة مهمة لا غنى عنها لتحقيق الوحدة الوطنية داخل منظومة المجتمع المغربي.

كان المسئولون المغاربة يزورون المعابد اليهودية ويحضرون الاحتفالات الدينية اليهودية، كما شارك اليهود في الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة اعتلاء الملك عرش المغرب(٨٧).

رغم كل هذا، فضل اليهود الرحيل عن المغرب سواء إلى إسرائيل أو فرنسا. ولم يبق بالمغرب إلا عدد ضئيل بالمقارنة بعددهم قبل الهجرة، ولكن البلاط الملكي المغربي ظل يحافظ على سياسته المعتدلة تجاه اليهود وعدهم مواطنين مغربيين، الأمر الذي انعكس بالطبع على مختلف الأنشطة اليهودية بالمغرب.

وحول هذا، كتبت جريدة فايننشال تايمز (٨٦/٧/٢٣) تقول: "إن الطائفة اليهودية المغربية لعبت دورًا مهمًا في الحياة السياسية والاقتصادية والحضارية منذ قرون عدة...ومازالوا يلعبون دورًا فعالاً في البلاد"(٨٨).

وفي إطار هذه الحرية الممنوحة لليهود داخل المغرب، شاركت شخصيات يهودية مغربية في العديد من المؤتمرات الدولية بحضور شخصيات إسرائيلية ذات أصول يهودية مغربية.

ومن هذا المنطلق، نظم "داود عمار" رئيس مجلس الطوائف اليهودية في المغرب مؤتمرًا يهوديًا عقد في مونتريال بكندا (في اكتوبر١٩٨٥ م) تحت شعار "يا يهود المغرب في أنحاء العالم اتحدوا". وينطلق هذا التجمع اليهودي الجديد الذي شارك فيه ١٥٠مندوب جاءوا من أنحاء العالم وطغى عليه يهود المغرب الذين مازالوا يقيمون في البلاد والمهاجرون إلى إسرائيل، ينطلق من ثلاثية متناقضة هي "الوفاء للمغرب والولاء لإسرائيل والحفاظ على الهوية الخاصة بيهود المغرب". وقد انتخب داود عمار في هذا المؤتمر بالإجماع "رئيسًا للاتحاد العالمي ليهود المغرب"، بالإضافة لكونه "رئيسًا لمجلس الطوائف اليهودية في المغرب ". وهذه هي أول مرة يعلن يهود مغاربة لازالوا يقيمون في المغرب تضامنهم مع إسرائيل والادعاء في نفس الوقت " بتمسكهم بالمواطنة المغربية "(٨٩).

وقد أتاحت هذه الحرية ليهود في المغرب من لعب دور فعال كهمزة وصل بين الجانب المغربي العربي وبين الجانب الإسرائيلي للتوصل لحل سلمي لقضية الصراع العربي-الإسرائيلي. ولعل ذلك يتمشى مع السياسة العامة للمغرب في عهد الملك الحسن الثاني، والتي تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني في الأرض وكذلك بحقيقة وجود الكيان الإسرائيلي على الأرض الفلسطينية. ولم يكن هذا هو أول مؤتمر عالمي نظمه يهود المغرب، فقد عقدت العديد من المؤتمرات العالمية الداعية للتعايش السلمي بين اليهود والعرب واضعه نصب أعينها النموذج المغربي للتعايش السلمي بين اليهود والمغربيين.

ففي ١٩٧٨م أقيم في باريس مؤتمر دولي خصص للجالية اليهودية بالمغرب، بحضور سفراء إسرائيل والمغرب في باريس. وفي عام ١٩٨٤م أقيم بالرباط مؤتمر الجاليات المغربية، بمشاركة وفد من إسرائيل، ومندوبين من المؤتمر اليهودي العالمي. وفي مايو ١٩٨٦م عقد مؤتمر على أعلى المستويات بمشاركة نحو ٣٠٠ شخصية يهودية، وكان من بينهم أعضاء كنيست ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي، "ادجار برونفمان"(٩٠).

(٢) الوضع السياسي

أ) حرية الصحافة:

تمتع يهود المغرب بقدر كبير من الحرية السياسية وأتيحت لهم حرية الحركة والتعبير عن الرأي، والدليل العملي على حرية الرأي هو السماح لهم بإصدار العديد من الصحف اليهودية ذات الاتجاهات المختلفة ومنها الصهيونية، ومن أبرز الصحف الصهيونية(٩١) التي صدرت في المغرب ما يلي:

[١/أ] من الصحف ــ أبرزها جريدة "la liberté – الحرية" بطنجة (١٩١٥-١٩٢٤)؛

[٢/أ] وصحيفة " L'avenir Illustré – المستقبل المصور" بالدار البيضاء، التي كانت تصدر باللغة الفرنسية ويشرف عليها يوناثان تورتش، وهو تاجر يهودي بولوني كان قد استقر بالدار البيضاء بصفته ممثلا للمنظمة الصهيونية العالمية بالمغرب وقد أحاط نفسه بصحفيين محترفين وملتزمين، كانوا رعايا أجانب، أو متجنسين في غالبيتهم، وبالتالي لم تكن تصدق في حقهم القيود المفروضة على "الأهالي" فيما يتعلق بالصحافة، وكانوا على اضطلاع واسع بواقع البلد.

[٣/أ] صحيفة "أخبار إخواننا في إسرائيل وفي الشتات"، وهي صحيفة أسبوعية صدرت في الدار البيضاء بالعربية اليهودية [اللغة العربية المكتوبة بحروف عبرية] خلال الفترة (١٩٥٠-١٩٥٥م)، وكانت تصدرها الوكالة اليهودية والصندوق القومي الإسرائيلي.

[٤/أ] صحيفة "همآسيف-المقتطف"، وهي صحيفة شهرية صدرت في الدار البيضاء بالعبرية والفرنسية خلال عامي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

[٥/أ] أصدرت المنظمة الصهيونية العالمية صحيفتين خلال عامي ١٩٥٤-١٩٥٥م، الأولى تحمل اسم "الصحيفة الثقافية الإخبارية" في الدار البيضاء، والثانية "صحيفة الشباب"، وهي صحيفة شهرية صدرت بالفرنسية.

[٦/أ] أصدرت رابطة "شارل نيطر" في الدار البيضاء خلال الفترة ١٩٤٥-١٩٥٢م صحيفة أسبوعية تحمل اسم "NOAR– الشباب" التي كانت تصدر بالفرنسية.

هذا إلى جانب باقي المنشورات اليهودية، سواء الصادرة عن أنصار الاندماج الفرنسي مثل "L'union Marocaine – الاتحاد المغربي" (1932 - 1939) أو عن مجالس وهيئات الطائفة

اليهودية، أو بمبادرة من بعض الشباب اليهودي مثـل صـحف: Elheurt، و Israél، و El Eco Israelita(٩٢).

(ب) دور اليهود في الحركة الوطنية المغربية:

أبدى بعض الشباب اليهودي المستنير تأييده للحركات القومية في المغرب، ولكن أنشـطتهم اقتصرت على المجالين الأدبي والاجتماعي، وانضمت قلة قليلة منهم إلـى قيـادات الحركـات القومية العربية أو إلى أتباع هذه الحركات. وكان ليهود دول الشمال الإفريقي دور بـارز فـي نشر الفكر الشيوعي في أوساط هذه البلدان، فكان مؤسس الحزب الشيوعي المغربي يهوديًـا، وضم هذا الحزب في عام ١٩٤٨م نحو ستة آلاف عضو، كان منهم خمسمائة يهودي(٩٣).

ولما بدأ القوميون المغربيون نضالهم من أجل الاستقلال ضد نظام الحاكم الفرنسي (خاصـة بعد نفي السلطان "محمد الخامس" ٢٠أغسطس ١٩٥٣ حتـى ١٦ نـوفمبر ١٩٥٥م) حاولـت الطائفة اليهودية لسنوات المحافظة على حيادها إزاء أحداث المغرب السياسـية، ولكـن كـان واضحًا أن عواطف الطبقة الغنية من التجار(من متوسطي الأعمار) كانت مـع فرنسـا، بينمـا تعاطف مع حركة الاستقلال قلة قليلة من الجيل المثقف رغم ثقافته الفرنسية (٩٤).

وقد شـكلت مجموعـة مـن الشـباب اليهـودي حركـة " Mouvement National Morocain – الحركة الوطنية المغربية" بقيادة تاجر يهودي يدعى " J. Ohana –ي. أوحنا" كان يدعم حزب الاستقلال ماديًا(٩٥).

هذا، وقد تعامل القوميون المغربيون مع اليهود من منطلق كونهم أخوة لهم، ولـم تصـدر عنهم أية دعاوٍ تحريضية ضد اليهود، بل دعوا إلى التعايش السلمي بين جميع السكان بصرف النظر عن الديانة.

وعندما وافقت فرنسا على منح المغرب استقلالها، وعاد "محمد الخامس" من منفـاه إلـى كرسي العرش في ١٦ نوفمبر ١٩٥٥م –قام الحزبان الرئيسان حينئذ، حزب "الاستقلال" وحزب "الاستقلال الديمقراطي" بدعوة اليهود للمشاركة في مظاهراتهم وجرت العديـد مـن اللقـاءات، وألقيت الخطب، التي وصف فيها اليهود "بالأخوة المغربيين"، وطُلب منهم المساعدة فـي بنـاء المغرب الجديد، إلى جوار المسلمين. وفي عدد من المدن تمت دعوة زعماء اليهود للانضـمام لحزبي "الاستقلال" و"الاستقلال الديمقراطي"(٩٦).

وشارك اليهود في كثير من الحركات والأحزاب الوطنية الأخرى مثل: "الاتحاد الوطني للقوى الشعبية" و"جبهة حماية المؤسسات الدستورية" و"الحزب الديمقراطي الاشتراكي" (٩٧).

وتأسست في جميع أنحاء البلاد منذ عام ١٩٥٦م رابطة "الوفاق" لإيجاد التقارب بين العرب واليهود في المغرب، وعقدت الجلسة الافتتاحية في الرباط وحضرها ولي العهد "الحسن بن محمد الخامس" وعدد من الوزراء، كما عقدت اجتماعات مماثلة في مدن أخرى، وكان للرابطة عام ١٩٥٨م نحو ٢٧ فرعًا، وكان معظم أعضائها من الطبقة المثقفة وأصحاب المهن الاختصاصية الذين تركوا (الملاح) منذ سنوات وارتبطوا بعلاقات وثيقة مع الطبقة المثقفة العربية(٩٨).

لكن هذا الدور الذي لعبه اليهود في إطار الحركة الوطنية المغربية الرامية لتحقيق الاستقلال لا يتناسب بأي حال من الأحوال مع وزنهم العددي، ومشاركتهم الملحوظة في النشاطات الاقتصادية المختلفة داخل المجتمع المغربي. فاليهود الذين التحقوا بتيارات التحرر الوطني ومحاربة الاستعمار الفرنسي، كانوا فئة صغيرة من الطبقة المثقفة ارتبطت بالأرض وسعت لتحريرها، لكن هؤلاء لم يكن لهم وزن أمام أولئك الذين أيدوا فرنسا وطالبوا باستمرار الحماية الفرنسية، لدرجة أنه مع رحيل الفرنسيين رحلوا هم أيضًا، وكانت غالبيتهم من الطبقة الغنية، بينما هاجرت الشريحة الكبرى من يهود المغرب إلى إسرائيل.

(ج) دور اليهود في الحياة الإدارية:

أناطت السلطات الفرنسية بيهود المغرب وظيفة "حلقة الوصل" بينها وبين المغاربة، ومن جهتهم تعاون اليهود مع المحتلين الفرنسيين طيلة فترة الحماية الفرنسية حتى عام ١٩٥٦م(٩٩).

وبعد الاستقلال، سعت الحكومة المغربية لإتاحة الفرص أمام اليهود للالتحاق بالوظائف الحكومية والمناصب الرسمية المرموقة، ولم تفرق في هذا الصدد بين مسلم ويهودي، بل كان اليهود أفضل حظًا من إخوانهم المسلمين نظرًا لارتفاع مستواهم التعليمي ولإتقانهم العديد من اللغات.

وقد ضمت أول حكومة مغربية مستقلة وزيرًا يهوديًا، هو الدكتور " ليئون بن زاقين" الذي أصبح وزيرًا للبريد والبرق والهاتف، وكان قد برز في حقل الخدمات الاجتماعية وهو من المنادين الأوائل بالاندماج اليهودي. وفي هذا العهد زادت مشاركة اليهود في الحياة العامة في

البلاد، التي حرموا منها في زمن الحماية، فقد عين عدد كبير من ذوي المؤهلات في مراكز كبرى في الجهاز الحكومي، كمنصب الأمين العام في وزارة الخارجية، ومدير الإنتاج المعدني، وخبير تخطيط في وزارة الاقتصاد الوطني، وملحق وزارة الزراعة وموظف كبير في وزارة الداخلية ومدير مكتب الحبوب. وقد استعانت وزارة الخارجية المنشأة حديثًا بعدد كبير من اليهود كموظفين ورؤساء وأعضاء بعثات تجارية واقتصادية إلى الخارج كما أن سائر الوزارات كان بها فنيون ومستشارون وموظفون يهود من جميع الدرجات(١٠٠). كما تقلد المحامي " مائير توليدانو" منصب مدير وزير الاقتصاد والزراعة، وتولى " رنا أوحنا " منصب مدير مكتب وزير الصناعة والتجارة. وكان " روبرت اصراف " مستشارًا لوزير الداخلية، وشغل " سام بن اصراف "، أحد زعماء "حزب الاستقلال الديمقراطي"، منصب مدير مكتب وزير المالية(١٠١).

وكان عدد لا بأس به من اليهود يتلقون مع غيرهم تدريبًا من أجل الوظائف الإدارية في المستقبل في المدرسة المعروفة باسم " Ecole Supérieure d'Administration Futur Civil Service Elite – مدرسة الصفوة العليا لإدارة الخدمة المدنية المستقبلية". وقد أكد "مائير عوفاديا"، الذي أصبح رئيس الطائفة اليهودية في الدار البيضاء، في مقابلة صحفية مع صحيفة "جويش كرونيكل" في فبراير ١٩٥٨م، أن اليهود متساوون أمام القانون ويتمتعون بنفس الامتيازات دون تمييز على أساس العرق أو الدين وأن ١٥% من أعلى المناصب الإدارية في البلاد يشغلها يهود، كما أن هناك خمسة يهود قضاة في المحاكم التي يتقاضى أمامها المسلمون واليهود. وفي عام ١٩٦٣م عين قاضٍ يهودي هو " م.أزولاي"، وكان مستشارًا قانونيًا في الدار البيضاء، رئيسًا للقسم المدني في المحكمة العليا. وفي نفس العام عين صحفي شاب من الدار البيضاء هو " د. أزولاي " رئيسًا لتحرير الجريدة المغربية المستقلة " Maroc Information– أخبار المغرب"(102).

شارك في السلطة المغربية [خلال العقد التاسع من القرن العشرين] عدد من اليهود، يذكر منهم على سبيل المثال " سيرج بيردوجو" وزير السياحة، كما شغل " أندري أزولاي(١٠٣)" منصب مستشار الملك "الحسن الثاني" للشئون الاقتصادية(١٠٤).

ومما تقدم يتضح أن اليهود لم يتعرضوا لأي لون من ألوان الظلم والاضطهاد، بعد رحيل الإدارة الفرنسية وحصول المغرب على استقلالها في مارس ١٩٥٦م، كما كانت تتوقع الدوائر الصهيونية، فدفعت بجموع كبيرة من اليهود للرحيل عن المغرب بزعم أنهم سيفقدون مكانتهم

المتميزة داخل المجتمع المغربي، ولكن العكس هو الذي حدث، حيث حظي اليهود بعد الاستقلال بالعديد من الوظائف الإدارية العليا، وهو ما لم يحظوا به في فترة الحماية الفرنسية.

(د) دور اليهود في الحياة النيابية :

تمتع اليهود بحرية كاملة في ممارسة الحقوق الانتخابية، مثلهم في ذلك مثل باقي أفراد المجتمع، سواء في الانتخابات البرلمانية أو في الانتخابات البلدية.

اشترك اليهود في الانتخابات العامة في البلاد ١٩٦٠م، وفي الدار البيضاء ساندوا "الاتحاد الوطني للقوى الشعبية" الذي كسب ٤٣ مقعدًا من أصل ٥١ في المجلس، وقد هُزم في هذه الانتخابات رئيس الطائفة " مائير عوفاديا" (الذي يتعاطف مع حزب الاستقلال) أمام منافسة المحامي اليهودي " مائير توليدانو". وفي الانتخابات العامة الثانية (١٩٦٣م) نجح " عوفاديا " في الانتخابات بعد أن حصل على١١,١٨٩ صوتًا من أصل ١٩ ألف صوت وكان نصف ناخبيه من العرب المغربيين([١٠٥]).

واستمرارًا لمسيرة الحرية التي تسمح لليهود بالانضمام لأي من التيارات الحزبية أو الفكرية، ومن منطلق المساواة الكاملة بين أبناء المغرب لم يكن من العسير أن نجد في صفوف المرشحين للانتخابات العامة العديد من الشخصيات اليهودية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شاركوا أيضًا في الانتخابات المحلية.

وقد أسفرت الانتخابات الأولى للمجالس البلدية والقروية (عام١٩٦٠ م) عن انتخاب ١٥مرشحًا يهوديًا في المدن الكبرى دخلوا الانتخابات مستقلين، إلا في الدار البيضاء حيث دخلوا ضمن قوائم "الاتحاد الوطني للقوى الشعبية"([١٠٦]). كما انتخب أفراد من اليهود بالمجالس البلدية في انتخابات مايو ١٩٦٨م، فنجد منهم ثلاثة ببلدية الدار البيضاء وواحدًا بالمجلس البلدي بالرباط واثنين بمجلس بلدية مراكش([١٠٧]).

وشارك اليهود أيضًا في انتخابات غرف الصناعة، ففي عام ١٩٦٠م انتخب ١١يهوديًا للغرف التجارية والصناعية في المدن من أصل ٢٦١ عضوًا. وفي انتخابات ١٩٦٣م انتخب رئيس الطائفة في طنجة نائبًا لرئيس الغرف التجارية فيها، كما انتخب " داود عمار" لنفس المنصب في الرباط([١٠٨]).

وفي عام ١٩٨٦م، شاركت بعض الشخصيات اليهودية في الحياة البرلمانية، وكان من أبرزهم عضو البرلمان المغربي " جواد روحانا "، الذي شغل أيضًا منصب أمين صندوق رئيس

البرلمان. وفي عام ١٩٩٤م، كان لليهود حضور في البرلمان ومثل عن منطقة الصويرة في البرلمان نائب يهودي[١٠٩]، يدعى يوهانا أوهانا.

(٣) **التنظيم الطائفي**

كان الوضع القانوني ليهود المغرب حتى فرض الحماية الفرنسية على المغرب ١٩١٢م مرتبطًا بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة، فكان اليهودي يحظى داخل المجتمع المغربي المسلم بحرية كاملة في ممارسة شعائره الدينية، كما كانت لهم الحرية الكاملة في إدارة مؤسساتهم الدينية، والإشراف الكامل على شئونهم الداخلية.

وكان اليهود في المغرب يتبعون في أمور الأحوال الشخصية لتشريع المحاكم الحاخامية، التي يعينها الملك من هيئة من المرشحين تقدمها الطائفة، كما كانت لهم لجان طائفية مهمتها جمع الضرائب الموضوعة على اللحم ومدخولات الأوقاف وتوزيعها على الأعمال الخيرية. وفي بداية عهد الحماية لم يجر تعديل على وضع اليهود القانوني فظلوا رعايا السلطان يتبعون تشريعهم الخاص وتنظيمهم الطائفي[١١٠].

لكن هذا الوضع لم يستمر طويلًا، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان أول من أدخل تعديلات على التنظيم الطائفي لليهود، هو الحاكم العام الفرنسي الأول "ليوتيه" الذي تقلد هذا المنصب خلال الفترة (١٩١٢-١٩٢٥م) ووضع الأسس التنظيمية لمختلف مجالات الحياة المغربية وسار على نهجه كل من جاء بعده.

وقد سعى " ليوتيه " إلى دمج الطائفة اليهودية في الأطر القانونية والإدارية للمحمية، وتحكم عاملان رئيسان في طريقة تفكيره عند قيامه برسم الأطر التنظيمية للطائفة اليهودية، وهما: (أولاً) فرض أقصى درجة من القيود على الحكم الذاتي الداخلي لليهود، (ثانيًا) الإشراف الشامل على أنشطة مؤسساتهم المختلفة[١١١].

وفي ٢٢مايو ١٩١٨م، صدر مرسومان أقرا أسس تشكيل لجان الطوائف والمحاكم الحاخامية، واقتصرت صلاحيات هذه اللجان [المجالس الطائفية]على أمور العبادة والأنشطة الخيرية، كما تجنبت السلطات تشكيل لجنة عليا للإشراف على أمور كل يهود المغرب، فكان ليهود كل مدينة لجنة خاصة عملت على حدة دون التشاور مع سائر اللجان. ولم يتم التنسيق بين كافة هذه المجالس إلا عن طريق السلطة التي عينت مسئولاً يهوديًا للإشراف على المؤسسات الطائفية اليهودية، وكان من بين مهامه التصديق على ميزانيات المجالس التي تأتي عبر التبرعات والرسوم التي كانت تفرضها الطائفة على المأكولات اليهودية [١١٢].

وتتألف المجالس الطائفية هذه، من رئيس محكمة الأحبار أو من ينوب عنه من أحد الحاخامات ومن أعيان اليهود يقع اختيارهم من قوائم تقدمها الطائفة نفسها. وعدد الأعضاء في تلك المجالس يختلف من أربعة إلى عشرة بحسب أهمية الجهة وعدد سكانها اليهود. ويستمر عمل الهيئات المختارة عامين كاملين مع حق التجدد لهم. وتتكون ميزانيات هذه المجالس من التبرعات والهدايا ومداخيل الضرائب وريع الأوقاف(١١٣).

لم يكن أعضاء هذه المجالس ينتخبون، وإنما كانت السلطة هي التي تقوم بتعيينهم. وكان الأعضاء يختارون أحدهم لشغل منصب الرئيس، ولكن كان من الضروري أن تصدق السلطات على تعيينه(١١٤). بينما كانت كل محكمة حاخامية تتألف من أربعة حاخامات، أحدهم رئيسًا واثنان قضاة والرابع كاتب ضبط. كما أنشأت محكمة يهودية عليا في الرباط لاستئناف أحكام المحاكم الحاخامية، وكانت هذه المحكمة مؤلفة أيضًا من أربعة من الحاخامين(١١٥).

وفي الأماكن التي كان وجود اليهود بها ضئيلاً، كانت صلاحيات اتخاذ الأحكام منحصرة في يد قاضٍ واحد فقط، كما كان يقوم أيضًا بمهام حاخام الطائفة، وكان القضاة وكتبة المحاكم يتلقون أجورهم من السلطة. وكانت الأحكام تصاغ دائمًا بالعبرية، إلا أنه كان لزامًا على كتبة المحاكم أن يقدموا بالفرنسية قائمة مفصلة بالأحكام التي صدرت وبالقضايا التي تم بحثها(١١٦).

ونظرًا لاختصاص المحاكم الحاخامية ببحث قضايا الأحوال الشخصية فقط، فقد كان لزامًا على اليهود أن يتقدموا بسائر قضاياهم أمام المحاكم الفرنسية إذا كانوا من الرعايا الأوروبيين، أو أمام المحاكم المغربية إذا كانوا من رعايا المغرب(١١٧).

هذا، وقد أدت تلك الإصلاحات التي أدخلتها سلطات الحماية الفرنسية في عام ١٩١٨م إلى تقليص أعمال المجالس الطائفية وتحجيم دورها، وإلى سلب المحاكم الحاخامية العديد من الصلاحيات والاختصاصات وقصرها على قضايا الأحوال الشخصية.

وقد نظمت شئون الطائفة اليهودية في منطقة طنجة الدولية (حسب اتفاقية باريس في عام ١٩٢٣م التي نصت على كون طنجة منطقة دولية) وكذلك في منطقة المغرب الأسبانية على نفس الأسس التي نظمت فيها أحوال الطائفة اليهودية في منطقة المغرب الفرنسية، مع توسيع لصلاحيات المجالس الطائفية في منطقة النفوذ الأسبانية حسب المرسوم الصادر في ٢٨ يناير ١٩٣٠م، بحيث أصبحت الطائفة (وخاصة في تطوان) مستقلة تمام الاستقلال دينيًا واجتماعيًا وثقافيًا(١١٨).

وفي الأعوام ١٩٤٥م و ١٩٤٧م وعلى التوالي، أعيد النظر في تلك المجالس، وحدد في المرة الأولى الدور الذي تقوم به في إدارة الشعائر وفي الميدانين الاجتماعي والديني، وفي الثانية أنشئ اتحاد لهذه المجالس يجتمع بالرباط سنويًا للتداول في شئون الطائفة بأسرها ودراسة مشاكل المجالس وما يعرض لليهود المغاربة جميعهم (١١٩).

وهناك بعض الحقائق يجب أن ندركها، وهي أن الإصلاحات التي عملت سلطات الحماية الفرنسية لإدخالها على النظم المؤسسة للتنظيم الطائفي اليهودي بالمغرب لم يكن هدفها هو تحسين أوضاع اليهود، إنما تدعيم التيار العلماني الذي بدأ ينمو في أوساط الشباب اليهودي المثقف الذي تلقى تعليمًا فرنسيًا ومال نحو الثقافة الفرنسية، ولتخفيف قبضة التيار الديني اليهودي المسيطر على قطاع كبير من يهود المغرب. ويجب أن نضع في الحسبان أيضًا، أن هذه الإصلاحات لم تستطع أن تمس النظم التقليدية للمؤسسات الطائفية اليهودية في الأماكن النائية البعيدة عن قبضة الفرنسيين.

وبحصول المغرب على استقلالها ١٩٥٦م، عوملت الجالية اليهودية الباقية بالمغرب معاملة المغاربة أنفسهم إذ ضمن لهم القانون كل حقوق المواطنة، وبقيت لهم مع ذلك كما في الماضي المحاكم الحاخامية والمجالس الطائفية التي خضعت لمراقبة وزارة العدل (١٢٠).

(رابعًا): التراث الثقافي

امتلك المجتمع المغربي على مر العصور تراثًا ثقافيًا[١٢١] متنوع الأشكال غزير المكونات، وانعكس هذا بالطبع على اليهود بصفتهم جزء لا يتجزأ من نسيج الوحدة الوطنية المغربية وعنصرًا فعالاً مساهمًا في مختلف أوجه الأنشطة؛ لأن الحكم الإسلامي في المغرب كفل حرية الاعتقاد " فلا إكراه في الدين "، واحترم أهل الكتاب، وترك لكل ملة حرية تنظيم شؤونها الدينية، ورحب بمشاركة جميع الأقوام والملل في الحياة الثقافية العامة.

ويُلاحظ وجود مسحة من الاختلاف الثقافي؛ فالسلوكيات الثقافية ليهود المناطق الساحلية ذات التأثير الأوروبي تختلف بعض الشيء عما هو متبع لدى سكان المناطق الداخلية ذات الطابع التقليدي وتزداد درجة الاختلاف كلما اتجهنا نحو المناطق الصحراوية والجبلية المشبعة بالتأثير الأمازيغي.

ويُمثل الاحتفال بعيد الميمونة وزيارة الأضرحة من أبرز العناصر الثقافية المميزة للطائفة اليهودية المغربية، التي اجتمع عليها كل اليهود في المغرب ونقلوها معهم إلى أماكن إقامتهم الجديدة بما في ذلك إلى إسرائيل.

(١)الاحتفال عيد الميمونة

وربما ترجع بداية الاحتفال بعيد الميمونة([١٢٢]) إلى القرن ١٧ أو ١٨ الميلاديين أو إلى فترات قديمة([١٢٣])، ورغم أن هذا العيد ليس له أساس واضح في الديانة اليهودية؛ إلا أنه يحتل مكانة مميزة لدى يهود المغرب تكاد تساوي مكانة الكثير من الأعياد والمناسبات الأكثر قداسة.

وقد فسرت كلمة "ميمونة" تفاسير عدة، ذات طابع فولكلوري شعبي، ومنها: أن عيد الميمونة هو عيد " ميمون"، ملك الجن لدى يهود المغرب. ويحتفل اليهود بهذا العيد لاسترضاء ملك الجن حتى لا يحل عليهم غضبه أو يصيبهم بأي أذى([١٢٤]). والبعض يعتقد أن كلمة " ميمونة " منحوته من " لَلا ميمونه" والتي ترمز إلى "سيدة الحظ " التي توزع الخصب والرخاء والسعادة ([١٢٥]). ويقال أن " لَلا ميمونه" هي امرأة سوداء اشتهرت بمساعدة الفقراء والعطف على المحتاجين ([١٢٦]).

ويعتقد البعض أن موسم الميمونة تخليد لذكرى "هارامبام- موشيه بن ميمون([١٢٧])"؛ فقد اجتاحت المغرب في القرن الثاني عشر أوبئة كثيرة، فوجه السلطان المغربي المولى "إسماعيل" نداء إلى "بن ميمون" في العام ١١٥٩، والذي كان يقيم آنذاك في قرطبة، ليأتي إلى المغرب لإنقاذ الوضع المهدد بانتشار المزيد من الأوبئة. وكانت مساهمته لها أثر فاعل في تحسين الوضع الصحي بالمغرب آنذاك، ولا تزال ذكرى وفاته لحد الآن، تحيى بالمغرب.

وهناك من يرى أن هذا العيد يرتبط في مخيلة يهود المغرب بفكرة الخلاص وأن المسيح المخلص ([١٢٨]) سيظهر في هذا اليوم ليحمل اليهود من الشتات على أجنحة السحاب وينقلهم إلى مملكة الخلاص المسيحانية التي ستقام - وفق اعتقادهم على أرض فلسطين.

ووفق هذا الرأي، يربط البعض بين كلمة " ميمونة" وبين الكلمة العبرية " إيمونا " والتي تعنى " الإيمان ". وعلى ذلك، فكلمة ميمونة تشير إلى الإيمان بالخلاص النهائي لليهود من الشتات، ويعتمد هذا التفسير على بعض ما ورد في التلمود([١٢٩])، فكما تحقق خلاص اليهود من مصر في شهر نيسان (خلال فصل الربيع) تحت قيادة نبي الله موسى ﷺ، فكذلك سيتحقق الخلاص النهائي لهم خلال نفس الشهر على يد المسيح المخلص ملك عصر الخلاص ([١٣٠]).

لكن أقرب الآراء للواقع هو ارتباط لفظة "ميمونة" بالخصب والنجاح والسعادة والرخاء أي اليمن أو الميمونة وهو أمر طبيعي يرتبط بقدوم فصل الربيع؛ ولذلك يكثر في هذا العيد ترديد عبارة "تربحوا وتسعدوا " التي ترد أثناء اللقاءات والزيارات التي تجري طيلة الليلة واليوم التالي لها. ومن جانب آخر يشير إلى الصورة الاجتماعية الثقافية المغربية، حيث يلتقي المسلمون واليهود طواعية، وفيه تتجلى مظاهر التعبير عن المصير المشترك والرغبة في الاندماج والتعايش بين اليهود والمسلمين المغاربة.

يتكون احتفال عيد الميمونة، الذي يأتي في اليوم الثامن لعيد الفصح ([١٣١])، من ثلاث مراحل: مرحلة الاحتفال في المنزل حول مائدة الميمونة، ثم مرحلة الاحتفال الكرنفالي في شوارع الملاح في المساء وأخيرًا مرحلة الخروج للحدائق والأماكن المفتوحة في صبيحة اليوم التالي.

المرحلة الأولى:

يقوم الأب، أو الجد بعد رجوعه من المعبد، بعد أن يكون قد صلى صلاة المساء([١٣٢])، بأول طقس، وهو مباركة أفراد العائلة فردًا فردًا، وذلك بوضع يده اليسرى على الرأس في حين يقدم لهم باليد اليمنى ورقة خس مغموسة في العسل، فجرعة من الحليب. ثم يأتي دور الشعيرة الثانية، وهي شعيرة تمثل إعادة الخلق والبدء، التي تتمثل في تهيئ خميرة جديدة، وهي عجين يترك عدة أيام ليختمر تخمرًا طبيعيًا دون خميرة. ويحتمل أن تؤكل أثناء هذه الأيام، في شكل خبز لم يختمر عجينه أو لم يتم إخماره. ويخلط الدقيق بالماء في إناء من فخار أو نحاس أحمر، حيث يضع كل فرد يده في العجين، ويرمي بقطعه حلي أو ذهب أو فضة، بينما يردد الرجال في جو من الجلبة نشيدًا بالعبرية أو العربية أو البربرية، وتزغرد النساء، ثم يغطى الكل بشال من صوف أو منديل من حرير[إشارة إلى الخيام التي أقام اليهود فيها أثناء خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى ﷺ]...وجرت العادة بأن يكون العشاء من فطائر "مَفْلِيطا " بالسمن والعسل وتقدم للضيوف والقادمين كمية من حلوى من اللوز والزبيب. وترتدي النساء داخل البيت ملابس العرس التقليدية الفاخرة " الكسوة الكبيرة" كما تتزين الفتيات بأجمل حليهن. وفي الواقع، فإن في هذا المساء، مساء الميمونة يتم اختيار الأزواج (١٣٣).

وتحمل مائدة العيد العديد من أنواع الطعام التي ترمز للخصوبة، فيضعون على المنضدة إناء به سمكة رمزًا للتكاثر، كما يضعون سنابل الشعير والقمح، وعروش الفول، والخس والفاكهة والحليب والعسل، كما توضع أكواب مليئة بزيت صاف وتوضع بداخلها قطع الحلي الذهبية أو

الفضية كعلامة على البركة. كما يوضع إناء مملوء بدقيق القمح وضع به خمسة أنـواع مـن النباتات وتدفن بداخله بيضة وتوضع بداخله قطع النقود والعملات الورقية. كما يوضـع علـى المائدة الكسكس وأنواع الحلوى والتمر. ولا يوضع في هذا اليوم الملح أو التوابل- لأنها مـن المحرمات المحظور تواجدها في المنزل خلال عيد الفصح، كما يوضع علـى المائـدة مفـرش أبيض وشموع وزهور علامة على سنة طيبة (١٣٤).

المرحلة الثانية:

في الخارج يكون الكرنفال، الاحتفال الكبير: جماعة نشيطة من الشباب تقطع دروب الملاح، وفساتين الفتيات المرقشة تنافس لباس الشباب التنكري، يافعين وكهولاً، جميعًا يتنكـرون فـي هذه المناسبة، أو يتبخترون في لباس عربي، يحملون الطربوش أو الشاشية الحمراء، ويرتدون الجلباب الملون، وأحذية " بلغة " بيضاء أو صفراء، وتستمر الاحتفالات إلى آخر الليل(١٣٥).

وفي هذا المساء تتبادل الزيارت بين الأقارب والجيران، وتردد تحية العيد المعتادة "تربحـوا وتسعدوا "، ويحصل الأطفال خلال زياراتهم على نقود وحلوى وتمر. وفي هـذه الليلـة ذاتهـا تستطيع أن تسمع في كل مكان الأناشيد الدينية التي تدعو بحلول بالبركة والسلامة على المنزل وبطول العمر والصحة على أصحابه، ويذهب كل خطيب لمنزل خطيبته ليتناول معهـا الفطـائر ويشرب الحليب والعسل، ويقدم لها هدية مطرزة بخيوط من الذهب(١٣٦).

وإذا كان هذا المظهر الكرنفالي يشير من جانب إلى رغبة اليهـود العميقـة فـي التحـرر الاجتماعي والسياسي، وذلك بعملية التنكر ومحاولة التشبة بالجار المسلم، فإنه يشير من جانب آخر إلى التسامح والحرية التي تمتع بها يهود المغرب في ممارسـة شـعائرهم واحتفـالاتهم الدينية.

المرحلة الثالثة:

في الصباح الباكر من اليوم التالي يتوجه الجميع إلى الحدائق أو إلى الشاطئ أو إلى البادية، حيث يجتمع المحتفلون ويتبادلون الوجبات فوق العشب أو ينزلون إلى البحر يغطسون أقـدامهم في الماء(١٣٧). ويفضل المحتفلون اتخاذ أماكن بالقرب من المياه، تبعًا لما أمرت به الشـريعة اليهودية (قرب عين الماء أو الآبار أو الجداول). كما أنها مظهر يظهرون به ليدلوا على أنهم لا يختلفون عن الآخرين، وأنهم يرتبطون بالأرض وبكل ما خلق الله.

ولا يعترض المسلمون على اجتياح اليهود لحقولهم، وما بها من عيون ماء، بل تعد أحيانًا هذه التنزهات مقدمًا، فيدعى اليهود لزيارة ضيع أصدقائهم وجيرانهم المسلمين، لإحياء عيدهم " الميمونة" ([١٣٨]).

هكذا، يعد الاحتفال بعيد الميمونة استكمالاً لاحتفالات عيد الفصح-عيد الربيع، ومحاولة للتعبير عن الاندماج في المجتمع المغربي والالتحام مع عناصره المختلفة، والخروج من أسوار الملاح إلى الطبيعة الخلابة، وتعبيرًا على الوفاق والسلام والحرية التي ينعم بها اليهود في المغرب، وذلك في ضوء مشاركة جيدة ومساهمة فعالة من الجار المسلم في الاحتفال بهذا العيد المميز، وفي الإعداد له.

ويلاحظ أن الميمونة هو العيد اليهودي المغربي المحلي الوحيد، الذي احتفظت به الطائفة المغربية، وحملته معها إلى أماكن استقرارها الجديدة في فرنسا وكندا وفي أمريكا الجنوبية، وأحيوه في كل مكان بأبهة وعظمة، وأصبح له في إسرائيل طابع العيد الوطني، فاتخذ منه الإشكناز عيدًا لهم (١٣٩).

وقد استمرت طقوس الميمونة بمراحلها المختلفة في إسرائيل، وإن كان حدث بعض التغيير والتطور، وكان من أبرزها اكتساب احتفالات الميمونة بعدًا سياسيًا، حيث اتخذ منه اليهود السفارديم وسيلة لإثبات وجودهم أمام اليهود الإشكنازيم الذين يسيطرون على المناصب القيادية في إسرائيل (١٤٠).

(٢) زيارة الأضرحة

حظيت الشخصيات اليهودية التي تنتمي إلى عالم الصديقين([١٤١]) بهالة كبيرة من التبجيل والتقديس في أوساط أبناء الطائفة اليهودية في المغرب؛ نظرًا لأن المجتمع اليهودي هناك اتسم بالطابع التقليدي، ذلك الطابع دفعه لاحترام وتقديس مثل هذه الشخصيات، التي نسبت إليها الكثير من الأعمال الخارقة والمعجزات، وزيادة في التبجيل والاحترام يسبق اسم هؤلاء لقب "سيدي"([١٤٢]).

ولم تقتصر هذه المكانة أثناء حياة تلك الشخصيات بل امتدت أيضًا إلى ما بعد وفاتها، ويمكن القول إن درجة التقديس والتبجيل كانت تتعاظم بعد الانتقال للعالم الآخر، حيث تتحول القبور وما حولها إلى أماكن مقدسة يتوافد عليها اليهود من كل مكان فيما يعرف باسم " الزيارة" – وهو ما يعرف في العبرية باسم "الهيلولا " وهو قريب الشبة بما هو سائد بين الطبقات الشعبية في المجتمع المصري باسم " الموسم ".

وتعد هذه الظاهرة إحدى السمات المميزة لحياة يهود المغرب ومكون رئيس من مكونات الشخصية اليهودية المغربية خاصة بالنسبة للطبقات الشعبية في المجتمع اليهودي في المغرب والتي كانت تمثل غالبية المجتمع اليهودي المغربي.

بداية الظاهرة:

هناك إشارات في بعض المؤلفات اليهودية ترجع للعصور الوسطى (والتي تعرف في الفكر اليهودي بفترة التلمود) تذكر أن طلاب المدارس الدينية اليهودية اعتادوا الجلوس بجوار الأضرحة لدراسة التوراة يومًا في العام، بينما اعتاد العامة من اليهود الذهاب لزيارة تلك القبور طوال أيام السنة (١٤٣).

كما تفيد الوثائق، أن مثل هذه العادات سادت في المغرب بدءًا من القرن الحادي عشر، ولكنها شاعت بشكل ضخم بدءًا من القرن السادس عشر، وكانت هذه الظاهرة محدودة للغاية حتى الفترة التي أصبحت فيها المغرب محمية فرنسية (١٩١٢-١٩٥٦م)، لكنها شاعت إبان الثلاثينات أو الأربعينات من القرن العشرين. وكان من بين العوامل التي ساهمت في شيوع هذه الظاهرة: إقامة المباني الحديثة التي شجعت الزوار على الإقامة بجوار الأماكن التي يوجد بها قبور، بالإضافة إلى أن تشييد الطرق الحديثة ساعد اليهود وشجعهم على الانتقال بسهولة من أماكن إقامتهم لزيارة الأضرحة، وكان من بين هذه العوامل أنه تأسست في عام ١٩٤٧م لجنة للإشراف على حماية هذه المقابر وكانت هذه اللجنة تتولى أيضًا مهمة جمع التبرعات (١٤٤).

أشهر أماكن الزيارات:

يبلغ عدد أضرحة اليهود في المغرب نحو ٦٥٢ مكانًا، من بينهم ٢٥ ضريحًا لسيدات(١٤٥)، وتضم قائمة الأضرحة هذه على بعض الشخصيات المسلمة، التي تحظى هي الأخرى بالتقديس والتبجيل من قبل السكان اليهود(١٤٦).

وفي المغرب الكثير من الأماكن والأشياء في الطبيعة مرتبطة بالصديقين، مثل: أخشاب، وشجيرات، وأحجار، وصخور، وآبار مياه، وشلالات مياه، وأنهار، ومغارات وجبال. ومع مرور الزمن ارتبطت هذه الأماكن ارتباطًا وثيقًا بأسماء أصحاب الأضرحة(١٤٧).

وشاع بين يهود المغرب أنه عندما يتم الكشف عن ضريح جديد فإن المسيح المخلص سيظهر، وأن الخلاص سيتحقق، كما أن الخلاص لن يشمل يهود المغرب وحدهم بل سيشمل كل يهود العالم([١٤٨]).

أشهر الأضرحة:

يمكن تقسيم الصديقين اليهود إلى مجموعات، تقف على رأسها شخصيات يهودية شهيرة ذات أصول فلسطينية مثل "إلياهو النبي"، وربي "شمعون بر يوحاي([١٤٩])" وربي "منير بعل هنيس([١٥٠])"، ويمكن إدراجهم ضمن المجموعة التالية، والتي تتمثل في مبعوثي يهود فلسطين الذي سافروا للمغرب بداية من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين لجمع التبرعات والصدقات من يهود المغرب لصالح يهود فلسطين، لكن وافتهم المنية هناك. المجموعة الثالثة تتكون من شخصيات يهودية قتلت غيلة أو خلال أحداث عنف. المجموعة الرابعة وتضم المئات من الشخصيات اليهودية المحلية، من مختلف الطبقات وأغلبهم من الحاخامات والقضاة والزعماء الروحانيين ومن بينهم أيضًا النساء، كانوا نموذجًا وقدوة أثناء حياتهم. وتدخل المجموعة الخامسة ضمن إطار المجموعة السابقة وتتكون من عائلات يهودية معظمها من جنوب المغرب يتمتع أفرادها بمكانة الصديقين مثل عائلة ربي "دافيد كوهين" في وادي السوس، وعائلة ربي "حاييم بنتو" في موجادير وعائلة ربي "يعقوب أبو حصيرة([١٥١])" في تافيلالت. ومع تطور ظاهرة زيارة الأضرحة في المغرب جمعت هذه العائلات ثروات مالية ضخمة بالإضافة لمكانتها الروحية. أما المجموعة السادسة والأخيرة فهي مجموعة من الصديقين الذين ظهروا في الأحلام لمريديهم يطلبون منهم إقامة قبور لهم أو يرشدونهم للمكان الذي دفنوا فيه ([١٥٢]).

وكان للصديقين الذين جاءوا من فلسطين إلى المغرب وضع خاص ومكانة متميزة، فقد كان هناك ستة ضريحًا من فلسطين من بين الاثني عشر ضريحًا الذين كانوا على قدر كبير من الشهرة في أوساط يهود المغرب(١٥٣).

وتعد القداسة والقوة الخارجة التي ترتبط بالصديق أمرًا يورثه صاحبه لذريته الذين قد يبالغون أحيانًا في التصرف فيه. ولقد اشتهرت عائلتان ظلتا إلى عهد قريب، تبالغان في الاستفادة من هذا الموروث، وهما أحفاد الربي "حاييم بنتو"، الذي عاش في بداية القرن التاسع عشر، ويقع قبره بالمقبرة القديمة في الصويرة (موجادير سابقًا). وأحفاد الربي " دافيد بن باروخ هكوهين"، في القرن التاسع عشر، الذي دفن في قرية في أعالي تارودانت في وادي السوس(١٥٤).

ومن جراء تدفق الأموال والتبرعات والهبات وعمليات البيع والشراء حول الأضرحة؛ أقيمت لجان محلية للإشراف على تنظيم هذه الأمور بعد أن كانت تتم بمبادرات شخصية، وشرعت اللجان بتنظيم الزيارات وإعداد المكان لاستقبال الزائرين، كما يقومون بتوزيع إعلانات بين

التجمعات اليهودية يدعونهم فيها لزيارة الضريح. وفي إبريل من عام ١٩٤٧م أقيمت لجنة مركزية للإشراف على كل اللجان المحلية المعنية بالأضرحة في مختلف أنحاء المغرب.

طقوس الزيارة:

تتوجه جموع اليهود للضريح في يوم الذكرى السنوية لوفاته([١٥٥]) وحينما يكون القبر قريبًا من الأماكن التي يقيم فيها اليهود فإنهم كانوا يقومون بزيارته أسبوعيًا([١٥٦])، وكذلك في أيام الأعياد اليهودية خاصة في الفترة التي تعقب الاحتفال بعيد الفصح، وفي عيد يوم الغفران وعيد رأس السنة العبرية([١٥٧]).

وتستمر زيارة الضريح سبعة أيام أحيانًا، حيث تقام هناك صلوات جماعية([١٥٨])، وتوقد الشموع أو كؤوس الزيت. ويقدم الزائرون عطايا للفقراء ونذورًا، ومنهم من يغتسل في مياه المغارات المقدسة، مثل تلك الموجودة في الجبل الكبير بالقرب من مدينة سفرو، لاعتقادهم في قدرتها على العلاج([١٥٩]). ويضع الزائرون على الأضرحة زجاجات مياه أو زيت بغرض أن تحل عليها بركة الصديق([١٦٠]).

ويقضي الزائرون أوقات طيبة في تناول الأطعمة الشهية والشرب والرقص والغناء، ويسود جو من الود والألفة([١٦١])، واعتاد الكثيرون ذبح أي نوع من الماشية بالقرب من القبر، وإعداد الولائم الكبيرة ذات المأكولات الشهية.

وتكون هذه الزيارة مناسبة للإبداع الأدبي سواء بالعبرية أو باللهجات المحلية، وتبرز في هذا المقام القصائد الطويلة أو القصص المغناة التي تحكي سيرة صاحب الضريح الخارقة للعادة، وهي سيرة مليئة بالأحداث العظمى، وأعماله العجيبة. كما ترتجل عادة مقطوعات قصيرة تغنى أثناء إشعال قنديل الزيت، أو شمعة مهداة للصديق([١٦٢]).

وكان من بين عادات يهود المغرب قص شعر الطفل للمرة الأولى بجوار الضريح إيمانًا بأن ذلك سيضمن النجاح للطفل في المستقبل، وكان من بين عاداتهم أيضًا بيع الشموع بأسعار باهظة بجوار هذه القبور، كما كانوا عادة ينشدون القصائد ويرقصون عند إشعال الشموع بجوار الضريح([١٦٣]).

كرامات أصحاب الأضرحة:

تتردد بين يهود المغرب العديد من القصص والحكايات الخرافية حول شخصية الصديقين وما وقع لهم ومنهم من معجزات، مثل: ربي رفائيل هكوهين، وربي مخلوف بن يوسف أبو

حصيرا، وربي دافيد موشيه أو الملقب بسيدي مسعود، وربي رفائيل أنقاوه، وربي إيلي بن إسحاق المشهور باسم علي بن إسحاق، وربي سيدي أبو الأنوار، وربي يعقوب هليفي بن شبات، وربي عمرام بن ديوان وربي يعقوب ناحمياس (١٦٤). ويعتقد أنه بإمكانهم الإتيان بالمعجزات والخوارق، ليس فقط أثناء حياتهم بل أيضًا بعد موتهم.

وقد كان اليهود يؤمنون أنه بمقدور هؤلاء شفاء المرضى، وتمكين المرأة العاقر من الإنجاب([١٦٥])، وتمكين العجزة من السير على أقدامهم، والمكفوفين من الإبصار. ونتيجة لأن اليهود كانوا يؤمنون أن الصديقين يحافظون على حياة المدينة وأمنها؛ فقد ساد اعتقاد مفاده أن هؤلاء الصديقين يوفرون الحماية لأبناء المدينة من كافة أنواع الشرور. ولم يكتف اليهود بالإيمان بمقدرات الصديق إذ كانوا يولون أيضًا قدرًا كبيرًا من القداسة لكل ما يحيط بالضريح من حجارة وأشجار وغيرها، وكان زوار هذه القبور يأخذون أي مخلفات حول هذا المكان ويحتفظون بها إيمانًا بأنها ستوفر لهم الأمن (١٦٦).

كما كان الصديق يظهر في الحلم لأبناء الطائفة، وكان يخبرهم بسبل الشفاء من الآلام أو على الأماكن التي اختفت فيها الأشياء([١٦٧]).

هكذا، عاش اليهود في المغرب يتمتعون باستقلال ذاتي وحرية كاملة، وهم في ذلك جزء متمم للمجتمع المغربي، وليسوا طائفة عرقية مختلفة عن بقية نسيج الوحدة الوطنية المغربية، حيث لم يتم تصنيف اليهود في المغرب على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، بل تمتعوا بكافة حقوقهم السياسية والقانونية في ظل العدل والمساواة.

وتبدو المملكة المغربية مختلفة عن سائر الدول العربية في تعاطيها مع اليهود إذ يوجد متحف يهودي في الدار البيضاء إضافة الى مدرستين يهوديتين في المدينة يتساوى فيها عدد الطلاب اليهود والمسلمين حيث يتابعون الدراسة باللغات العربية والعبرية والفرنسية.

وأتيحت لليهود في المغرب لهم إمكانية تسيير وتنظيم شئون حياتهم الداخلية والإشراف على مؤسساتهم والحفاظ على معتقداتهم وثقافتهم، وأتيحت لهم ممارسة كافة الأنشطة الاقتصادية والمشاركة في كل المجالات الاجتماعية، حيث لم يفرض عليهم أي حظر سواء في مزاولة مهنة ما أو في الإقامة في أماكن بعينها. وربما هذا هو سر الحنين والارتباط المقدس الذي يربط يهود المغرب بوطنهم الأول المغرب، تلك الرابطة التي لم تنفصم عراها رغم هجرة اليهود المغاربة لمختلف أنحاء العالم بما فيها إسرائيل، بل كانوا يحرصون أشد الحرص على العودة إلى الجذور إلى هويتهم الحقيقية التي افتقدوها خارج الأراضي المغربية.

الهوامش:

(١) **On this point see**: Laskier, Michael M., "Zionism and the Jewish Communities of Morocco: 1956-1962", Studies in Zionism, Volume 6, Nr. 1, Whole Nr. 11, Spring 1985, The Institute for Zionist Research, Ramat Aviv, Tel Aviv, (p.119).

(٢) إدريس ولد القابلة، ملف المغرب واليهود والموساد، الحلقة الثانية، ديسمبر ٢٠٠٥:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article2795

(٣) ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، إصدار معهد أبحاث الشتات، جامعة تل أبيب، تل أبيب، ١٩٩٢، (ص ص ١٤٩- ١٥٠)، [بالعبرية].

(٤)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ١٨٩).

(٥)محمد الحبيب بن الخوجة، يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٣م، (ص ١٥٢).

(٦)انظر:حسان عوض، جغرافيا المدن المغربية: على ضوء تطورها الديموغرافي الحالي، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٤م، (ص ص٣٣-٣٤).

(٧)محمد الحبيب بن الخوجة، مرجع سابق، (ص ١٥٢).

(٨) دافيد سيطون، الجاليات اليهودية السفارادية في العصر الحديث، إصدار لجنة الطوائف السفارادية، القدس، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٨٢،(ص ١٤٨)، [بالعبرية].

(٩)خليل إبراهيم الطيار، "يهود المغرب"، في: ندوة يهود الأقطار العربية، (بغداد: ١٣-١٤/١/١٩٨٧م)، سلسلة دراسات فلسطينية ٢٣، مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩٠م ، (ص ٢٣٤).

(١٠)محمد كنبيب، يهود المغرب ١٩١٢-١٩٤٨م، ترجمة: إدريس بنسعيد، تقديم: أندري أزولاي، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم ٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس،الرباط، ١٩٩٨م، (ص ٣١٥).

(١١)بيانات التركيب السكاني للمغرب، موقع إسلامك نيوز، يوليو ٢٠٠٧:
http://www.islamicnews.net/Common/ViewItem.asp?DocID=49823&TypeID=2&ItemID=219

(١٢) صلاح السعدي، مدارس اليهود بالمغرب لا تحمل وزر إسرائيل، موقع إسلام أون لاين.نت، ٢٠٠٦/٧/٣م:
http://www.islamonline.net/arabic/news/2006-07/03/03.shtml

(١٣)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ١٥٠).

(١٤)علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، دراسات فلسطينية رقم ٨٥، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١م، (ص ٢٧٣).

(١٥)حسان عوض، مرجع سابق، (ص ٣٧).

(١٦)الملاح: يزعم البعض أن الكلمة مشتقة من الملح، وذلك يرجع إلى ارتفاع نسبة الملوحة في أراضي أول ملاح أقيم في المغرب وبالتحديد في مدينة فاس عام ١٤٣٨م ، بينما يرى البعض الآخر أن أصل التسمية ترجع إلى اشتغال معظم سكان أول تجمع سكني لليهود في المغرب –المذكور آنفًا– بصناعة الملح .

(١٧) Ben-Rafael, Eliezer, The Emergence of Ethnicity: Cultural Groups and Social Conflict in Israel, Greenwood Press, West Port, London, 1982, (p.35).

(١٨) راؤوفين آهاروني، الجاليات اليهودية في البلاد العربية، إصدار دار الشتات، ١٩٩٦، (ص ٣)، [بالعبرية].

(١٩)علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ص ٢٧٨-٢٧٩).

(٢٠)صموئيل اليتجر، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠م، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٩٧، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٥م، (ص ٣٧٥) .

(٢١)انظر: علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ص ٢٧٩-٢٨٠).

(٢٢) منظمة الجوينت: أسسها يهود من أصول ألمانية عام ١٩١٤م في الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل توفير الرعاية والمساعدة لليهود في مختلف أنحاء العالم، على شكل ملابس، طعام، وبرامج تعليمية وفنية، يعتمد جزء كبير من تمويلها على صندوق الجباية اليهودي الموحد. (ميخائيل ليسكر، " التعليم اليهودي في المغرب"، مجلة بيعاميم، العدد ٩، ١٩٨١، ص ٩٥، [بالعبرية]).

(٢٣)لوبافيتش: جماعة "حبد" اختصار الكلمات العبرية "حكمة وفهم ومعرفة" أسسها "ربي شنيئور زلمان" في بيلوروسيا، ثم انتقل مركز الحركة بين الحربين العالميتين إلى لتفيا، ثم إلى بولندا، وأخيرًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م. و"لوبافيتش" هو اسم المدينة الروسية التي أقام بها زعيم الحركة الثاني "ربي دوف بر "وهو ابن مؤسس الحركة. (لمزيد من التفاصيل انظر، رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٨٦، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٩٤م، ص ص ٢٥٦-٢٩٠).

(٢٤) ORT: تأسست هذه المنظمة في عام ١٨٨٠م في لينينجراد في روسيا لزيادة النشاطات الإنتاجية بين اليهود عن طريق تأهيلهم مهنيًا وزراعيًا، وبعد الحرب العالمية الأولى عملت "أورت"خارج روسيا. وفي عام ١٩٢١م، أقيم مركز عالمي لها في سويسرا. وفي نهاية عام ١٩٤٨م، أقيم فرع لها في إسرائيل، وهي تتمتع الآن بأكبر شبكة من المؤسسات التعليمية المهنية، وقد تأسست مدارس "أورت" الفنية في الدار البيضاء عام ١٩٤٦م

(٢٥)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٧٦) .

(٢٦)صلاح السعدي، مرجع سابق.

(٢٧)ميخائيل ليسكر، التعليم اليهودي في المغرب، مرجع سابق، (ص ٨٠).

(٢٨)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٦١، ٦٣).

(٢٩)المرجع نفسه.

(٣٠)صموئيل اتينجر، مرجع سابق،(ص ٣٠٩) .

(٣١)ميخائيل ليسكر، التعليم اليهودي في المغرب، مرجع سابق، (ص ٨٢).

(٣٢)الإليانس: مؤسسة يهودية أقيمت في فرنسا عام ١٨٦٠م تحت اسم "Alliance Israelite Universelle" (AIU) الاتحاد الإسرائيلي العالمي وتعرف اختصارًا بالإليانس، وتعرف في المصادر العبرية باسم "كل شعب إسرائيل أصدقاء ". وتسعى لتحسين أوضاع اليهود في الشتات؛ وركزت نشاطها في الدول الإسلامية، خاصة في مجال التعليم؛ ولذلك أقامت شبكة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية، وفي البلقان. (حاييم سعدون ويوئيل ريفل "محرران"، عمليات تهجير اليهود السرية من البلدان الإسلامية، إصدار معهد بن تسفي، القدس، ١٩٩٧، (ص ٢٥)، [بالعبرية].

(٣٣)صلاح السعدي، مرجع سابق.

(٣٤)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ص ١٥٤- ١٥٥).

(٣٥) Ben-Rafael ,Eliezer ,Op. Cit., (p.35).

(٣٦)علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ٢٨٢).

(٣٧)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٨١).

(٣٨)رابطة درع داود: أقيمت الخلية الأولى لهذه الجماعة في عام ١٩١٧م في طنجة، ثم بعد ذلك في الدار البيضاء، بزعامة شموئيل دانيائيل ليفي، وتحمست هذه الجماعة لتعليم اللغة العبرية الحديثة في أوساط يهود المغرب. وفي ثلاثينات القرن العشرين، وسعت الرابطة من نشاطها: جمع الأموال للاستيطان اليهودي في فلسطين والاتصال المباشر مع الزعماء الصهيونيين. وفي عام ١٩٤٤، أقام "اتحاد درع داود" في الدار البيضاء مركزًا خاصًا للتأهيل لنشر اللغة العبرية. (انظر: ميخائيل ليسكر، التعليم اليهودي في المغرب، مرجع سابق، (ص ٨٨).

(٣٩)ميخائيل ليسكر، التعليم اليهودي في المغرب، مرجع سابق، (ص ٨٩).

(٤٠)تأسست في نيويورك من طرف يهود سفارديم ضمنهم يهود مغاربة، ورأس فرعها المغربي الصهيوني شموئيل دانيائيل ليفي.

(٤١)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٠) .

(٤٢)ميخائيل ليسكر، التعليم اليهودي في المغرب، مرجع سابق، (ص ٩٥).

(٤٣)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١١) .

(٤٤)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٧٥).

(٤٥)رابطة شارل نيطر-Charles Netter:رابطة صهيونية للشباب اليهودي تأسست في الدار البيضاء عـام ١٩٣٠م، تحمل اسم يتسحاق شارل نيطر، وهو متبرع رجل أعمال يهودي فرنسي ومفكر ومؤسس المدرسة الزراعية الأولى في فلسطين "مكفيه يسرائيل"، ولد في فرنسا عام ١٨٢٦م وهاجر إلى فلسطين عـام ١٨٧٠م وتوفي عام ١٨٨٢م ودفن في "مكفيه يسرائيل"وأطلق اسمه على مستوطنة "كفار نيطر" في الساحل. (انظـر: أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركـات العجرمـي، دار الجليـل للنشـر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ١٩٨٨م، ص ٣١١).

(٤٦)ناحوم مناحيم، اضطرابات وتمييز طائفي في إسرائيل، إصدار روبين، رمـات جـان، ١٩٨٣، (ص ١٤٢)، [بالعبرية].

(٤٧)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٩٤) .

(٤٨)صلاح السعدي، مرجع سابق.

(٤٩)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ١٥٣).

(٥٠)تقتصر هذه الأرقام على المنطقة المغربية الخاضعة للحماية الفرنسية ولا تشمل المنطقة المغربية الـتي كانـت تسيطر عليها أسبانيا.

(٥١)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٣١).

(٥٢) المرجع نفسه، (ص ٢٣٤).

(٥٣) موشيه ليفيشايتس، تاريخ يهود الشرق والغرب في العصر الحديث، إصدار أور عام، تل أبيـب، ١٩٨٧، (ص ص ١٥١- ١٥٢)، [بالعبرية].

(٥٤)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٤٩) .

(٥٥)موشيه ليفيشايتس، مرجع سابق، (ص ١٥٢).

(٥٦)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٢٨٨) .

(٥٧)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٣٢).

(٥٨)موشيه ليفيشايتس، مرجع سابق، (ص ١٥٢).

(٥٩)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٥٧).

(٦٠)نور الهدى حسن عبد العال، الجوانب الاقتصادية للطوائف اليهودية بجنوب المغرب، مطبعة أمبريال، القاهرة، ١٩٩٤م، (ص ٢٢).

(٦١)السـمحيا:وهو الشراب المفضل لدى اليهود، وكانوا يصنعونه من ثمر التين والبلح ومخلفات العسل.

(٦٢)انظر:حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ص ١٤٩- ١٥١) .

(٦٣)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٩٢- ٩٣).

(٦٤)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٤٩) .

(٦٥)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٣٤).

(٦٦) إيليعازر باشان، "حرفيون يهود في المغرب في القرنين ١٨-١٩ الميلاديين: في حكايات الرحالة من مصادر يهودية "، في: ميخائيل أفيطبول "محرر"، يهود شمال إفريقيا في القرنين ١٩-٢٠ الميلاديين، إصدار معهد بن تسفي، القدس، ١٩٨٠، (ص ٩)، [بالعبرية].

(٦٧) إدريس ولد القابلة، ملف المغرب واليهود والموساد، الحلقة الثانية، مرجع سابق.

(٦٨)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٥٤-١٥٥) .

(٦٩)إيليعازر باشان، مرجع سابق، (ص ٩).

(٧٠)نور الهدى، مرجع سابق ، (ص ص ١٥-١٦) .

(٧١)إيليعازر باشان، مرجع سابق، (ص ص ٦- ٧).

(٧٢)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ص ١٥٥ –١٥٦).

(٧٣)إيليعازر باشان، مرجع سابق، (ص ص ٥-٦).

(٧٤)موشيه ليفيشايتس، مرجع سابق، (ص ص ١٥٢- ١٥٣).

(٧٥)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٨٣).

(٧٦)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٣٢).

(٧٧)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٨٣).

(٧٨)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٣٣-٢٣٤).

(٧٩)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٨٣).

(٨٠)المرجع نفسه، (ص٢٩٣).

(٨١)حكومة فيشي:وهى الحكومة الفرنسية الموالية للنازي، بعد اجتياح ألمانيا لفرنسا في يونيو ١٩٤٠م، حيث تم تقسيم فرنسا إلى قسمين: الأول يقع شمال غرب فرنسا وهى منطقة محتلة تخضع للسيطرة الألمانية المباشرة، والثاني يقع في الجنوب وهى منطقة حرة لكن تحت التأثير الألماني، وفي هذه المنطقة الحرة أقيمت حكومة فرنسية عرفت باسم حكومة فيشي، على اسم المدينة التي اختيرت كمقر لهذه الحكومة، واستمر هذا الحكم في المغرب خلال الفترة ١٩٤٠-١٩٤٢م. (حاييم سعدون ويوئيل ريفل مرجع سابق، ص ٢١).

(٨٢)جدع جلادي، إسرائيل نحو الانفجار الداخلي:التقاطب بين المستوطنين الأوروبيين وأبناء دار الإسلام، دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، (ص٣٦) .

(٨٣) أنيس بن سيمون، الحسن الثاني واليهود: قصة هجرة اليهود السرية من المغرب، ترجمه من الفرنسية: ميخائيل أفيف، إصدار سفري يديعوت أحرونوت وسفري حيميد، تل أبيب، ١٩٩٣، (ص ٦٢)، [بالعبرية].

(٨٤) يتسحاق جرشون، "مساعدة اللاجئين اليهود في المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية"، في: يتسحاق أفرهامي "محرر"، جذور في الشرق، المجلد ٢، إصدار الكيبوتس الموحد، تل أبيب، ١٩٨٩، (ص ٢٧٨)، [بالعبرية].

(٨٥)صحيفة الحياة اللندنية، طبعة القاهرة، ١٩٩٩/٥/٧م.

(٨٦)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص٣٠١) .

(٨٧)المرجع نفسه، (ص٢٩٢) .

(٨٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص٣٦).

(٨٩)خليل إبراهيم الطيار ، مرجع سابق ، (ص ٢٤٢).

(٩٠)أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٨٣).

(٩١)انظر: أفرهام هطال، "الصحافة اليهودية في المغرب"، مجلة بيعاميم ، عـدد ٥٧، خريف ١٩٩٤، (ص ص ١٢٧- ١٢٨، ١٣١)، [بالعبرية]؛ وانظر أيضًا: أفرهام هطال، الصحافة اليهودية في شمال إفريقيا، إصدار معهد بن تسفي، القدس، ١٩٨٠ (ص ٥٧، ٦١)، [بالعبرية]؛ الحركة الصهيونية في المغرب، يوليو ٢٠٠٧:
http://www.islamicnews.net/Common/ViewItem.asp?DocID=49823&TypeID=2&ItemID=233

(٩٢)الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٩٣)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص٣٢٧).

(٩٤)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ص٢٨٤-٢٨٥).

(٩٥)المرجع نفسه، (هامش ٣٠ ص٢٨٥).

(٩٦)ميخائيل ليسكر، " هجرة يهود المغرب: سياسة إدارة الحماية الفرنسية وموقف المنظمات اليهودية العالمية ١٩٤٩-١٩٥٦"، في: يتسحاق أفرهامي "محرر"، جذور في الشرق، المجلد ٢، إصدار الكيبوتس الموحد، تل أبيب، ١٩٨٩، (ص ٣٢٨)، [بالعبرية].

(٩٧)الحبيب بن الخوجه، مرجع سابق، (ص ١٨٤).

(٩٨)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ص٢٩٠-٢٩١).

(٩٩)خليل إبراهيم الطيار، مرجع سابق، (٢٢٧).

(١٠٠)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية ،مرجع سابق ،(ص ٢٨٧).

(١٠١)أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٤٧).

(١٠٢)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية ،مرجع سابق ،(ص ص٢٨٧-٢٨٨).

(١٠٣) أندري أزولاي:ولد في موجادير بالمغرب، عمل لفترة طويلة في الصحافة بدأها في المغرب ثم بعد ذلك في باريس. وعندما هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٦٨م حاول ممارسة الصحافة هناك لكنه فشل فعاد إلى باريس واستقر بها، ثم ترك الصحافة واحترف العمل في البنوك وشغل منصب نائب رئيس بنك " Paris Bas "،كما

شغل منصب نائب رئيس المركز الدولي للسلام في إسرائيل. (جدعون ليفي، "عندما يقولون أوزلاي فما الذي تفكر فيه؟"، ملحق صحيفة هاآرتس، عدد ١٩٨٩/٣/٣، ص ١١، [بالعبرية]).

(١٠٤)مأمون كيوان، مرجع سابق، (ص١٠٠) .

(١٠٥)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص٢٨٩).

(١٠٦)المرجع نفسه، (ص٢٨٩).

(١٠٧)الحبيب بن الخوجه، مرجع سابق، (ص١٨٣).

(١٠٨)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ص٢٨٩-٢٩٠).

(١٠٩)انظر:مأمون كيوان، مرجع سابق، (ص١٠٠).

(١١٠)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ص٢٧٣-٢٧٤).

(١١١)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص٣٦١).

(١١٢)المرجع نفسه، (ص ص٣٦١-٣٦٢).

(١١٣)الحبيب بن الخوجه، مرجع سابق، (ص ١٤٥).

(١١٤)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٦٢).

(١١٥)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ٢٧٤).

(١١٦)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣٦٣).

(١١٧)المرجع نفسه، (ص ٣٦٣).

(١١٨)علي إبراهيم عبده وخيريه قاسمية، مرجع سابق، (ص ٢٧٥).

(١١٩)الحبيب بن الخوجه، مرجع سابق، (ص ١٤٦).

(١٢٠)المرجع نفسه،(ص ١٨٢).

(121) انظر: أحمد الشحات هيكل، المكونات الثقافية ليهود المغرب وتطورها في إسرائيل، مجلة آفاق أفريقية، المجلد الثالث، عدد ١١، خريف ٢٠٠٢، الهيئة العامة للاستعلامات، (ص ص ٢٥-٤٢).

(122)انظر: أحمد الشحات هيكل، عيد الميمونة بين الرمز الفلكلوري والبعد السياسي، مجلة القدس، عــدد ٥٨، أكتوبر ٢٠٠٣، مركز الإعلام العربي، القاهرة، (ص ص ٩٤- ١٠٢).

(١٢٣)سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مجلة الدراسات الشرقية،ع ١٥، يوليو ١٩٩٥م، (ص ٢١٧).

(١٢٤) هيرفي جولدبرج، " عيد الميمونة في المغرب"، في : شلومو دشان وموشيه شوكيد "محرران"، يهود الشرق: دراسات أنثروبولوجية عن الماضي والحاضر، إصدار دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، ١٩٨٤م، (ص ١٠٨)، [بالعبرية].

(١٢٥) حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٢٤٢) .

(١٢٦)هيرلي جولدبرج، مرجع سابق، (ص ١١٣).

(١٢٧) موشيه بن ميمون: (٣٠ مارس ١١٣٥ - ١٣ ديسمبر ١٢٠٤م) يعرف اختصارًا في العبرية بـ"هارامبام". واشتهر عند العرب بالرئيس موسى .وُلد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة ١١٥٩ إلى مدينة فاس المغربية حيث درس بجامعة القرويين و سنة ١١٦٥ إلى فلسطين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى وفاته. عمل في مصر نقيباً للطائفة اليهودية، وطبيبًا لبلاط الوزير الفاضل أو السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استطبه ولده الملك الأفضل علي.كان متميزًا في صناعة الطب وله معرفة جيدة بعلم الفلسفة يوجد معبد باسمه في العباسية بالقاهرة.

(١٢٨) المسيح المخلص: وهو من نسل الملك داوود، وهو بطل قومي يتميز بصفات خارقة، يأتي ليخلص اليهود من الشتات ويعود بهم لأرض الميعاد لإقامة مملكة الخلاص النهائية؛ حينئذ يسود السلام وتزول الأحقاد وتأتي جميع الأمم لتؤدي فروض الطاعة والولاء لليهود. وأصبحت فكرة الخلاص المسيحاني أحدى المعتقدات الغيبية الرئيسة في الديانة اليهودية وهناك مبشرات على قرب ظهور المسيح المخلص من أبرزها ظهور إلياهو النبي.

(١٢٩)التلمود: المصدر الثاني للتشريع اليهودي، وإن أصبح الآن يحظى باهتمام أكبر من العهد القديم. ويتكون التلمود من المشنا وهي الشرائع الشفوية ومن الجمارا وهي شروحات لنص المشنا، وهناك التلمود البابلي والتلمود الفلسطيني، ونص المشنا فيهما واحد لكن نص الجمارا هو المختلف، والتلمود البابلي هو الأضخم والأشمل.

(١٣٠) هيرلي جولدبرج، مرجع سابق، (ص 109).

(١٣١) عيد الفصح: ويبدأ ليلة ١٤ من نيسان، وعيد الربيع لأنه يأتي في الربيع، وعيد الفطير لأن طقوسه تفرض على اليهود أن يأكلوا فيه خبز بلا ملح أو خميرة، وهو عيد الحرية ففيه خرج موسى ببني إسرائيل من مصر. ومدته سبعة أيام ليهود فلسطين وثمانية أيام لمن خارجها. (لمزيد من التفاصيل انظر: حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٩٩٥م، ص ص ١٨١-١٨٩).

(١٣٢) الصلوات الواجبة على اليهودي ثلاث في اليوم: صلاة السحر " الفجر "، صلاة نصف النهار أو القيلولة، وصلاة المساء أو صلاة الغروب.

(١٣٣)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ص ٢٤٢-٢٤٣) .

(١٣٤)انظر:سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مرجع سابق، (ص ص٢٣٠-٢٣١).

(١٣٥)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٢٤٣) .

(١٣٦) هيرلي جولدبرج، مرجع سابق، (ص 108).

(١٣٧)سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مرجع سابق، (ص ٢٣٥).

(١٣٨) حاييم الزعفراني، مرجع سايق، (ص ٢٤٤)، انظر أيضًا: هيرلي جولدبرج، مرجع سابق، (ص ١١٠).

(١٣٩)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ٢٤٥) .

(١٤٠) سوزان السعيد،موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة،مرجع سابق، (ص ٢١٧).

(١٤١) الصديقين: وهو مصطلح خاص بالمعتقدات اليهودية، وله نفس النطق في العبرية " تساديق" ويسبق اسمه لقب "ربِّي " أي أستاذ.وهو شخص يتمتع بخصال روحانية خاصة تؤهله لأن يقوم بدور "الرسول" أو "الوسيط"، بين العوالم العليا والعوالم السفلى (بين الخالق والمخلوقات)، وقوة "الصديق" هي قوة هائلة فهو يمتلك قدرات إعجازية سواء في حياته أو بعد مماته، ومكانته تفوق مكانة الملائكة، ولا يمارس تأثيره عن طريق دراسة التوراة، بل عن طريق إيمانه وتأمله الصوفي. ويطلق على "الصديق" الآن في إسرائيل لقب "الأدمور"، وهو اختصارًا للكلمات العبرية التي ترجمتها: "سيدنا، وأستاذنا ومعلمنا".(لمزيد من التفاصيل انظر: رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، ص ص ٢٥٠-٢٥٣).

(142)انظر: أحمد الشحات هيكل، زيارة قبور "الصديقين" بين الماضي المغربي والحاضر الإسرائيلي، مجلة القدس، عدد ٥٥، يوليو ٢٠٠٣، مركز الإعلام العربي، القاهرة، (ص ص ٨٠- ٨٩).

(١٤٣) يشكر بن عامي، " طقوس زيارة الأضرحة بين يهود المغرب، بدايتها في المغرب و فلسطين "، مجلة مقيدم أو ميام، دراسات حول المجتمع اليهودي في بلاد الإسلام وفي الشتات الأندلسي، العدد ب، ١٩٨٦م، حيفا، (ص١٠٩)،[بالعبرية].

(١٤٤)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ص ٣١٦-٣١٧)، انظر أيضًا: يشكر بن عامي، طقوس زيارة الأضرحة بين يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ١١٠).

(١٤٥)يوسيف شطريت، "دراسة طقوس زيارة الأضرحة في أوساط يهود المغرب"، مجلة بيعاميم، عدد ٣٢، ١٩٨٧، (ص ١٣٥)، [بالعبرية].

(١٤٦)يشكر بن عامي، " طقوس زيارة الأضرحة في أوساط يهود ومسلمي المغرب"، في: مناحيم زهري وآخرون "محررون"، الفكر العبري في البلدان الإسلامية، إصدار الوكالة اليهودية، القدس، ١٩٨٢، (ص ١٧٦)، [بالعبرية].

(١٤٧)يشكر بن عامي، طقوس زيارة الأضرحة بين يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ١١٠).

(١٤٨) صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٥).

(١٤٩) شمعون بر يوحاي: ينسب إليه تأليف كتاب الزوهر "الإشراق"، أحد المصادر الرئيسة للتصوف اليهودي، ويحتفل بذكراه في١٨ من أيار/ أبريل أي بعد نحو ٣٣ يومًا من عيد الفصح .

(١٥٠) مئير بعل هنيس: بمعنى مئير صاحب المعجزات، ويحتفل به في ١٤ من شهر أيار/أبريل.

(١٥١) يعقوب أبو حصيرا: ولد عام ١٨٠٧م في مدينة تافيلالت في المغرب، وتوفي عام ١٨٨٠م في مصر، ومدفون حاليًافي عزبة دمتيوه بالقرب من مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة.

(١٥٢) يوسيف شطريت، مرجع سابق، (ص١٣٨- ١٣٩).

(١٥٣)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٥).

(١٥٤)حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ١٧٠) .

(١٥٥) يورام بيلو، "تقديس الصديقين في أوساط مهاجري المغرب في إسرائيل- المضامين والمغزى"، في: نعمى كوهين واورا أحيمئير"محررتان"، اتجاهات جديدة في بحث المشكلة الطائفية، إصدار معهد القدس لأبحاث إسرائيل، القدس، ١٩٨٤م، (ص ٤٥)،[بالعبرية].

(١٥٦) صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٦).

(١٥٧)يوم الغفران: أي يوم الكفارة وهو اليوم العاشر من تشري ويصوم فيه اليهود، رأس السنة العبرية : في شهر تشري وتستغرق طقوس الاحتفال بها ثلاثة أيام.

(١٥٨) الصلاة في اليهودية تقتضي وجود عشرة أشخاص، وهو ما يعرف في العبرية باسم " المنيان " أي النصاب، و لا تقل أعمارهم عن سن البلوغ الشرعي في اليهودية وهو ١٣ عامًا.

(١٥٩)يديدا خلفون ستيلمان، من المغرب إلى بلدة شلومي: بقايا العناصر الثقافية، إصدار المجتمع لأبحاث العلـوم التطبيقية، جامعة حيفا، ١٩٨٣م، (ص ١٦)، [بالعبرية].

(١٦٠) صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٦).

(١٦١) يورام بيلو، مرجع سابق، (ص ٤٥).

(١٦٢) حاييم الزعفراني، مرجع سابق (ص ١١٧).

(١٦٣)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٦).

(١٦٤)انظر: يششكر بن عامي، طقوس زيارة الأضرحة في أوساط يهود ومسلمي المغرب"، مرجع سابق، (ص ص ١٧٦-١٨٠)؛ انظر أيضًا: حاييم الزعفراني، مرجع سابق، (ص ص ٢١٨-٢١٩) .

(١٦٥) يذكر أن النساء العاقرات أحيانًا يقمن في المقبرة بجوار الصديقين، في غرف صغيرة مخصصة لهذا الغرض، ويقضون بها ثلاثة أو سبعة أيام متتابعة، يتوسلون ويتعبدون من أجل شفائهم (حاييم الزعفراني، مرجع سابق، ص ١١٨).

(١٦٦)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٥).

(١٦٧) المرجع نفسه.

الفصل الثالث

النشاط الصهيوني في المغرب

(١٩٠٠-١٩٦٤م)

أولاً: النشاط الصهيوني في المغرب (١٩٠٠م - ١٩٤٧م)

تشير العديد من الإحصائيات التي رصدت أعداد المهاجرين من اليهود إلى فلسطين في الفترة من ١٩١٩-١٩٤٧م، إلى أنه هاجر نحو ألف يهودي مغربي فقط إلى فلسطين خلال هذه الفترة الطويلة، واستنادًا لهذه الإحصاليات، وبمقارنتها بالهجرات المتدفقة من شرق أوروبا توصلت بعض المصادر إلى نتيجة مفادها أنه لم يكن يوجد بالمغرب أي نشاط صهيوني يذكر(١).

لكن الاعتماد على مثل هذه الإحصائيات وحدها لابد أن تؤدي بطبيعة الحال إلى نتائج غير مطابقة للواقع، حيث استخدمت نفس المعايير والمقاييس التي تستخدم لمعرفة مدى نجاح وفاعلية النشاط الصهيوني في أوساط يهود أوروبا وخاصة يهود شرق أوروبا، لمعرفة مدى نجاح وفاعلية النشاط الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في المغرب، خاصة أن هناك اختلافًا واضحًا بين الأوضاع الحياتية التي أحاطت بيهود أوروبا وبين الأوضاع السائدة في المجتمع اليهودي بالمغرب.

كما أن توجهات الحركة الصهيونية نحو يهود المغرب اختلفت عن توجهاتها نحو يهود شرق أوروبا، فالهدف الرئيس للحركة الصهيونية من انخراط يهود المغرب في النشاط الصهيوني، يتمثل في الحصول على المساهمات المالية لدعم نشاط الحركة الصهيونية في أوروبا من جانب، والحصول على التأييد المعنوي والمشاركة في المؤتمرات الصهيونية حتى ولو بصورة مهمشة من جانب آخر؛ وذلك لإضفاء الصبغة الشرعية على الحركة الصهيونية وأنها جاءت لتحقيق الخلاص لكل يهود العالم.

وقد نظر أغلبية يهود المغرب للنشاط الصهيوني من منظور ديني بحت وفسروا الفكر الصهيوني بأسلوب ممزوج بالورع الديني والتقاليد المسيحانية التي ظلت مستمرة بينهم بقوة،

بفضل الممارسات الدينية، وتعاملوا مع مسألة الهجرة على أنها فريضة دينية (مثل:الرغبة في تلقي العلوم الدينية، وزيارة الأماكن المقدسة والموت على أرضها)، ولم تكن لديهم أية معرفة بالطابع العلماني للفكر الصهيوني. ولذلك جاءت أساليب استجابتهم للنشاط الصهيوني متوافقة مع هذا المفهوم الديني، تتنوع ما بين شراء الشيكل الصهيوني(٢) (فكانوا يعتقدون أنهم إذا دفنوا مع هذه السندات بالمغرب، فإن أجسادهم ستنتقل بمعجزة ليدفنوا في جبل الزيتون بفلسطين(٣))، وجمع التبرعات وتنظيم حملات دعائية لترويج أسهم الاستيطان الصهيوني، وهذا هو ما كانت تصبو إليه الحركة الصهيونية.

ولم تكن التبرعات المالية بالأمر الجديد بالنسبة ليهود المغرب الذين كانت لهم علاقات وطيدة ومستمرة بيهود فلسطين، حيث كان يفد إليهم بصورة منتظمة العديد من مبعوثي الاستيطان اليهودي في فلسطين وأغلبهم من الحاخامات ذوي الأصول المغربية أو الشمال إفريقية، لجمع التبرعات والنذور والصدقات لاستخدامها في مساعدة أبناء الجالية اليهودية المغربية في فلسطين(وخاصة في القدس، صفد، طبرية والخليل(٤)). وهو نفس الأسلوب الذي تعامل به يهود المغرب مع مبعوثي الحركة الصهيونية من منطلق تراثهم الديني المسيحاني، على أمل أن هذا سيعجل من حدوث الخلاص وتحقيق للوعد الإلهي، وبدافع من العاطفة الدينية والرابطة المقدسة مع يهود فلسطين، وعلى هذه الأسس قام النشاط الصهيوني في المغرب.

ومما يلاحظ على ناشطي الدعاية الصهيونية، أنهم كانوا يخلطون بكيفية لا شعورية أو ربما عن قصد، بين البرنامج السياسي لتيودور هرتسل، وبين الحركة المسيحانية، وكانوا يجدون في هذا البرنامج حلا بديلا للصعوبات الاقتصادية الاجتماعية التي يعاني منها يهود المغرب، واللامبالاة المتزايدة لإخوانهم في الدين الميسورين تجاه السواد الأعظم من جماهير الأهالي، وكانت فكرة "إعادة بناء وطن قومي بأرض إسرائيل" تبدو لهم بمثابة الوسيلة المنطوية على أكبر هامش من الأمان لـ "العودة إلى التقاليد اليهودية الخالصة" التي كانوا يرون أنها قد ابتعدت عن صفائها الأصلي، أي أن البرنامج السياسي للصهيونية تم تكييفه مع خصوصية الحالة المغربية، سواء من حيث تردي الوضعية الاقتصادية والاجتماعية ليهود المغرب أو من حيث الاعتقاد السائد في صفوفهم "بالحلم التوراتي". وقد ارتهنت الدعاية الصهيونية بالمغرب لهذه الثنائية، فهي من جهة دعاية لصالح مشروع خلاص اقتصادي ـ اجتماعي ومن جهة أخري دعاية لصالح "انبعاث الشعب اليهودي ووضع نهاية للتيه والشتات، وتعايشت هاتان الثنائيتان بل وتكاملت خصوصا وأن إدارة الحماية الفرنسية، لم تنجز تغيرات ملموسة في

الوضع القانوني لليهود بل على العكس قامت بتشديد رقابتها وتدخلها في حياة الطائفة اليهودية المغربية، وأسهم ذلك في إضافة بعد آخر لثنائية "الخلاص الاجتماعي ـ الحلم التوراتي" في الدعاية الصهيونية، وهي مواجهة دعاية الأطروحة الاندماجية في المشروع الاستعماري الفرنسي ومحاربة دعوات المطالبة بالتجنس بالفرنسية(٥).

مجمل القول، أنه لم تكن توجد صهيونية بشقها السياسي العلماني في أوساط يهود المغرب، وإنما كانت توجد صهيونية تحمل طابع الخلاص المسيحاني، حيث نظر إلى الصهيونية على أنها استمرار لليهودية.

وقد حدث تطور نسبي لرؤية يهود المغرب للفكر الصهيوني، وإن كان قد دار أيضًا في فلك محبة فلسطين والشوق والحنين للهجرة إليها من منظور ديني، نتيجة لمجموعة من المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعرض لها اليهود بالمغرب خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، هذا بالإضافة إلى حدوث تغير في سياسات الحركة الصهيونية ذاتها تجاه يهود المغرب.

لذلك، يفضل من جانب، تقسيم النشاط الصهيوني في المغرب(٦) إلى فترات زمنية وفقًا لسياسة الحركة الصهيونية وطبيعة توجهاتها في المغرب، ومن جانب آخر، وفقًا لأهم المتغيرات التي تحكمت في مفهوم يهود المغرب للتعاون مع النشاط الصهيوني، التي حددت نوعية الفئات المنتمية والمتعاونة مع هذا النشاط وهدفها من وراء ذلك.

(١) النشاط الصهيوني في المغرب " فترة ما قبل الحماية الفرنسية " (١٩٠٠-١٩١٢م)

تعود بدايات الحركة الصهيونية السياسية في دول شمال إفريقيا إلى عام ١٩٠٠م، وهو العام الذي قررت فيه اللجنة الصهيونية العاملة تعيين الدكتور " ايجن فلنسين " الجزائري، ممثلاً للحركة الصهيونية في دول المغرب العربي، وقد شارك قبيل هذه الفترة مندوب عن دول شمال إفريقيا في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل(٧)، ولكنه حضر في إطار الوفد الفرنسي المشارك في أعمال المؤتمر(٨).

لم يعبر هذا التواجد المبكر لممثلي يهود بلاد المغرب في المؤتمرات الصهيونية الأولى عن مشاركة فعالة لهم في الدوائر الصهيونية، بل جاء لإضفاء نوع من الشرعية وصبغة عالمية على الحركة الصهيونية بوصفها الممثل الشرعي ليهود العالم .

وصفت صحيفة "جويش كرونيكل"، في عدد ٨ نوفمبر ١٨٩٧م، ردود أفعال يهود المغرب تجاه المؤتمر الصهيوني الأول بقولها : "يتابع يهود المغرب عن كثب تطور الأحداث (المتعلقة

بالمؤتمر الصهيوني). ربما لا يوافق كل اليهود على الموضوعات التي طرحت على جدول أعمال المؤتمر، لكن يبدو من الطبيعي، ومن خلال بعض وجهات النظر اليهودية المغربية، أنهم جميعًا يتعاطفون مع روح الموضوع دون المخاطرة بإظهار تلك المشاعر..."(٩).

يستنتج من هذه السطور، أن بداية الانحياز للنشاط الصهيوني بين يهود المغرب جاء من منطلق العاطفة الدينية، لأنهم لم يكن لديهم أي معرفة بالطابع العلماني للحركة الصهيونية. كما أن مثل هذا التعليق لا ينطبق على كل يهود المغرب، بل يقتصر فقط على يهود المدن، خاصة وأن البوادر الأولى للنشاط الصهيوني في المغرب قد ظهرت في المدن الساحلية، التي كانت أكثر تأثرًا من غيرها بالفكر الأوروبي؛ نظرًا لأنها كانت تعج بالعديد من الجاليات الأوروبية من جانب، وكانت أكثر اتصالاً بيهود أوروبا من جانب آخر، مما مكنهم من الإطلاع على آخر مستجدات الأحداث. ثم انتشر بعد ذلك النشاط الصهيوني في المدن الواقعة في وسط المغرب، ومن أبرز الروابط الصهيونية التي تأسست خلال الفترة (١٩٠٠-١٩١٢م) ما يلي:

أ) رابطة" شعاري تسيون - أبواب صهيون" في مدينة موجادير ١٩٠٠م:

في الرابع من سبتمبر ١٩٠٠م، أرسل "دافيد بوحبوط"، وهو تاجر مشهور في موجادير، خطابًا إلى تيودور هرتسل(١٠) يخبره فيه بإقامة رابطة صهيونية تحت اسم " شعاري تسيون – أبواب صهيون"،وطلب منه الحصول على نسخة من القوانين التأسيسية للمنظمة الصهيونية لكي تسير الرابطة على نهجها. ويتضح من هذا الخطاب أن مبادرة إقامة هذه الرابطة جاءت من خلال مدير مدرسة الإليانس في موجادير، وكذلك أيضًا من خلال الزيارة التي قام بها يهودي مغربي الأصل مقيم في مدينة مانشيستر البريطانية لمدينة موجادير، قام خلالها بحملة دعائية واسعة بالتعاون مع "دافيد بوحبوط"، لتوزيع أسهم صندوق الاستيطان اليهودي بين يهود المدينة. وعند تأسيس هذه الرابطة اختير "دافيد بوحبوط" رئيسًا لها و"شموئيل بن دهان" سكرتيرًا لها، كما يعد الحاخام "يعقوب يفرجان" من أبرز نشطائها. وكانت هذه الرابطة أول من روج الشيكل الصهيوني في بلاد شمال إفريقيا، وبعد ستة أشهر أرسلت للمنظمة الصهيونية قيمة ما يزيد على ٢٠٠ شيكل صهيوني. وبعد عام من النشاط انقطعت الأخبار عن الرابطة، حتى الحرب العالمية الأولى، حيث عادت الرابطة ورئيسها "دافيد بوحبوط" للنشاط الصهيوني المنظم(١١).

(ب) رابطة" شيفات تسيون- العودة إلى صهيون" في تطوان ١٩٠٠م :

في ١١سبتمبر ١٩٠٠م، أرسل الدكتور "يعقوب برليفسكي"، وهو روسي الأصل عمل كطبيب مقيم في تطوان، خطابًا إلى رئيس اللجنة الصهيونية العاملة ليخبره بقرب تأسيس رابطة صهيونية باسم " شيفات تسيون -العودة إلى صهيون" في تطوان، وطلب منه إرسال مضمون برنامج مؤتمر بازل، لكي ينظم وفقه نشاطات الرابطة. وتولى الحاخام "ليئون خلفون"، رئاسة الرابطة، وقد شغل بعد ذلك منصب الحاخام الأكبر لجاليات تطوان والمنطقة الأسبانية بالمغرب منذ منتصف العقد الثاني من القرن العشرين. ولا توجد معلومات أخرى عن هذه الرابطة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سوى أن "ليئون خلفون" بادر وآخرون باستئناف النشاط الصهيوني وإعادة تأسيس الرابطة من جديد في فبراير ١٩١٩م(١٢).

من الملاحظ أن رابطة "أبواب صهيون ورابطة "العودة إلى صهيون" قد تأسستا بمبادرة من شخصيات يهودية أجنبية، وتحمست لها شخصيات يهودية مغربية لها مكانتها الاقتصادية والاجتماعية المرموقة وبمشاركة فعالة من الحاخامات، وبمعنى آخر، إن أول من كانت له مشاركة فعالة في النشاط الصهيوني بالمغرب هم أفراد من الطبقة القيادية اليهودية بالمغرب.

(ج) رابطة" أهافت تسيون- حب صهيون" في صافي ١٩٠٣م :

بادر بعض الناشطين المحليين من يهود مدينة صافي(١٣) بإقامة رابطة صهيونية تحمل اسم " أهافت تسيون -حب صهيون"، بعد أن تأثروا ببعض الصحف العبرية التي وصلت إلى مدينتهم، مثل صحيفة "همليتس- الفصيح" وصحيفة "هيهودي -اليهودي" (١٤). وفي١٧ مارس ١٩٠٣م، أرسلت الرابطة خطابًا لتيودور هرتسل، أعربت فيه عن استعدادها لخدمة الفكرة الصهيونية، لكنها أشارت إلى أنه ليس لدى أعضائها: "أية معرفة صحيحة أو فهم واضح عن كل ما يتعلق بالصهيونية؛ ليس لدينا أي كتاب يساعدنا ويشرح لنا الفكرة الصهيونية وماهيتها... فقط سمعنا عن الاسم، وعرفنا الشيكل...الذي يجب على كل فرد أن يشتريه..."، وطلبوا منه إرسال القوانين التأسيسية للمنظمة الصهيونية بالعبرية وكذلك كل الكتب العبرية التي تشرح جوهر الفكر الصهيوني، وأعلنت الرابطة عن اختيار تيودور هرتسل رئيسًا شرفيًا لها. وتولى الحاخام "مائير برشيشات" رئاسة الرابطة والحاخام "يعقوب مورسيانو" سكرتيرًا لها(١٥).

ويتضح من تجربة هذا الرابطة أن إقامة الروابط الصهيونية في المغرب اكتنفها غموض في الرؤية وعدم معرفة جوهر الفكر الصهيوني، حتى لدي الكوادر الصهيونية ذاتهم. ورغم

مراسلاتهم المباشرة مع قادة الفكر الصهيوني إلا أنهم لم يعرفوا ماهيـة الطـابع العلمـاني للحركة الصهيونية، وتعاونوا معهم كما كانوا يتعاونون مع أبناء الاستيطان اليهودي القديم في فلسطين، بدافع ديني وعاطفي، ولذلك تركز نشاط هذه الروابط على جمع التبرعـات وتـرويج الشيكل الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية بالمغرب، وأظهروا عدم رغبة في المشاركة في المؤتمرات الصهيونية مكتفين فقط بإرسال دعمهم المالي والمعنوي للحركة، وكانت هذه سـمة مميزة للنشاط الصهيوني في تلك المرحلة.

(د) رابطة "حيبت تسيون – محبة صهيون(١٦)" في فاس ١٩٠٩م :

بعد وفاة هرتسل (يوليو ١٩٠٤م) توقف النشاط الصهيوني في المغرب مؤقتًـا، ثـم تـم استئنافه مع بداية عام ١٩٠٩م في المدن الواقعة بوسط المغرب، بمبادرة من ناشطين محليين في فاس، وسفرو ومكناس، ففي ذلك العام تأسست في فاس رابطة "جيبـت تسـيون- محبـة صهيون"(١٧).

عملت رابطة "محبة صهيون"، مثل باقي الروابط الصهيونية في المغـرب، علـى تـرويج الشيكل وأسهم صناديق الاستيطان اليهودي، وعملت كذلك على توسيع إطار أنشـطتها لتصـل لمدينتي سفرو ومكناس(١٨).

وحتى إبريل ١٩٠٩م، كانت الرابطة تضم ٢٦ عضوًا من فاس و١١ عضوًا من حاخامـات ووجهاء مدينة سفرو. وفي يونيو من نفس العام أرسلت نقودًا مقابل ٣٦ شيكلاً. وفي سبتمبر، أعلنت عن إقامة فرع لها في مكناس (١٩).

وقد كانت الرغبة في البحث عن الوسائل التي من شأنها اكتساب الحركة الصهيونية مكانـة مرموقة في المجتمع من بين العوامل التي شجعت أتباع رابطة "محبة صهيون" في فاس علـى مطالبة اللجنة الصهيونية العاملة في(أكتوبر ١٩١٠م) بأن تحدد الجهة الأوروبية التي بمقدورها رعاية الرابطة، وكما هو معروف فقد حظيت أعداد ليست بالقليلة من يهود المغرب، حتى قبـل فرض الحماية الفرنسية على المغرب، برعاية وحماية القوى العظمى. ولقد استشعرت الرابطة بأن حصولها على مثل هذه الرعاية سيصبح أمرًا يدعو لإحساسها بالتميز، فجاء في الخطـاب الذي بعثته هذه الرابطة إلى الـمنظمة الصهيونية: "إن الرعاية التـي ننشـدها سـتوفر لنـا الإحساس بالأمان، كما أنها ستشجع أعدادًا كبيرة من يهود المغرب على الانضمام إلى رابطتنا"، إلا أن هذا المطلب لـم يلق أي قبول(٢٠).

وجاء هذا الرفض من منطلق الخوف من أن يفسر هذا الأمر على أنه تدخل في الشئون الداخلية للمغرب، مما قد يثير الحفيظة على الحركة الصهيونية. وكان لهذا الرفض تداعيات سلبية على العلاقة بين الرابطة والمؤسسات الصهيونية العالمية، حيث أدى إلى ابتعاد العديد من اليهود عن المشاركة في أي نشاط صهيوني. وأظهر هذا الرفض أن الحركة الصهيونية العالمية لم تفهم، أو بالأحرى لم تسع لفهم احتياجات يهود المغرب آنذاك، ولم تع طبيعة الأوضاع السياسية حينئذ في المغرب، التي تميزت بكثرة التدخل الأجنبي في الشئون الداخلية.

وبسبب الدوافع الدينية التي كانت وراء إقامة مثل هذه الروابط الصهيونية في المغرب، ومن أجل إصلاح الاهتمام بالنشاط الصهيوني في المغرب وتحسينه، اقترحت الحركة الصهيونية على رابطة فاس وأفرعها في مكناس وسفرو، الانضمام إلى" اتحاد المزراحي"(٢١) الذي يجمع بين الدين والفكر الصهيوني، وهو ما يتناسب مع توجهات صهيوني المغرب. وفي أعقاب هذا أعربت الرابطة في نهاية عام ١٩١٠م عن استعدادها للانضمام للاتحاد المزراحي، ومنذ نوفمبر ١٩١٠م انقطعت العلاقة بين الرابطة في فاس ومكناس وسفرو وبين مؤسسات الحركة الصهيونية، واستمر عمل الرابطة من خلال هذا الاتحاد حتى بداية فرض الحماية الفرنسية على المغرب عام ١٩١٢م(٢٢).

وفيما يتعلق بالنشاط الصهيوني في بقية المدن المغربية، نجد أنه كان يوجد في مراكش ومناطق مختلفة في الجنوب المغربي نشاط صهيوني محدود. كما بدأ النشاط الصهيوني في الدار البيضاء، وطنجة والعرائش في نهاية العقد الأول من القرن العشرين. وبطبيعة الحال، كانت كل هذه الروابط الصهيونية بعيدة تمامًا عن الطابع السياسي للفكر الصهيوني، حيث ركزت جل جهودها على ترويج الشيكل الصهيوني وجمع التبرعات للصناديق القومية(٢٣).

مع بداية فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وبمقتضى معاهدة الحماية التي وقعت في فاس في ٣٠ مارس عام ١٩١٢م، فرضت السلطات الفرنسية قيودًا على النشاط الصهيوني، حيث واجهت الروابط الصهيونية حظرًا شديدًا خاصة حول نشر أية مواد دعائية صهيونية أو حتى ترويج الشيكل الصهيوني. إلا أن وعد بلفور عام ١٩١٧م(٢٤) ومؤتمر سان ريمو(٢٥) شجعا الناشطين الصهيونيين على تقوية علاقاتهم بالمؤسسات الصهيونية العالمية(٢٦). بينما واصلت الروابط الصهيونية نشاطها كالمعتاد في طنجة والمنطقة المغربية الأسبانية(٢٧).

وبعد فترة انقطاع زادت على ست سنوات بدأ النشاط الصهيوني يعود تدريجيًا، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، حيث عادت الروابط الصهيونية لمزاولة نشاطها المعتاد.

سمات الروابط الصهيونية:

- تأسست أولى الروابط الصهيونية في المغرب بمبادرة من ناشطين صهيونيين أوروبيين، ولم تعلم هذه الروابط، خلال فترة تواجدها القصيرة، بالتوجهات السياسية للفكر الصهيوني، وكانت قانعة بتلقي التعليمات من المنظمة الصهيونية العالمية(٢٨).
- تركز نشاط الروابط الصهيونية على بيع الشيكل، وإقامة حملات دعائية لجمع التبرعات وترويج أسهم الاستيطان اليهودي. ولم يكن لها حضور فعال ومؤثر في أوساط الحركة الصهيونية العالمية، التي كان طابعها طابعًا أوروبيًا، وظلت هذه الروابط روابط مهمشة(٢٩).

كما أن رؤساء الروابط الصهيونية ساهموا في الإبقاء، لدى مستوى الجمهور العريض على الأقل، على نوع من الخلط بين الطبيعة الدينية للصدقات والهبات التقليدية لجماعات "الأرض المقدسة" والمساهمة في شراء الشيكل الصهيوني، وكان شراء السندات يقدم علاوة على ذلك حتى للسلطات كتعبير عن رغبة المساهمين فقط في ضمان مكان "بالجنة"(٣٠).

- اتسمت العلاقة بين الروابط الصهيونية في المغرب والحركة الصهيونية العالمية بسوء التواصل، ويعد عامل اللغة من أهم العوامل التي حالت دون تحقيق قدر كاف من التواصل بين الطرفين، حيث اعتادت الحركة الصهيونية أن ترسل المواد الإعلامية إما باليديش(٣١)أو بالألمانية، بينما كان يهود المغرب لا يتحدثون إلا بالفرنسية والعربية والعبرية (٣٢)، وقد تم تجاوز مأزق اللغة عبر الترجمة فالكوادر الصهيونية كانوا "ينقلون بالفعل إلى الملاحات نداءات السلطة التنفيذية الصهيونية بلندن، التي تحضهم على المشاركة في بناء وطن قومي" وكانوا يقومون بذلك بعد ترجمة تلك النداءات إلى اللهجة اليهودية المغربية، وبعد تكييفها بصفة خاصة، بواسطة انتقاء المصطلحات المناسبة المتلائمة مع عقلية الأوساط التي لم تستأنس بعد بالبعد السياسي للصهيونية(٣٣).
- ضمت الروابط الصهيونية بالمغرب عددًا من اليهود ذوي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المميزة وأصحاب المناصب المهمة، وهو الأمر الذي ساهم بدور كبير في تطور الصهيونية، وسهل من نجاح المجهودات الدعائية بين أوساط اليهود(٣٤).
- كان لكبار الحاخامات وأعضاء لجان الطوائف حضور واضح ومشاركة فعالة في هذه الروابط. فرابطة "محبة صهيون" بفاس لقيت دعما وتأييدًا كبيرًا من كبار حاخامات

المدينة، مثل: "رفائيل بن تسور"، و"شلومو بن دنان"، و"يـديئيل هتسـرفتي" و"متتيـاهو سيررو". وفي تطوان أسس الحاخام ليئون خلفون رابطة "العـودة إلى صـهيون"، وفـي رابطة "أبواب صهيون" بموجادير تولى حاخام الجالية منصب سكرتير الرابطة(٣٥).

لكن يجب أن نضع في الحسبان أن تعاون أفراد الطبقة القيادية مع النشاط الصهيوني لم يأت بسبب تبني عقيدة أيديولوجية، فبعضهم رأى أن هذا يأتي من منطلق استمرار العمـل مـن أجل يهود فلسطين، كما كانوا يحسبون هذا النشاط الصهيوني جزءًا مـن العمـل الطـائفي الخيري، وبعضهم الآخر وجد في الحركة الصهيونية وسيلة مناسبة للحصول علـى حمايـة أجنبية لـهم ولأفراد جاليتهم، لدرجة أن الكثير منهم ربطوا بين مواصلة نشاطهم الصهيوني وبين حصولهم على الحماية الأجنبية عن طريق المنظمة الصهيونية العالمية. وكان هذا هو النهج الذي سار عليه معظم زعماء وحاخامات الجالية اليهودية في المغرب في تعاملهم مع النشاط الصهيوني .

- عدم مقدرة الحركة الصهيونية على التغلغل بصورة فعالة في أوساط الطبقات المثقفة، رغم أنهم كانوا مؤهلين لتبنى أفكارها ومفاهيمها وآرائها، وذلك لأنهم كانوا خاضـعين لتـأثير النموذج الفرنسي الذي تبنته مدارس الإليانس. ولكن بما يتناقض مع هذا، وجدت الحركة الصهيونية آذانًا صاغية لـها فقط لدى اليهود التقليديين الذين تعذر عليهم الوصول لفهـم عميق وصحيح للفكر الصهيوني. وكان يجب الانتظار حتى الحرب العالمية الثانيـة لكـي تتغير هذه الصورة، عندما ستُخيب فرنسا أمل اليهود [خاصة جيل الشباب] في الحصـول على المواطنة الفرنسية(٣٦).

(٢) النشاط الصهيوني في المغرب "فترة ما بين الحربين العالميتين" (١٩١٨ – ١٩٣٩ م)

حاولت الحركة الصهيونية، خلال الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولـى وحتـى بداية الحرب العالمية الثانية، توسيع حجم نشاطها في المغرب، مستخدمة في ذلك العديـد مـن الأساليب من أبرزها إيفاد مبعوثين تابعين للصناديق القومية الصهيونية للمغـرب (الصـندوق التأسيسي(٣٧) والصندوق القومي الإسرائيلي(٣٨)) كوسيلة اتصال مباشرة مع يهود المغـرب، بالإضافة إلى استمرار تبادل الرسائل مع الروابط الصهيونية بالمغرب. وقد بدأ الصندوق القومي الإسرائيلي نشاطه بالمغرب في نهايـة عشـرينات القـرن العشـرين (بالتحديـد فـي عـام ١٩٢٧م)(٣٩).

وكانت الصحف من ضمن أبرز الوسائل التي اعتمدت عليها المؤسسات الصهيونية، للترويج للنشاط الصهيوني في المغرب. فصدرت أول صحيفة صهيونية في المغرب عام ١٩٢٦م في الدار البيضاء، وهي صحيفة" L'Avenir Illustré –المستقبل المصور" وهي صحيفة نصف شهرية كانت تصدر بالفرنسية، واستمرت في الصدور حتى علم ١٩٤٠م. وفي منطقة طنجة الدولية صدرت صحيفة" Renacimiento de Israel – نهضة إسرائيل " باللغة الأسبانية، وهي صحيفة نصف شهرية أيضًا، صدر العدد الأول منها عام ١٩٢٤م(٤٠).

وقد اعتمد مبعوثو الصناديق القومية للترويج للنشاط الصهيوني، على تنظيم المحاضرات والندوات وغالبًا ما يكون موضوع المحاضرة مرتبطًا ببعض الجوانب الإيجابية للمشروع الصهيوني أو بموضوعات تتعلق بالديانة اليهودية وبمكانة اليهودي في العصر الحديث، وكان المحاضر يقارن دائمًا بين حياة الرواد في فلسطين وبين حياة اليهود في الشتات(٤١).

من ذلك محاضرة المبعوث الصهيوني المحامي الفرنسي ذي الأصل المغربي "فرناند كوركوس"، بالدار البيضاء التي قال فيها: " إننا نريد أن يوجد بأرض إسرائيل شيء من الخصوصية المغربية، بل يجب على حجرة اليهودية المغربية أن توضع في وسط البنيان الذي سنشيده"، وكان هناك حرصٌ على إخفاء بعض عناصر المشروع الصهيوني، فنفس هذا المبعوث، كتب في أحد أعداد جريدة " المستقبل المصور " (١٩٢٧م) أنه عندما كان يقوم بزيارة المغرب كان يحذر" بشدة من قول أية كلمة يمكن أن تأخذ معنى آخر يوحي بالتفرقة بين اليهود والعرب أو بين العلاقات المغربية ــ الفرنسية، كما إن الصهيونية كانت تقدم بكونها ليست دعوة لليهود للهجرة إلى فلسطين، ولكن كعقيدة من أجل التقدم الإنساني الكبير تهدف إلى بيت طائفي وعرقي إضافي... وأن اليهود المغاربة لا يطالبون باستعمار فلسطين، ولا يطلب منهم أي شيء من هذا النوع، فما هو مطروح عليهم هو تدعيم قضية تجديد اليهودية عبر تعاطفهم الفعال"، بمعنى أن أولوية الدعاية الصهيونية كانت هي كسب تعاطف اليهودية المغربية قبل إدماجها في تنفيذ البرنامج والاستيطاني للصهيونية. ونتج عن هذه الدينامية الإعلامية تطور دال في النشاط الصهيوني، فبدءا من منتصف الثلاثينات، أخذت الدعاية الصهيونية تركز على حث الشباب اليهودي على التوجه نحو الفلاحة والصناعة ــ بقصد الاستعداد للهجرة نحو فلسطين(٤٢).

ومن وسائل الدعاية الصهيونية الفعالة عرض شرائط السينما الصامتة، التي تكون مصحوبة بشريط صوتي، وكانت مشاهدة ما أنجزه الرواد في فلسطين تلهب حماسة المشاهدين

اليهود. وكان ينشر البرنامج السنوي لهذه المحاضرات وعرض الأفلام في إحدى الصحف اليهودية ذات الميول الصهيونية، مثل صحيفة " L'avenir Illustré –المستقبل المصور"، أو من خلال صحيفة الصندوق القومي الإسرائيلي " La Terre Retrouvée – أرض الملتقى " التي كانت تصدر في باريس(٤٣).

وإلى جانب سعي الحركة الصهيونية لتوسيع حجم النشاط الصهيوني وبالتالي زيادة حجم التبرعات، سعت عن طريق هذه الوسائل أيضًا للقضاء على المشاكل التي تعوق مسيرة نهوض النشاط الصهيوني وعلى رأسها عدم وجود أطر تنظيمية سليمة للروابط الصهيونية.

وقد كانت المشاكل التنظيمية أمرًا مألوفًا حتى منتصف عشرينات القرن العشرين ليس في المغرب فحسب، بل في كل أنحاء بلاد شمال إفريقيا. ولكن مع مطلع ومنتصف العقد الثاني من القرن العشرين بدأت عمليات إعادة تنظيم لهياكل هذه الروابط، رغم ما تعانيه من ضعف، وذلك عندما بدأت مبعوثيات الصناديق القومية في التدفق على المغرب(٤٤).

فاعليات النشاط الصهيوني في المغرب (١٩١٨ - ١٩٣٩ م):

أ) تأسيس روابط صهيونية جديدة:

أثار تصريح بلفور وقرارات مؤتمر سان ريمو موجة ضخمة من الحماس في أوساط يهود شمال إفريقيا، كان من بين مظاهرها: تنظيم صلوات جماعية وعقد مؤتمرات ضخمة أعربوا خلالها عن تأييدهم للصهيونية وللأنشطة الصهيونية، كما كان من بين مظاهر تأييدهم للصهيونية إقامتهم العديد من التنظيمات بغرض الهجرة إلى إسرائيل، وتزايد إقبالهم على شراء الشيكل الصهيوني.

وفي المغرب ظهرت روابط صهيونية جديدة في الرباط، والجديدة، ومراكش، ووجدة والدار البيضاء. وقد شهدت المناطق الشمالية من المغرب، التي كانت تقع تحت الحماية الأسبانية، تحوّلا ملموسًا في مكانة الحركة الصهيونية فوصلت إلى هذه الأماكن في هذا الحين عدة شخصيات صهيونية بارزة، كما تأسست في مدينة طنجة رابطة "ماجين دافيد– درع داود" التي حرصت على نشر اللغة العبرية، وتأسست أيضًا في مدينة العرائش فور انعقاد مؤتمر سان ريمو رابطة "بونيه يروشلايم– بنّاء القدس"(٤٥).

وفي عام ١٩١٩م، تأسست في طنجة رابطة صهيونية محلية أخرى، ترأسها "تسيفينج سبيناكوف"، وهو مهاجر روسي استقر في طنجة منذ عام ١٨٩٣م، حيث كان يقوم بمهام الطبيب الرئيس للمستشفى الفرنسي هناك(٤٦).

(ب)الرغبة في الهجرة:

سعت عشرات العائلات اليهودية المغربية في ذلك الحين إلى الهجرة لفلسطين. ففي عام ١٩٢٠م، طلب رئيس رابطة "كول مِفَسير- صوت البشير" في سفرو من الاتحاد الصهيوني العالمي إرسال مندوب خاص بشئون الهجرة للمدينة وجاء في خطابه: "سيشعر الرواد منا بالطمأنينة والراحة إذا شرعتم في توطينهم في المستوطنات الزراعية أو في الأحياء العربية لاسيما أنهم قد اعتادوا العيش بينهم". وفي موجادير، نجح رئيس الرابطة المحلية في أن يحصل من القنصل البريطاني في المدينة على تأشيرات دخول لكل من يرغب من يهود موجادير في الهجرة إلى فلسطين، وذلك بعد أن لقي طلبهم للحصول على تصاريح لدخول فلسطين، رفضًا من قبل المؤسسات الصهيونية. ولم يتمكن معظم هؤلاء اليهود من دخول ميناء يافا؛ وذلك بعد أن رفضت سلطات الانتداب البريطاني السماح لهم بدخول فلسطين(٤٧).

لم تكن سياسة الحركة الصهيونية آنذاك تهدف إلى تهجير يهود المغرب إلى فلسطين، ومن ثم لم تقدم لهم يد العون كما أنها أغلقت أمامهم منافذ الهجرة من المغرب ومنافذ الدخول إلى فلسطين. وكانت أولويتها تنصب على جمع التبرعات من يهود المغرب، ومن أجل هذا وجهت كل وسائلها الدعائية لتحقيق هذا الغرض.

لذا، كان المعيار الرئيس لقياس مدى تعاون يهود المغرب مع النشاط الصهيوني في هذه الفترة، هو حجم المبالغ المالية التي تصل للصناديق القومية. فاليهود الذين وصفوا بأنهم "معارضون" أو "غير مبالين" أصبحوا، بعد أن ساهموا في الصناديق القومية الصهيونية أو بعد أن نجحوا في إدارة الحملات الدعائية لجمع التبرعات، "صهيونيين مخلصين يقومون بواجباتهم على أكمل وجه"(٤٨).

وقد جاء في مقالات هيئة تحرير صحيفة "L'Avenir Illustré-المستقبل المصور" يوم ١٩٢٧/٣/٢٣م:" إننا لا نرغب في الحصول على الذهب الأمريكي فحسب بل أيضًا على الذهب المغربي " وكأن الأمر على هذا النحو يوحي أنه ليس من المطلوب قيام يهود المغرب بالهجرة

إلى فلسطين للاستيطان بها، وأن كل ما عليهم هو تقديم المساعدات المالية للمشروع الاستيطاني(٤٩).

وهكذا، رأى زعماء الحركة الصهيونية أن الركيزة الأساسية لقيام نشاط صهيوني فعال، هي شراء الشيكل الصهيوني، وشراء أسهم الاستيطان اليهودي وتقديم التبرعات للصناديق القومية، دون أن يضعوا في حسبانهم الرغبات الملحة من جانب بعض اليهود في هذه الفترة، التي تمثلت في الرغبة في الهجرة إلى فلسطين، خاصة بعد إعلان وعد بلفور. وقد أدى هذا التجاهل من جانب الحركة الصهيونية العالمية إلى شعور يهود المغرب باليأس والإحباط، وأحجم الكثيرون عن ممارسة نشاط صهيوني فعال، وتضاءل عدد الراغبين في الهجرة، وأصبح الراسخ في الأذهان أن الحركة الصهيونية ما هي إلا هيئة خيرية تهدف فقط لجمع التبرعات، وظل هذا الانطباع سائدًا لفترة طويلة.

(ج)موقف زعماء الطائفة:

دفع اقتصار النشاط الصهيوني على جمع الأموال للصناديق القومية، التنظيم الصهيوني إلى تقليص إطار عمله حتى نهاية ثلاثينات القرن العشرين على الطبقة القادرة، وهي الطبقة التي اشترطت لكي تساهم في الصناديق القومية والانخراط في التنظيم الصهيوني المحلى، سلسلة طويلة من الشروط الاقتصادية والسياسية، كان على رأسها، أن يحظى التنظيم الصهيوني في المغرب باعتراف السلطات، وأن يتوقف التنظيم الصهيوني عن ممارسة أي عمل قد يسبب المخاطر للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، لهذه الطبقة القادرة مع السكان المحليين(٥٠).

وبطبيعة الحال كان إضفاء الصبغة الشرعية على النشاط الصهيوني في المغرب، هو أحد الشروط الأساسية لتعاون هذه الطبقة القادرة، خاصة زعماء الجاليات اليهودية في المغرب، مع النشاط الصهيوني في فترة الحماية الفرنسية، إلى حد أنهم قد يتحولون إلى معارضين، بل إلى مهاجمين للصهيونية في حال عدم موافقة السلطات على هذا النشاط.

وقد كان هناك عنصر آخر أثر على زعماء الجاليات اليهودية في المغرب فيما يتعلق بتعاونهم مع النشاط الصهيوني، وهو العلاقة بين العرب واليهود في فلسطين. إذ كانوا يحجمون عن أي نشاط صهيوني بل يعارضونه بشدة في أوقات الأزمات في فلسطين.

وحول هذا، جاء في تقرير "يشوع يهودا كوهين"، مبعوث الصندوق القومي الإسرائيلي في المغرب: "عليَّ الآن أن أحرك جبال الحقد والكراهية التي تضمرها جماعة الزعماء اليهود

تجاهيّ... فهم يقفون ضدي تحت غطاء الكياسة أو عدم المبالاة... لقد فشلت في معركتي هنا...في هذا الجو من الفزع من الصهيونية الذي نشأ في أعقاب أحداث فلسطين..."(٥١).

أما بالنسبة لموقف الحاخامات وأعضاء اللجان الطائفية اليهودية بالمغرب، فقد كان من النادر وجود شخصيات، بين قادة التنظيم الصهيوني في المغرب، تجمع بين العمل في التنظيم الصهيوني والعمل في التنظيم الطائفي في نفس الوقت خاصة منذ عام ١٩٢٤م(٥٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرنسا قامت بإعادة تنظيم الطوائف اليهودية من جديد، وفق النموذج المتبع في فرنسا، حيث تم إقصاء الحاخامات جانبًا، وحل محلهم زعماء علمانيون ووجهاء مقربون للسلطات الفرنسية. إلا أن الوضع كان مغايرًا في المناطق الداخلية بالمغرب، حيث ظل الحاخامات يلعبون دورًا مهمًا في النشاط الصهيوني في تلك الفترة إلى جانب دورهم في إدارة شئون الجاليات، ففي فاس ١٩٣٠ م وافق الحاخام "ميمون دنان"، رئيس لجنة الطائفة في المدينة، على رئاسة اللجنة المحلية للصندوق القومي الإسرائيلي(٥٣).

(د)مشاركة الطبقة المثقفة:

أدى تذبذب مواقف زعماء الجاليات اليهودية بالمغرب تجاه النشاط الصهيوني، والانحسار النسبي لنشاط الحاخامات وأعضاء لجان الطوائف في أوساط الناشطين الصهيونيين، إلى ظهور فئة جديدة من الكوادر الصهيونية، ينتمون للطبقة المثقفة، تولوا زعامة النشاط الصهيوني في المغرب، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وقد شهدت الفترة (١٩١٨-١٩٢٣م)، ازدياد تأثير الطبقة المثقفة اليهودية على النشاط الصهيوني، إلى أن سيطرت على قيادة التنظيم الصهيوني في المغرب من (١٩٢٤-١٩٤٨م). وإذا كان المثقفون القلائل الذين شاركوا في قيادة التنظيم الصهيوني بالمغرب، في الفترة التي سبقت فرض الحماية الفرنسية، ينتمون للطبقة القيادية في الجاليات اليهودية، وعملوا في قيادة التنظيمات الصهيونية إلى جوار الحاخامات، فإن المثقفين الذين عملوا في قيادة التنظيم الصهيوني وفي إدارة النشاط الصهيوني في المغرب خلال الفترة (١٩١٨ -١٩٢٣م)، ينتمون للطبقة المتوسطة، وعملوا في أغلب الأحيان بدون الاحتياج للحاخامات. وقد نجحت هذه المجموعة من المثقفين، وكان من أبرزهم "يوسف ليفي" من فاس، في توسيع إطار النشاط الصهيوني. لكن قبيل نهاية عام ١٩٢٣م، أدت خيبة الأمل في إمكانية الإسراع بتحقيق حلم الانبعاث القومي، وأزمة الهجرة إلى فلسطين والقيود التي فرضتها السلطات الفرنسية على

النشاط الصهيوني، إلى إبعاد هذه المجموعة عن مراكز التأثير في قيادة التنظيم الصهيوني(٥٤).

لعل أحد الأسباب المهمة في ابتعاد هذه المجموعة من المثقفين عن مراكز التأثير والقيادة في النشاط الصهيوني، يرجع إلى أنهم كانوا ينتمون للطبقة المتوسطة، وبذلك لم تكن لديهم مصداقية قوية بين الجاليات اليهودية التي تؤمن بالزعامات الدينية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنهم كانوا يحملون المواطنة المغربية ولم يتمتعوا بأية حماية أجنبية، ولم يكن هناك من يقدم لهم الدعم والمساندة لدى سلطات الانتداب الفرنسي، وبالتالي لم يتمكنوا من حرية التحرك وإحداث التأثير المطلوب في أوساط الجاليات اليهودية بالمغرب. وبانحسار هذه المجموعة ظهرت مجموعة أخرى من المثقفين اليهود تولوا قيادة التنظيم الصهيوني منذ عام ١٩٢٤م.

وقد ضمت هذه القيادة الجديدة مجموعة صغيرة من المثقفين اليهود، من أبناء الثقافة الفرنسية، حيث مكنتهم مواطنتهم الأجنبية ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي من العمل دون خوف من التعرض للمخاطر المحتملة من قبل السلطات الفرنسية. ومن هذه المجموعة "شموئيل دانيائيل ليفي" و"ي.ر.بنزاراف"، وهما تاجران من مواليد تطوان تلقيا تعليمهما في مدارس الإليانس، وكان ضمن صفوف هذه المجموعة الجديدة " شموئيل كوهين كجان" و"يوناثان تورتش" [محرر صحيفة L'avenir Illustré -المستقبل المصور] ـ وهما من مهاجري شرق أوروبا وصلا إلى المغرب في بداية العقد الثاني من القرن العشرين(٥٥). ومنذ أن قدما إلى المغرب، شرعا في وضع أسس وطيدة للأطر التنظيمية وفي صياغة برنامج أيديولوجي للنشاط الصهيوني المحلي في المغرب(٥٦).

يلاحظ أن هذه المجموعة من المثقفين، خاصة من أصحاب الثقافة الفرنسية، المشاركة في النشاط الصهيوني، قد مثلت نسبة ضئيلة في مقابل الدوائر المثقفة اليهودية العريضة التي أعربت عن تحفظها وعن معارضتها في كثير من الأحيان للنشاط الصهيوني، رغم أن هذه الطبقة المثقفة كانت أقدر على فهم الصهيونية كحركة سياسية قومية وعلى تبني أفكارها العلمانية.

ورغم ذلك، فقد كللت مجهودات هذه الفترة بالنجاح، بجذبها قطاع عريض من الشباب اليهودي للنشاط الصهيوني، حيث أصبح هؤلاء بعد ذلك هم الكوادر الأساسية التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية في عمليات التهجير بداية من نهاية العقد الرابع من القرن العشرين(٥٧).

(هـ)موقف فرنسا من النشاط الصهيوني:

لم يلق النشاط الصهيوني بالمغرب تأييدًا من قبل سلطات الحماية الفرنسية، ففي عام ١٩١٩م، أصدر الحاكم العام الفرنسي حظرًا بمنع افتتاح أية روابط صهيونية بالدار البيضاء، كما منع صدور صحيفة "العالم"، الناطقة بلسان الحركة الصهيونية العالمية في المغرب، التي كانت تصدر باللغة العبرية. كما تم فرض حظر عام على النشاط الصهيوني في كل أنحاء المغرب، ولم يتم رفع هذا الحظر نسبيًا إلا في عام ١٩٢٦م عندما تم افتتاح نادٍ لنشر اللغة العبرية وفرع "للمكابي" في الدار البيضاء(٥٨).

هذا، وقد تم السماح لصهيوني المغرب في عام ١٩٢٣م بإقامة "الاتحاد الصهيوني المغربي" على أن يكون فرعًا "للاتحاد الصهيوني الفرنسي". وعد هذا الاتحاد الصهيوني المغربي بمثابة منظمة عليا للروابط الصهيونية في المغرب الفرنسية بالإضافة إلى طنجة، بينما أقام الصهيونيون في المغرب الأسبانية اتحادًا صهيونيًا خاصًا بهم(٥٩).

وأصبحت السلطات الفرنسية تسمح للتنظيم الصهيوني بالمغرب بالقيام بالنشاط الصهيوني شريطة أن يكون معتدلاً وسريًا، وذلك حتى لا يلفت انتباه السكان العرب وحتى لا يسبب حرجًا للسلطات الفرنسية أو لليهود المؤيدين للاندماج. ونجحت في إقناع زعماء النشاط الصهيوني بعدم تبني توجهات قومية يهودية والابتعاد عن الصهيونية السياسية، والاكتفاء فقط بجمع التبرعات للصناديق القومية، والاشتراك من بعيد في بناء فلسطين(٦٠).

(و)موقف هيئة الإليانس:

نشط ممثلو "الإليانس"، خلال الفترة(١٩١٢-١٩٣٦م)، لحث سلطات الحماية على منح المواطنة الفرنسية لجزء كبير من يهود المغرب كما حدث مع يهود الجزائر عام ١٨٧٠م، لكن السلطات الفرنسية رفضت لأسباب سياسية منح حق المواطنة الفرنسية ليهود المغرب، ورغم ذلك ظل ممثلو "الإليانس" متحمسين، خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، للحصول على هذا التنازل السياسي المهم، واعتمدوا في تحقيق هذا الهدف على إلقاء الخطب وعقد المحاضرات، وتنظيم اللقاءات مع كبار الشخصيات الفرنسية وعلى نشر المقالات في الصحف اليهودية وغير اليهودية في فرنسا والمغرب، لكن سلطات الحماية أصرت على موقفها الرافض،

لأنها خشيت من توحد كلمة القوميين المغربيين، الذين ظهروا على الساحة السياسية منذ ١٩٣٠م، ومن تحفظ الحاخامات لضياع سلطاتهم القضائية والروحانية. وهكذا فشلت مجهودات "الإليانس" في الحصول على الجنسية الفرنسية لمؤيديها، وتأكد ذلك عام ١٩٣٦م(٦١).

كان رفض السلطات الفرنسية لهذا المطلب سببًا رئيسًا في عدول أعداد كبيرة من المقربين لهيئة "الإليانس" وغيرهم من الدوائر المثقفة عن الرغبة في الاندماج في الثقافة الفرنسية، ووجدوا أن تحررهم الذاتي لن يكون من خلال تبني "النموذج الفرنسي"، ومن هنا بدءوا في التقرب للفكر الصهيوني من منتصف ثلاثينات القرن العشرين. كما أدت الأحداث السابقة إلى حدوث تغير في توجهات "الإليانس" نحو النشاط الصهيوني في المغرب، فبعد أن كانت تمثل قوة لا يستهان بها داخل الجاليات اليهودية منذ عام ١٨٦٢م، ومنافس قوي للنشاط الصهيوني لما يزيد على ثلاثين عامًا، وجماعة ضغط تسعى للحصول على حق المواطنة الفرنسية لليهود، بدأت تتبنى مواقف أكثر اعتدالاً تجاه الصهيونية بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، ثم بدأت تشارك بدور فعال بعد ذلك في تأهيل يهود المغرب قبيل عمليات تهجيرهم إلى فلسطين.

سمات النشاط الصهيوني خلال الفترة (١٩١٨-١٩٣٩م):

[أ] **ضعف النشاط الصهيوني**: اتسم النشاط الصهيوني خلال هذه الفترة بالضعف، ومن أبرز العوامل التي ساهمت في ذلك ما يلي:

[١/أ] كان الاتحاد الصهيوني الفرنسي، الذي كان يتبعه الاتحاد الصهيوني في الدار البيضاء منذ عام ١٩٢٣م، يعاني من ضعف ومن صراعات داخلية، ولم تكن له مكانة بارزة داخل الحركة الصهيونية العالمية. وأدى كل هذا إلى عدم مقدرته على تدعيم النشاط الصهيوني في المغرب، واكتفى فقط بتنظيم المحاضرات والحملات الدعائية لجمع التبرعات(٦٢). كما أنه لم يساعد التنظيم الصهيوني بالمغرب على تكوين أطر تنظيمية قوية تمكنه من القيام بالعمل الصهيوني المنظم، ومن توحيد جهود الروابط الصهيونية في مختلف أنحاء المدن المغربية. فقد كانت هذه الروابط تعاني من انعدام التنسيق بينها ومن تضارب أنشطتها؛ مما ساعد على عدم ظهور زعامة يهودية قوية تتولى قيادة النشاط الصهيوني في المغرب(٦٣).

[٢/أ] واجهت الروابط الصهيونية العديد من المشكلات المالية، نتيجة ضآلة مواردها التي كانت تأتيها إما من خلال الاشتراكات أو من خلال التبرعات، ولاشك أن هذه المشكلات كان لها تأثيرها السلبي على أنشطة هذه الروابط(٦٤).

[ب] انحسار النشاط الصهيوني: اتسمت هذه الفترة بابتعاد الطبقة اليهودية التقليدية عن النشاط الصهيوني، خاصة بعد رفض الحركة الصهيونية مساعدة بعض اليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين، وبسبب القيود التي فرضتها السلطات الفرنسية على النشاط الصهيوني، هذا بالإضافة إلى المشاكل الداخلية التي ألمت بالجاليات اليهودية آنذاك. وارتبط موقف زعماء الجاليات اليهودية بموقف السلطات الفرنسية من النشاط الصهيوني، أما الحاخامات وأعضاء لجان الطوائف اليهودية، فقد ابتعدوا عن مراكز قيادة الروابط الصهيونية ولم يعد لهم دور فعال في النشاط الصهيوني بالمغرب كما كان في السابق، بينما انجذب معظم أبناء الطبقة المثقفة اليهودية لفكرة الاندماج في الثقافة الفرنسية وسعوا مرارًا للحصول على حق المواطنة الفرنسية، وفي المقابل انجذبت فئة ضئيلة من أبناء هذه الطبقة المثقفة للنشاط الصهيوني ولكنهم استخدموا النشاط الصهيوني لخدمة الشئون الداخلية للجاليات اليهودية، خاصة مع ابتعاد النشاط الصهيوني عن أية توجهات سياسية وقومية واقتصاره على جمع التبرعات. والتحول الملحوظ للنشاط الصهيوني بدأ منذ عام ١٩٣٦م، عندما بدأت قطاعات كبيرة من الشباب اليهودي في الانجذاب للنشاط الصهيوني وكان لهؤلاء دور فاعل في المراحل التالية كما سيتبين ذلك فيما بعد.

(٣): النشاط الصهيوني في المغرب "فترة ما قبل قيام إسرائيل" (١٩٤٣ -١٩٤٧م)

ساعدت مجموعة من الأحداث، سواء قبل نشوب الحرب العالمية الثانية أو خلالها أو بعدها، على ازدياد التعاون مع النشاط الصهيوني وعلى انجذاب مختلف الشرائح اليهودية للعمل الصهيوني، رغم اختلاف توجهاتهم، ومن أهم هذه الأحداث:

(أ)عشية الحرب العالمية الثانية:

- فشل سلطات الحماية الفرنسية في سن قوانين تفصل اليهود تمامًا عن الحكم المغربي، وفي إلغاء وضعهم "كرعايا للسلطان"، حيث رفضت السلطات الفرنسية منح المواطنة الفرنسية أو أية امتيازات قانونية أخرى لليهود. فأدى كل ذلك إلى حدوث تحول في توجهات اليهود، خاصة الذين تلقوا تعليمًا فرنسيًا، وكانوا ينظرون إلى فرنسا كوسيلة لتحقيق تحررهم الذاتي، وبدءوا في الانجذاب للنشاط الصهيوني(٦٥).

- التطورات السياسية في فلسطين، بما في ذلك أحداث ١٩٣٦م و ١٩٣٩م، وتنامي الاستيطان اليهودي والدعوة لزيادة الهجرة اليهودية؛ حفز كل ذلك يهود المغرب على مزيد من التعاون مع النشاط الصهيوني السياسي، حتى لو كان انجذابهم للصهيونية يقوم على أسس دينية تقليدية(٦٦).

(ب) أثناء الحرب العالمية الثانية:

تعد الفترة (١٩٣٩-١٩٤٥م) فترة مهمة وحاسمة في تاريخ العمل الصهيوني في المغرب، ونقطة انطلاق لتقوية العلاقات مع كل العالم اليهودي بعد انتهاء الحرب، ومن بين أبرز هذه التطورات ما يلي:

- الأحداث التي تعرض لها " اليهود " على يد النازي، أدت إلى إحداث نهضة قومية في أوساط الطبقة المثقفة من جانب، وأدت لإحداث تغير جوهري في علاقة المؤسسات الصهيونية بيهود البلاد الإسلامية من جانب آخر(٦٧).
- الآثار السلبية التي خلفتها فترة حكم فيشي(١٩٤٠-١٩٤٢م)، أدت إلى حدوث تغير عنيف في العلاقة مع فرنسا والنموذج الفرنسي، كما أن "الإليانس" بدأت تتراجع عن سياستها الموالية لفرنسا وللثقافة الفرنسية(٦٨).
- إعادة تنظيم النشاط الصهيوني، بما في ذلك إحياء الروابط الصهيونية، والاتحاد الصهيوني وظهور العديد من مراكز الثقافة العبرية خاصة في الدار البيضاء(٦٩).
- ظهور الحركات النضالية التي تسعى للحصول على الاستقلال ومخاوف اليهود من خروج فرنسا من المنطقة(٧٠).
- نزول القوات الأمريكية في المغرب ١٩٤٢م، وتوطيد العلاقات مع يهود أمريكا ومع المنظمات اليهودية الأمريكية النشطة مثل: منظمة "الجوينت"، و"كنز التوراة" ومنظمة " أتباع لوبافيتش"(٧١).
- اختراق الوكالة اليهودية المبكر، منذ عام ١٩٤٤م، للتجمعات اليهودية عن طريق المبعوثيات، ولو بشكل غير رسمي(٧٢).

(ج) بعد الحرب العالمية الثانية:

وقد أدت هذه العناصر جميعًا إلى ازدهار الحركة الصهيونية في المغرب، حيث اتسع نطاق النشاط الصهيوني وانضم إليه العديد من يهود المغرب من مختلف الفئات. ولم يعد النشاط

الصهيوني يكرس كل مجهوداته على ترويج الشيكل الصهيوني وتنظيم الحملات الدعائية لجمع التبرعات فحسب، بل بدأ يتجه نحو تأهيل يهود المغرب للهجرة، كما ازدهرت المراكز الثقافية العبرية التي تعمل على نشر اللغة العبرية خاصة في الدار البيضاء. وهكذا، حدث تحول متبادل بين يهود المغرب والحركة الصهيونية، فمن جانب انجذب اليهود للنشاط الصهيوني رغم أن معظمهم قام بذلك من منطلق دافع مسيحاني، ومن جانب آخر غيرت المنظمة الصهيونية العالمية من سياستها تجاه اليهود السفارديم، وسعت لتهجيرهم خاصة بعد إغلاق المنابع الطبيعية للهجرة القادمة من أوروبا الشرقية.

فاعليات النشاط الصهيوني في المغرب ١٩٤٣-١٩٤٥م :

أصيب النشاط الصهيوني في مختلف أنحاء المغرب، خلال فترة حكومة فيشي (١٩٤٠-١٩٤٢م)، بالجمود تقريبًا وتوقفت الاتحادات الصهيونية عن ممارسة أي نشاط صهيوني. ويصف "مائير عامير"، وهو ناشط صهيوني من مكناس وترأس لجنة الهجرة في جاليته في ثلاثينات القرن العشرين، هذا الوضع في خطاب وجهه للوكالة اليهودية: "هناك سور من الفولاذ فصل بين الصهيونيين المحليين وبين نظرائهم في فلسطين وأوروبا، مشاعرهم مثل مشاعر الأيتام". واشتكى "عامير" من أن الصهيونيين في مكناس لم ينجحوا في الحفاظ على علاقة مع الصهيونيين في الدار البيضاء، رغم أن " شموئيل دانيائيل ليفي" بدأ مسيرة لإعادة تنظيم الاتحاد الصهيوني في الدار البيضاء، إلا أن النشاط الصهيوني في المغرب كان يحتاج كله إلى إصلاح تنظيمي. وهى المشاكل ذاتها التي عانت منها الحركة في طنجة والمنطقة المغربية الخاضعة لأسبانيا(٧٣).

وبدأت الروابط الصهيونية تستأنف اتصالاتها بالمؤسسات الصهيونية المركزية في أوروبا، بعد نزول قوات الحلفاء على السواحل المغربية في نوفمبر ١٩٤٢م، كما استأنفت الصناديق القومية نشاطها، ووصلت للمغرب العديد من مبعوثيات الوكالة اليهودية وتزايد التأكيد على أهمية الهجرة، مما مثل نقطة تحول مهمة في تاريخ النشاط الصهيوني في المغرب. وساهم هذا النشاط في عودة العديد من الحركات الشبابية والنوادي والروابط ومراكز الثقافة العبرية لممارسة النشاط الصهيوني العلني مرة أخري، وذلك مع مطلع عام ١٩٤٣م (٧٤).

ومن أبرز الروابط الصهيونية، التي لقيت زخمًا كبيرًا بعد عام ١٩٤٢م رابطة "حوفيفي هسافاه-أحباء اللغة"، التي أقامت لها العديد من الأفرع في مختلف أنحاء المغرب الفرنسية بعد

الحرب العالمية الثانية، ورابطة "درع داود" بالدار البيضاء، التي استطاعت بالتعاون مع الاتحاد العبري العالمي(B.I.O الذي تأسس في برلين ١٩٣١م، ويهدف إلى نشر اللغة العبرية في بلاد الشتات) من إحضار العديد من الكتب والدوريات عن فلسطين، كما نظمت محاضرات واحتفالات ودورات عن فلسطين والاستيطان بها. ومن هذه الروابط أيضًا رابطة " شارل نيطر" بالدار البيضاء، وقد كانت من بين الروابط القليلة التي حظيت بمكانة رسمية لدى السلطات الفرنسية، ونجحت في جذب أكثر من ألف شاب خلال هذه الفترة، وعمل هؤلاء في إطار وحدات صهيونية طلائعية (٧٥).

وقد حدث تحول ملموس في توجهات الحركة الصهيونية تجاه يهود المغرب ويهود شمال إفريقيا، حيث أظهرت مزيدًا من الاهتمام لتكوين وتأهيل كوادر عاملة من الشباب اليهودي المتحمس للفكر الصهيوني.

ومن هذا المنطلق، قررت الوكالة اليهودية، في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٢م، اختيار المبعوثين الإسرائيليين المناسبين، وتدريبهم للقيام بعمليات إعداد وتأهيل ليهود شمال إفريقيا قبل القيام بعمليات الهجرة إلى فلسطين، وكان جل تركيزهم على قطاع الشباب اليهودي. ووفقًا لذلك بدأت عملية إعداد المبعوثين لشمال إفريقيا منذ نهايات عام ١٩٤٢م، وشملت عملية الإعداد تنظيم دورات مكثفة في القدس والتركيز على تعليمهم اللغة العربية والفرنسية وأحاطتهم بما يدور في مجتمعات هذه البلدان. ووصلت المبعوثية الأولى(٧٦)لتونس في نهاية شهر سبتمبر ١٩٤٣م ولكنها لم تنجح في الوصول للمغرب(٧٧)، بينما نجحت المبعوثية الثانية في الوصول إلى المغرب ومنذ ذلك الحين بدأ المبعوثون في التجول في المدن المغربية وقرى جبال الأطلس، وعقدوا العديد من الندوات والمحاضرات الليلية خاصة في الدار البيضاء. وبدعوا في مد جسور من التعارف بين الحركات الشبابية في الدار البيضاء وحركة "تسعيري تسيون-فتية صهيون(٧٨)" في تونس العاصمة. وفي يناير ١٩٤٥م، قدمت منظمة "HIAS"(٧٩) ليهود المغرب عدداً من تصاريح الهجرة، وبواسطتها استطاع عشرة من الشباب اليهودي المغربي المتحمس الهجرة إلى فلسطين في سبتمبر ١٩٤٥م، ولكنها لم تكن جماعة مترابطة وينقصهم الانضباط الحركي الضروري لتحقيق هدف مشترك. وعند وصولهم لفلسطين انضموا للنواة الشمال إفريقية الاستيطانية في"بيت هشيطا"، وهو الكيبوتس الذي تم تخصيصه للتأهيل المهني والاجتماعي للشباب اليهودي من شمال إفريقيا وكان به مطبخ كاشير (موافق للشريعة اليهودية) ليلبي احتياجاتهم(٨٠).

فاعليات النشاط الصهيوني في المغرب ١٩٤٥-١٩٤٧م :

أدى "إغلاق" أوروبا إلى "فتح" شمال إفريقيا أمام المبعوثيات الصهيونية الطلائعية، كما أدى كذلك "فتح" أوروبا في عام ١٩٤٥م إلى تصفية "مؤقتة" لعمل المبعوثيات في شمال إفريقيا، فخلال الفترة (١٩٤٥ -١٩٤٧م)، لم يوجد أي مبعوث رسمي من قبل الوكالة اليهودية والموساد في منطقة شمال إفريقيا التي تحتلها فرنسا(٨١).

وقد لعب "المؤتمر اليهودي العالمي(٨٢)" المنعقد في أطلنتيك ستي في 1944 دورًا أساسيًا في تفعيل الانبعاث التنظيمي للنشاط الصهيوني بالمغرب، حيث عمل المشاركون فيه من الصهاينة المغاربة على تشكيل خلية مغربية تابعة للمؤتمر اليهودي العالمي (٨٣)

ومن ثمّ بدأت جهود إعادة هيكلة الفرع الصهيوني بالمغرب، عبر محاولة تنظيم مؤتمر بالدار البيضاء في 18 مايو ١٩٤٥، إلا أن إدارة الحماية الفرنسية رفضت، ثم تكررت المحاولة في 1946 وتمت الموافقة ونظم المؤتمر بالبيضاء في يونيو 1946 وحضره ٥٠ وفدًا من مجموع فروع المغرب، وفي هذا المؤتمر تمت مغربة قيادة الفرع، إلى جانب ذلك ازدادت كثافة سعي المنظمات الصهيونية على اختلاف أنواعها إلى فتح فروع لها بالمغرب(٨٤).

وكان "الاتحاد الصهيوني المغربي" قد عاد لممارسة أنشطته منذ عام ١٩٤٥م، في إطار التبعية "للاتحاد الصهيوني الفرنسي"، كما حافظ على صلاته المباشرة بمؤسسات الحركة الصهيونية. وتولت رئاسة الاتحاد نفس الشخصيات، التي تولت قبل نشوب الحرب مهمة الإشراف على الأنشطة الصهيونية في المغرب. وبالإضافة للمهام التقليدية التي قام بها الاتحاد، فقد رأى قادته لزوم العمل على توجيه الشباب اليهودي وتنظيمه، والعمل على التأثير في حياة الطائفة (٨٥).

ومن هذا المنطلق، تأسست العديد من الروابط الصهيونية بهدف نشر اللغة العبرية بين الشباب اليهودي المغربي، حيث تأسست في الدار البيضاء رابطة "هموريم هاعفرييم بماروكو- المدرسون العبريون في المغرب" وأقيمت في مدينة سلا رابطة "مزرحاه- نحو الشرق"(٨٦).

وحرص الاتحاد الصهيوني في المغرب على افتتاح فصول لتدريس اللغة العبرية بالاشتراك مع هيئة "الإليانس"، وتولت ثلاث روابط في مدينة الدار البيضاء مهمة الإشراف على التعليم العبري وهي: رابطة "درع داود"، ورابطة "أحباء اللغة" ورابطة " شارل نيطر". ولم يتلق التلاميذ دروسًا في اللغة العبرية فحسب وإنما تلقوا أيضًا محاضرات عن تاريخ الاستيطان

والفكرة الصهيونية، كما شارك التلاميذ أيضًا في الأمسيات الشعرية وفي الحفلات الاجتماعيـة. أما في مدينة فاس فقد نشأت فيها قبل الحرب العالمية الثانية "حوج لليمـود يهـدوت- دائـرة الدراسات اليهودية"، التي أصبح اسـمها بعد عام ١٩٤٤م "موعادونهرتسل- نادي هرتسـل"، ولـم تقتصر أنشطة هذه الروابط على المـجال التعليمي وإنمـا شـملت الأنشـطة الرياضـة الـخاصة بالدفاع عن النفس(٨٧).

وقد أسست رابطة " درع داود" بالتعاون مع الإليانس معهدًا لتدريب وتأهيل مدرسين للغـة العبرية الحديثة في عام ١٩٤٦م. وكان هذا تطورًا محوريًا، لأن موقف هيئة الإليـانس، حتـى قبيل الحرب العالمية الثانية، اتسم باللامبالاة وعدم الاكتراث، وأحيانًا، بالعداء تجاه الصهيونية. لكن بعد الحرب العالمية الثانية، تبنت مواقف أكثر وسطية وتعاونت بصورة فعالة مع الناشطين الصهيونيين ومبعوثيات الوكالة اليهودية(٨٨).

وقد عملت في مدينة فاس منظمات يهودية أخـرى مثـل منظمـة ".W.I.Z.O"- ويـزو" (المنظمـة النسـائية الصـهيونية العالميـة- Women's International Zionist Organization)(٨٩).

ومما يذكر أن "يوناثان تورتش"، محرر صحيفة المستقبل المصور، الذي كان يشغل منصب العضوية في مجلس الوكالة اليهودية باعتباره مندوبًا يمثل كل يهود شمال أفريقيا، عمل علـى نشر الأيدلوجية الصهيونية بين النساء عبر هذا الفرع المغربي للمنظمة النسـائية الصـهيونية العالمية، وكانت ترأس الفرع المحامية "هيلين بنعطار"(٩٠).

وفي مدينة سفرو كان الطلاب اليهود يتلقون دراستهم فيما يسمى بـ "موعـادون بياليـك- نـادي بياليك"، وفي مكناس تلقى التلاميذ دروسهم في إطار ما يسمى بـ"كفوتست بـن يهـودا- جماعة ابن يهودا". والجدير بالذكر أن كل هذه الروابط لم تكن تحمل تصـريحاً مـن السـلطات بممارسة أنشطتها، ولذلك أضطر بعضهم مثل "موعادون بتح تكفاه- نادي بيتح تكفا" في الرباط، الذي تعرض لضغوط شديدة من قبل السلطات ولجنة الطائفة، إلى وقف أنشطته(٩١).

ومن كل هذا، يتضح أن الـمحور الرئيس الذي ركز عليه التنظيم الصهيوني في المغرب في هذه الفترة، تمثل في نشر اللغة العبرية في أوساط يهود المغرب، خاصة بعـد فتـرة الجمـود النسبي التي عانى منها النشاط الصهيوني نتيجة أحداث الحرب العالمية الثانية وتواجد حكومـة فيشي في المغرب. وهو محور كان ضمن أنشطة التنظيم الصهيوني في المغرب قبـل الحـرب

العالمية الثانية بالفعل، لكنه لم يكن بمثل هذه الكثافة لدرجة أنه أصبح من أهم أولويات النشاط الصهيوني، وأصبح على الأقل يتساوى مع العمل على ترويج الشيكل وجمع التبرعات.

والجديد هنا أيضًا أن هيئة "الإليانس" وحدت أهدافها مع أهداف التنظيم الصهيوني في هذه الفترة، وسخرت العديد من مؤسساتها لتعليم اللغة العبرية وإعداد المعلمين المناسبين لهذه المهمة. ومن الملاحظ أيضًا، أن كل هذا النشاط كان موجهاً في المقام الأول إلى الشباب اليهودي خاصة الشباب المقيم في المدن، ممن تلقى تعليمًا فرنسيًا. وبعد أن كانت أغلب التنظيمات الشبابية تركز على النشاط الرياضي والثقافي، بدأت في العمل بالنشاط الصهيوني بشكل فعال والمشاركة في إقامة تنظيمات طلائعية للشباب اليهودي بالمغرب كنواة لعمليات التهجير إلى إسرائيل.

أما عن جانب الدعاية الصهيونية فيلاحظ أن الخطاب الصهيوني بالمغرب أخذ يتجه أكثر نحو هدف الدولة، وأمام تنامي الوعي الوطني المغربي بحقيقة الصراع في فلسطين، عمل هذا الخطاب على الترويج للأطروحات المراوغة في التفاهم مع العرب أثناء إقامة الدولة، وهو ما يمكن استخلاصه من هذا النص الذي تم تداوله في المؤتمر الصهيوني الأول بالدار البيضاء في١٩٤٦: "إن الصهاينة لجد مقتنعين بأن تطور الوطن القومي اليهودي وتحوله إلى دولة يهودية لن يكون على حساب السكان العرب للبلد، وهم لا يتصورون مستقبل أرض إسرائيل إلا بتعاون أخوي وديمقراطي مع العرب..." (٩٢).

ولعبت مجلة "NOAR– الشباب" دورًا أساسيًا في بث الخطاب الصهيوني، خلال هذه الفترة التالية للحرب العالمية الثانية، فهذه المجلة، التي عوضت في 1945 غياب مجلة "المستقبل المصور" واستمرت إلى ١٩٥٢، أخذت تطرح بكثافة هواجس الأعمال الانتقامية ضد اليهود في حالة الإعلان عن تأسيس الدولة اليهودية بفلسطين، وتعمل على استغلال أي حدث له علاقة بالموضوع من أجل ربط مصير اليهود المغاربة بمصير الدولة الصهيونية، والتهيئة النفسية للهجرة إليها. من هنا نفهم إثارة الحديث فيها عن بعض الأحداث "المعادية لليهود" بليبيا في 1945، وغيرها من أجل دفع اليهود المغاربة إلى "التماهي مع ضحايا النازية"، وما ساعد أكثر هو تحول المغرب إلى ملجأ لاستقبال الفارين من النازية عبر أسبانيا، لاسيما بعد أن تم فتح مخيم لصالحهم بمدينة المحمدية(٩٣).

وعند نهاية الأربعينات من القرن العشرين، أقيمت العديد من حركـات الشـبيبة الطلائعيـة استمدت أفكارها من الأيديولوجية الصهيونية (مثل:جوردونيا، والحارس الفتي، وبيتـار (٩٤)) لكن معظم هذه الحركات لم تستطع أن تتطور حتى تصنف كحركـات طلائعيـة أو أيديولوجيـة باستثناء روابط خريجي الإليانس، ورابطة "شارل نيطر " وجماعة "ابن يهودا" (٩٥).

ومن أبرز حركات الشبيبة الطلائعية الأخرى، حركات("درور- الحرية"، و"بني عكيفا-أبنـاء عقيفا(٩٦)"،" هنوعر هتسيوني- الشباب الصهيوني"، و"بحد: بريت حالوتسيم داتيـيم- اتحـاد الطلائعيين الدينيين(٩٧)") وحركة "هبونيم -البناة" التي تأسست في الدار البيضاء، ونجحـت تلك الحركات في جذب العديد من المؤيدين (٩٨).

هذا، وقد كان الكيبوتس الموحد(٩٩) هو الحركة الوحيدة النشطة والعاملة في المغرب، وكان أعضاؤه مع أعضاء جماعة " ابن يهودا " [أحد أهم الروابط الصهيونية المندمجة في رابطـة " شارل نيطر "] هم المسئولين عن عمليات تهريب اليهود عبر الحدود(١٠٠). وقد سبق لتيـار الصهيوني جابوتنسكي أن عمل على التغلغل في المغرب منذ بداية العشرينات، إلا أنه فشل على المستوى الإعلامي (١٠١).

و هكذا كان الشباب اليهودي في المغرب بعيدًا عن تأثيرات التيـارات السياسـية الحزبيـة السائدة في الاستيطان اليهودي بفلسطين، على عكس أقرانهم في كل من تونس و الجزائر. فلم يكن قد وصل بعد إلى المغرب مبعوثو الحركات والأحزاب والموساد، ومن وصل مـنهم قـاموا بعمل محدود في المغرب وبدون إبراز للتيارات المختلفة في الاستيطان بفلسطين. وفي الفتـرة التـي أعقبت إقامة الدولة تغير هذا الوضع، عندما جاء مبعوثو الحركات الصهيونية للعمل في المغرب، وادخلوا الانقسام الحزبي للتنظيم الصهيوني بالمغرب(١٠٢).

سمات النشاط الصهيوني خلال الفترة (١٩٤٣-١٩٤٧م):

من الملاحظ أن النشاط الصهيوني في تلك الفترة، عشية إقامة دولة إسرائيل، كان يهـدف إلى التركيز على الشباب اليهودي لخلق الكوادر المؤهلة للمرحلة المستقبلية، التي سـتبدأ مـع نهاية حقبة الأربعينات ومطلع الخمسينات وستتركز على تهجير يهود المغرب، ورغم أن الـذين انتموا لهذه الحركات كانوا صفوة صغيرة من مجمل الشباب اليهودي في المغرب، إلا أنهم مثلوا قاعدة قوية لعمليات التهجير. وقد تميزت هذه الفترة (١٩٤٣ـ١٩٤٧م) بأن النشاط الصهيوني فيها قام على محورين رئيسين متوازيين: أولهما، دار النشاط الصهيوني حـول محـور نشـر الثقافة واللغة العبرية في أوساط اليهود، وثانيهما، التركيز على محور تأهيل الشباب اليهـودي

لتكوين النوى الأولى للاستيطان اليهودي من شمال إفريقيا في فلسطين. وإن كانت هذه التجربة قد عانى منها الشباب اليهودي المغربي لأن انخراطه في التنظيمات الطلائعية كان بدافع الموروثات الدينية ولم يكن نابعًا إلى حد كبير من انتماءات أيديولوجية، بالإضافة إلى عدم تمرسهم على الحياة الطلائعية.

وقد زار الدكتور "شلومو أ. نالخون"، عضو قسم التنظيم التابع للحركة الصهيونية، المغرب عشية إقامة دولة إسرائيل، في محاولة لمعرفة مدى تأهل يهود المغرب للهجرة والاستيعاب في الاستيطان الجديد بفلسطين. وميز التقرير الذي قدمه للمؤسسات المركزية الصهيونية بين الرابطة التقليدية بفلسطين والرغبة القوية للهجرة وهذا كان طابعًا مميزًا لأغلبية يهود المغرب، وبين الانحياز الفكري مع الحركة الصهيونية والاستعداد للاشتراك في التنظيم الصهيوني وهذا كان طابعًا مميزًا لأقلية من يهود المغرب، ومما جاء في هذا التقرير: "...إذا قصدنا بكلمة الصهيونية محبة فلسطين والشوق لصهيون، فإن كل يهود المغرب سيكونون صهيونيين، وإذا قصدنا بكلمة الصهيونية التأهيل الروحي، الثقافي والمهني لبدء حياة جديدة في فلسطين، حينئذ نستطيع أن نقول إنه مازال يوجد الكثير لكي نفعله..." وهو هنا يشترط أن نجاح استيعاب يهود المغرب في فلسطين يرتبط بمدى تأهلهم لاستيعاب الفكر الصهيوني السياسي(لكن هذا لم يتحقق إلا لفئة محدودة)، بينما كان اشتراك معظم أبناء الجاليات اليهودية في المغرب في التنظيم الصهيوني، نابعًا من نظرتهم للصهيونية على أنها حركة هجرة، وليست حركة أيديولوجية قومية سياسية(١٠٣).

ومما سبق يتضح، أن أحد العناصر الرئيسة التي تحكمت في تطور وتدعيم التنظيم الصهيوني في المغرب بين أوساط المنتمين إليه هو حجم الهجرة إلى فلسطين، حيث عانى النشاط الصهيوني من ضعف تأثيره على يهود المغرب، عندما تبنت الحركة الصهيونية سياسة عدم تشجيع الراغبين من يهود المغرب في الهجرة إلى فلسطين.

(ثانياً): عمليات تهجير يهود المغرب إلى فلسطين (١٩٤٧ -١٩٦٤م)

استغرقت عمليات تهجير يهود المغرب إلى فلسطين فترة زمنية طويلة نسبيًا: ففي البداية حظيت بزخم خلال الفترة (١٩٤٧-١٩٤٨م)؛ تحت تأثير الدافع العاطفي لقرب إعلان إقامة "دولة إسرائيل". ثم حدث انخفاض ملحوظ خلال عام ١٩٥٣م؛ بسبب الأزمة الاقتصادية التي عانت منها إسرائيل في تلك الفترة. لكن خلال عام ١٩٥٦م، وهو عام حصول المغرب على

استقلالها، حققت الهجرة أرقامًا قياسية. ثم حدث انخفاض آخر خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٦٠م)؛ بسبب رفض الحكومة المغربية السماح لليهود بالمغادرة، الأمر الذي دفع آلاف اليهود إلى اتباع الأساليب السرية في الهجرة. وفي أعوام ١٩٦١-١٩٦٢م، حقق معدل الهجرة ازديادًا ملحوظًا، مما أدى إلى تصفية شبه نهائية للعديد من الجاليات اليهودية في المغرب(١٠٤).

وعلى ذلك، فمن المستحسن تقسيم عمليات التهجير إلى مراحل وفق مجريات الأحداث التي أثرت على تيار الهجرة سواء بالسلب أو بالإيجاب، وكذلك وفق الأسلوب الذي اتبعته الأجهزة الإسرائيلية المعنية بعمليات تهجير يهود المغرب.

ويمكن تقسيم العمليات التهجيرية إلى خمس مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى من مايو ١٩٤٧م حتى فبراير ١٩٤٩م، المرحلة الثانية من مارس ١٩٤٩م حتى سبتمبر ١٩٥٦م، المرحلة الثالثة من أكتوبر ١٩٥٦م حتى أكتوبر ١٩٦١م، المرحلة الرابعة من نوفمبر ١٩٦١م حتى ديسمبر ١٩٦٣م والمرحلة الخامسة مرحلة مفتوحة تبدأ من عام ١٩٦٤م فصاعدًا.

لكن قبل عرض تفاصيل تلك المراحل يجب أولاً أن نشير إلى أهداف إسرائيل من تشجيع عمليات تهجير يهود من المغرب، وأسباب اندفاع اليهود للخروج من المغرب.

(١) أهداف إسرائيل من عمليات التهجير

وهى في معظمها أهداف عامة تنطبق على كل اليهود السفارديم، ومن أبرز تلك الأهداف:

(أ) **تعويض إغلاق منافذ الهجرة الأوروبية**: خلال الحرب العالمية الثانية، تضاءلت أعداد المهاجرين اليهود؛ نظرًا لتدهور الأوضاع في القارة الأوربية وإغلاق منافذ الهجرة عن طريق البحر بداية من عام ١٩٤٢م، ولأن الهجرة هي إكسير حياة الحركة الصهيونية؛ لذا كان من الضروري اللجوء إلى الاحتياطي البشري المتمثل في "يهود الشرق" لتكريس الاستيطان وفرض الأمر الواقع(١٠٥). لكن يجب أن نضع في الحسبان أن المؤسسات الصهيونية المركزية غيرت من توجهاتها هذه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وعادت توجه جل اهتمامها ليهود أوروبا مرة أخرى.

(ب) **توفير قوة عمل رخيصة**: تقرر تهجير اليهود السفارديم لاستخدامهم كقوة عمل رخيصة، ففي أحد ملفات دائرة الهجرة توجد وثيقة بدون توقيع، كتبها طبيب اشتغل نحو عام ونصف

في المعسكرات الانتقالية الخاصة بالمغاربة، في مرسيليا- يقول فيها: " إن المهاجرين من شمال إفريقيا سوف يزودون إسرائيل بالعمل الرخيص: العمل غير الماهر، بدلاً من العامل العربي الذي يتوفر على هذا العمل حتى حرب ١٩٤٨م !! إن مستوى معيشة الشمال إفريقي لم تكن أعلى من مستوى الفلاح العربي، وسيكون مستواهم في إسرائيل أعلى مما كان عليه، حتى ولو ظل دون المستوى المعيشي الأوروبي الذي يتمتع به الإشكناز. إن المهاجر من شمال إفريقيا سوف يتكيف تدريجيًا على ذلك – بدون أية صعوبة– مع وضعه"(١٠٦).

(ج) **الزيادة الديموجرافية**: كان هناك إدراك بأن زيادة عدد السكان اليهود هي أفضل طريقة مباشرة لخلق مجتمع إسرائيلي قابل للبقاء، سواء على المدى القصير أو الطويل(١٠٧).

(د) **دروع بشرية**:لاستخدام اليهود السفارديم كلحوم للمدافع.فقد صرح "دافيد بن جوريون(١٠٨)" مرات عديدة بأن " الهجرة من شأنها أن تقوى أمن الدولة أكثر من أي شيء آخر"، وأن "مصير الدولة يتعلق بالهجرة". و"صرح شمعون بيرس(١٠٩)" في أواخر خمسينات القرن العشرين بأن هذه الهجرة واسعة النطاق سوف تمكن إسرائيل من تأليف جيش قوامه مليون جندي، وسوف يساعدها هذا الجيش على فرض هيمنتها على الشرق الأوسط، وكان بيرس آنذاك مدير وزارة الدفاع(١١٠).

لكل ما تقدم، تبنت إسرائيل حملة واسعة بعد ١٩٤٨م لجمع اليهود في إسرائيل التي هي في نظر زعمائها "أساس وجود كل الطوائف اليهودية في كل مكان ". وقد نظمت عملية التجميع بقانون العودة الذي تبناه الكنيست في الخامس من يوليو في عام ١٩٥٠م، الذي يقضي بأن الهجرة إلى إسرائيل هي حق كل يهودي، وقانون الجنسية في عام ١٩٥٢م الذي يعطى كل يهودي حق المجيء إلى إسرائيل للإقامة الدائمة والحصول على الجنسية(١١١).

وبإتباع إسرائيل للنهج الميكيافيلي (الغاية تبرر الوسيلة)، فإنها لم تجد أي حرج في استجلاب اليهود السفارديم، ليس من أجل مصلحتهم الإنسانية وتحقيق الخلاص لهم، كما يحلو لها أن تدعي، بل من أجل مصلحتها أولاً وأخيرًا، لتكريس سيطرتها على الأرض، ولتكون لها الغلبة السكانية، ولحسم الصراع على أرض فلسطين لصالحها. ولأنهم قريبو الشبه من عرب فلسطين جسمانيًا وعقليًا، وفق ادعاءات إسرائيل، عمدت إلى توطينهم في الأماكن الحدودية، في القرى والمدن التي تم تهجير سكانها العرب منها؛ للحيلولة دون عودة هؤلاء السكان، ولكي يكونوا جدراناً بشرية لصد أي هجوم، وامتصاص أية عملية فدائية. ولم يكن يهود المغرب

بعيدين عن هذه الدائرة المستقبلية التي رسمتها إسرائيل لليهود السفارديم، رغم أنهم لم يعانوا من أي اضطهاد طائفي وعاشوا في حرية وسلام وتمتعوا بحماية الملك "محمد الخامس" والملك " الحسن الثاني"، إلا أنهم بسبب عددهم الكبير لم يسلموا من المخططات الإسرائيلية لتهجيرهم.

(٢) الأسباب التي دفعت اليهود إلى الخروج من المغرب

يمكن تحديد أهم الأسباب التي دفعت اليهود للخروج من المغرب والاستجابة لدعاوى الهجرة التي روجت لها إسرائيل على لسان مبعوثيها، فيما يلي:

(أ) الخلاص المسيحاني: نظرًا لأن فكرة الخلاص المسيحاني كانت تسيطر على شريحة كبيرة من المجتمع اليهودي المغربي ومعظمهم من أبناء الطبقة الفقيرة، فقد أدى الإعلان الدراماتيكي لإقامة دولة إسرائيل، الذي ارتبط في الوعي العام " لليهود التقليديين" بتنفيذ حلم الأنبياء؛ إلى تدفق يهود المغرب على فلسطين الجديدة، يحدوهم الخيال أنهم يطيرون على أجنحة الحلم المسيحاني(١١٢). وكانت هجرتهم بعيدة تمامًا عن أية دوافع أيديولوجية، وكأنما كانت هجرتهم بمثابة فرض ديني.

(ب) خروج الاحتلال الفرنسي: كان من بين أسباب هذا التحول المفاجئ للأحداث، هو رحيل الإدارة الفرنسية وانقلاب التوازن الذي مكنهم من الاستفادة من النظام الاستعماري؛ فاضطروا إلى المغادرة (إلى فرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل). وكان من الممكن أن يحدث هذا حتى لو لم تنشأ إسرائيل(١١٣).

يعد هذا السبب نقطة تحول مهمة، حيث أدى إلى تدافع قطاعات كبيرة من يهود المغرب للرحيل عنها، خاصة هؤلاء الذين ارتموا في أحضان الثقافة الفرنسية من أبناء الطبقات العليا والمتوسطة؛ لأن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسلطات الحماية الفرنسية، ولكن هؤلاء لم يسارعوا بطرق أبواب الهجرة مباشرة إلى إسرائيل، بل أتجه معظمهم إلى فرنسا، وبلجيكا، وكندا، وأسبانيا، وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الأمريكية.

(ج) استقلال المغرب: أدى حصول المغرب على استقلالها في مارس ١٩٥٦م؛ إلى انتشار المخاوف بين اليهود على مختلف الأصعدة، ووجدوا أن الهجرة هي الخيار المناسب لهم، لأسباب التالية:

- السبب الثقافي: كانت "مسيرة التعريب" هي أحد الأهداف المهمة للقوميين المغربيين، وبمقتضاها تم ضم ثلث المؤسسات التعليمية التابعة " للإليانس" ولهيئات أخرى في الإطار العام لوزارة التعليم المغربية، وذلك بهدف إحلال العربية محل الفرنسية في تدريس العلوم المختلفة. كان هذا بالنسبة لليهود المرتبطين بالثقافة واللغة الفرنسية بمثابة أمر طرد لهم، فالجيل الناشئ من أبناء الصفوة اليهودية، التي اندمجت تمامًا في الثقافة الفرنسية، لم يعد يحتاج حتى للغة العربية(١١٤).
- السبب الاقتصادي: الخوف من اتخاذ الحكومة المغربية المستقلة إجراءات اقتصادية، تؤدى إلى سلبهم ما يتمتعون به من امتيازات ومكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية.
- السبب السياسي: سعت المغرب بعد استقلالها لتوطيد علاقتها بالدول الأعضاء في الجامعة العربية– التي انضمت لها المغرب في أكتوبر ١٩٥٨م– وتقاربت المغرب من مصر في عهد "جمال عبد الناصر"، الذي كان يتزعم العالم العربي في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. وقد أدى هذا التنامي في التيار القومي العربي بالمغرب؛ لإثارة مخاوف اليهود على أمنهم، رغم تعهدات الملك "محمد الخامس" الدائمة لليهود بأنهم أبناؤه ويتمتعون بحمايته الشخصية(١١٥).

(د) **إسرائيل هي المخرج الوحيد** : كان الكثير من يهود المغرب يرغبون في الحصول على أي جنسية أجنبية(فرنسية بصفة خاصة)؛ لتحقيق حلمهم بالهجرة إلى هذه البلاد من أجل تحسين مستواهم المعيشي. لكن نتيجة اتباع فرنسا لسياسة صارمة تجاه منح الجنسية الفرنسية لليهود؛ لم يتمكن هؤلاء من تحقيق حلمهم، خاصة بسبب ضعف إمكانياتهم. وعندئذ لم يعد أمامهم سوى إسرائيل، ولاسيما أن مبعوثي الهجرة الإسرائيليين رسموا لهم صورة خيالية عن الحياة في إسرائيل، وعن الإمكانيات التي ستتاح لهم بمجرد وصولهم إليها، ومن ثمّ لم يجدوا أمامهم مفرًا سوى الهجرة إلى إسرائيل. ولو أتيح لهم ما أتيح ليهود الجزائر من الحصول على الجنسية الفرنسية، لهاجرت معظم فئات الجالية اليهودية من المغرب لفرنسا بمختلف شرائحها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما حدث ليهود الجزائر.

وهنا، نجد أنه لا يوجد أدنى تعارض بين الدافع الرئيس لهجرة يهود المغرب، وهو الدافع المسيحاني، وبين رغبتهم في الخروج من المغرب لتحسين مستوى المعيشة والرغبة في تحقيق ارتقاء اجتماعي واقتصادي، لأنهم عندما هاجروا إلى إسرائيل كان يحدوهم الأمل في

حيـاة أفضـل علـى أرض مملكـة الخـلاص المسـيحاني، أو بعبـارة أخـرى خـلاص اجتماعي/اقتصادي-مسيحاني.

ومن الملاحظ، أن هذه الأسباب لم تشتمل على سبب صهيوني واحد؛ وذلك لأن الصـهيونية بطابعها العلماني كانت معروفة لفئة ضئيلة من الشباب اليهودي المثقف، كما أن العديد من بين الناشطين الصهيونيين فضلوا البقاء في المغرب من أمثال "شموئيل دانيائيل ليفـي". واللافـت للعيان، أن هذه الأسباب لم تشتمل على سبب واحد يتحدث عن تعرض يهود المغرب للاضطهاد، وأنهم معرضون لخطر الإبادة، بل كانت كلها مجرد مخاوف من المستقبل، خاصة بعد اسـتقلال المغرب.

وبالتقاء تلك الأسباب، الأسباب التي دفعت إسرائيل للسعي لتهجير اليهـود مـن المغـرب والأسباب التي دفعت اليهود للخروج من المغرب، بدأت عمليات التهجير منذ مطلع عام ١٩٤٧م واستمرت حتى منتصف الستينات من القرن العشرين.

(٣) **مراحل عمليات التهجير**

(أ)**المرحلة الأولى (مايو ١٩٤٧ - فبراير ١٩٤٩م)**:

جرت عمليات تهجير(١١٦) يهود المغرب خلال هذه الفترة تحت رعايـة جهـاز " الموسـاد للهجرة ب(١١٧)"، الذي اتخذ من الجزائر مسرحًا لتنفيذ عمليات التهجير عبر البحـر المتوسـط، حيث تدفقت الهجرات اليهودية من المغرب وتونس نحو الجزائر خـلال هـذه الفتـرة؛ نظـرًا للتضييقات والقيود المفروضة على هجرة اليهود في هاتين البلدين.

وقد نجح أعضاء "جهاز الموساد للهجرة ب" في إقامة معسكر للمهاجرين، في مزرعة تبعد نحو ١٧٦ كم إلى الغرب من الجزائر العاصمة. وكان يوجد بالقرب من هذا المزرعة خليج شبة مهجور، على مسافة نحو ٤ كم، تم استخدامه في دخول السفن التي ستنقل المهاجرين. وفـي يوم ١٠/٥/١٩٤٧م، دخلت أول سفينة مهاجرين، وهى سفينة "يهودا هليفي "(١١٨) وكانت تحمل علم بنما. صعد على متنها نحو ٤٠٠ فرد، بينما لم يتمكن نحو ٢٠٠ آخرين من الوصول إليها؛ بسبب وصول الشرطة الفرنسية التي ألقت القبض عليهم، وأبحرت هذه السفينة من السـواحل الجزائرية نحو فلسطين مباشرة، حيث وصلت إلى ميناء حيفا في ٣١/٥/١٩٤٧م، لكن سلطات الانتداب البريطاني لم تسمح للمهاجرين بالدخول (١١٩).

وكرر جهاز "الموساد للهجرة ب" المحاولة، وأرسل سفينة ثانية باسم "العودة إلى صهيون" إلى السواحل الجزائرية، وفي هذه المرة تم التنسيق مع الفرنسيين بالجزائر. وأبحرت هذه السفينة من السواحل الجزائرية إلى فلسطين مباشرة في ١٦/٧/ ١٩٤٧م، وكان على متنها نحو ٤٠٠ فرد أو أكثر بقليل، وتمكنت من الوصول لميناء حيفا في ٢٨ / ٧ / ١٩٤٧م، لكن سلطات الانتداب البريطاني لم تسمح بدخول المهاجرين، وقامت بترحيل السفينة ومن عليها إلى قبرص كما حدث مع السفينة الأولى(١٢٠).

وظل المهاجرون الذين كانوا على متن سفينة "يهودا هليفي"، وسفينة "العودة إلى صهيون" في قبرص إلى ما بعد إقامة دولة إسرائيل(١٢١).

ووصلت السفينة الثالثة " الطلائعي" لشواطئ الجزائر في ١٦/١١/١٩٤٧م، لكن لم ينجح في الصعود على متنها سوى ٤٤ مهاجرًا فقط؛ لأن الشرطة الفرنسية وصلت لمكان الإبحار، وبدأت في إطلاق النار عليهم (حيث قرر المسئولون عن هذه العملية عدم التنسيق مع السلطات الفرنسية بالجزائر). وأبحرت هذه السفينة نحو فرنسا، وهناك انتقل المهاجرون لسفينة أخرى تعرف باسم "المقتحمون" التي أبحرت في ٢٣/١١/١٩٤٧م، ونجحت في الدخول لشواطئ فلسطين وإنزال المهاجرين عليها في ١٤/١٢/١٩٤٧م (١٢٢).

وكانت هذه المجموعة هي أول من نجح في الدخول إلى فلسطين خلال هذه الفترة؛ وقد أحدث هذا النجاح صدى طيبًا في أوساط يهود المغرب، وبهذه العملية انتهت مرحلة الإبحار المباشر من السواحل الجزائرية للسواحل الفلسطينية، حيث تم اتخاذ بعض المواني الساحلية الفرنسية بوصفها محطة انتقالية مؤقتة ينتقل بعدها المهاجرون إلى إسرائيل.

وقد واصل يهود المغرب الهروب عبر الحدود المغربية الجزائرية، عبر مدينة وجدة [القريبة من الحدود الجزائرية المغربية]. ومن كان ينجح منهم في اجتياز الحدود إلى الجزائر؛ كان يحصل من مندوبي "الموساد للهجرة ب"على تصاريح مزيفة، ثم يبحر بعد ذلك إلى مرسيليا، وهناك كان يهتم بهم أفراد تابعون للوكالة اليهودية. كما نجح بعض اليهود في المغرب، عن طريق الوسائل الشرعية المناسبة أو بالتعاون مع موظفين فرنسيين أو مغربيين متواطئين، في الحصول على جوازات سفر مكنتهم من السفر مباشرة إلى مرسيليا ومنها إلى إسرائيل(١٢٣).

السمات المميزة لهجرة يهود المغرب خلال المرحلة الأولى :-

اتسمت هجرة يهود المغرب خلال هذه الفترة بعدة سمات، كان من أبرزها ما يلي: هجرة غير شرعية: تميزت عمليات التهجير خلال هذه الفترة بأنها غير شرعية(١٢٤). هجرة عشوائية: كانت هجرة يهود المغرب خلال هذه الفترة تحمل طابع المبادرة الشخصية والهروب غير المنظم (١٢٥).

ولعل من أهم نتائج هذه الهجرة العشوائية، أنها أدت إلى حدوث ضغط واضطراب لأجهزة الاستيعاب في إسرائيل؛ وهو ما دفع إسرائيل لتغيير سياستها تجاه هذه الهجرة، وإتباع أساليب جديدة تحد من تدفق هذه الهجرة غير المؤهلة للحياة الجديدة في إسرائيل.

ويبلغ عدد يهود المغرب الذين هاجروا إلى إسرائيل خلال هذه الفترة (١٩٤٨ ــ ١٩٤٩م) وفقاً لإحصائيات الوكالة اليهودية نحو ٨٠٠٠، يهودي مغربي(١٢٦).

(ب)المرحلة الثانية "مرحلة منظمة كاديما –إلى الأمام" (مارس ١٩٤٩ ـ سبتمبر ١٩٥٦م) :

بدأت إسرائيل في تنفيذ توجهاتها الجديدة تجاه الهجرة القادمة من المغرب بصفة خاصة ومن دول شمال إفريقيا بصفة عامة، نظرًا لأن عدد المهاجرين القادمين من المغرب كان يمثل النصيب الأكبر من بين كل مهاجري هذه الدول. وقد سارت هذه التوجهات الجديدة على محورين رئيسين، المحور الأول: التفاوض مع السلطات الفرنسية بالمغرب، بالتنسيق مع وزارة الخارجية الفرنسية، وبتعاون شخصيات بارزة من الاتحاد الصهيوني الفرنسي ومن الوكالة اليهودية؛ لتنظيم عمليات الهجرة وتحديد عدد المهاجرين من يهود المغرب لإسرائيل؛ والمحور الثاني: تطبيق سياسة الانتقاء على المرشحين للهجرة؛ لضمان وصول أفضل العناصر وأقدرها "صحيًا، ونفسيًا واقتصاديًا" لسهولة التأقلم مع الحياة الجديدة في إسرائيل، وكمحاولة لتفادي سلبيات مرحلة الهجرة السابقة (١٩٤٧-١٩٤٩م).

وكانت نقطة التحول الأولى في مارس ١٩٤٩م، عندما التقى "الفونس جون" المفوض العام الفرنسي في المغرب (١٩٤٧ ــ ١٩٥١م) مع "جاك جرشوني"، الذي قدم نفسه على أنه مندوب للوكالة اليهودية في فرنسا، ولكنه كان من الشخصيات المقربة لرئيس جهاز "الموساد للهجرة ب" في فرنسا، وأحد الناشطين البارزين في الاتحاد الصهيوني الفرنسي، وفي هذا اللقاء الذي تم في الرباط وضعت الأسس الرئيسة لبرنامج الهجرة الجديد الذي سيضع نهاية للهجرة غير الشرعية من المغرب(١٢٧).

وقد سمحت فرنسا بمقتضى هذه الاتفاقية للوكالة اليهودية بتنظيم النشاطات الاجتماعية والثقافية وعمليات التهجير في أوساط يهود المغرب، شريطة أن يتم هذا في طي من السرية والكتمان؛ حتى لا يثير غضب السلطان المغربي والقوميين المغربيين ضد فرنسا. ونصت الاتفاقية أيضًا على إقامة مكتب خاص للوكالة اليهودية في الدار البيضاء لرعاية شئون المهاجرين، الذي سيعمل تحت غطاء أنه مكتب لتقديم الخدمات الاجتماعية لليهود(١٢٨).

وفي أبريل ١٩٤٩م، تم افتتاح مكتب تنظيم شئون الهجرة اليهودية في المغرب الذي عرف باسم "كاديما-إلى الأمام (١٢٩)" وقد استمر قائمًا حتى عام ١٩٥٦م(١٣٠).

ومن هذه اللحظة بدأت سلطات الحماية الفرنسية في اتباع سياسة متعاونة مع الهجرة اليهودية على عكس سياستها المتشددة خلال الفترة (١٩٤٧ ــ ١٩٤٩م).

وحسبما جاء في هذه الاتفاقية كثفت العديد من أقسام الوكالة اليهودية من أنشطتها وعملياتها في المغرب. وكان من أبرز هذه الهيئات: قسم يهود الشرق الأوسط، وقسم الشباب الطلائعيين وأقسام التعليم الديني والعلماني(التي حرصت على توفير تعلم اللغة العبرية والثقافة اليهودية)، وكان هدف هذه المجهودات تأهيل الشباب اليهودي المغربي للهجرة(١٣١).

وبالإضافة لمكتب الهجرة الرئيس بالدار البيضاء، كانت توجد أفرع له منتشرة في أوساط الجاليات اليهودية بالمدن الكبرى(مثل: الرباط، وسلا، ومكناس، ومراكش، وفاس، وموجادير وصافي)، حيث تسجل فيها أسماء الراغبين في الحصول على تصاريح الهجرة. وكان جهاز "الموساد للهجرة ب" هو المسئول عن إدارة منظمة " كاديما" بالتعاون مع مبعوثي الوكالة اليهودية، وذلك حتى مارس ١٩٥٢م، حيث تم حل "الموساد للهجرة"، وتولى " قسم الهجرة " التابع للوكالة اليهودية مهمة إدارة مكتب " كاديما " حتى إغلاقه عام ١٩٥٦م. كما ضم تنظيم "كاديما" معسكرًا انتقاليًا في مزجان، التي تقع إلى الجنوب من الدار البيضاء نحو ٩٠ كم، وكان مخصصًا لاستيعاب مؤقت للمهاجرين الذين قدموا طلبات للهجرة، واجتازوا الاختبارات المطلوبة. وخلال الفترة (١٩٤٩ ــ١٩٥١م)، تولت منظمة "الجوينت" عمليات تمويل نشاط منظمة " كاديما " وتكاليف الانتقال إلى مرسيليا ومنها إلى إسرائيل، ثم انتقلت مسئولية التمويل بعد ذلك للوكالة اليهودية(١٣٢).

سمح الفرنسيون بهجرة نحو ٦٠٠ يهودي شهريًا إلى إسرائيل، على أن يكونوا من سكان المدن الكبرى، أما يهود القرى والمناطق النائية في جبال الأطلس فلم تسمح لهم بالهجرة في هذه المرحلة المبكرة وتركوا "حتى إشعار آخر" (١٣٣).

وقد اتبع " قسم الهجرة " التابع للوكالة اليهودية أسلوبًا خاصًا في تهجير سكان القرى اليهودية النائية (خاصة في جبال الأطلس)، حيث لم يتم تهجيرهم دفعة واحدة لكن استمرت هجرتهم على مراحل مختلفة، ومنطقة بعد أخرى من منتصف علم ١٩٥٢م. وكان يتم إيفاد مبعوثين لهذه الأماكن النائية لتسجيل أسماء العائلات اليهودية لتهجيرهم لإسرائيل(١٣٤).

ورغم ذلك، لم يلتزم القائمون على تهجير يهود المغرب بهذا العدد، فقد جاء في الإحصائيات الواردة في أرشيف وزارة الداخلية الفرنسية في الرباط أن عدد المهاجرين في شهر أكتوبر ١٩٤٩م وصل نحو ٨٦٤ مهاجرًا، وفي شهر فبراير ١٩٥١م نحو ٧٤٥، وخلال أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر من العام ذاته وصل عدد المهاجرين بالترتيب على النحو التالي ٨٣١، ١١٧١، ١٥١٥ من المهاجرين اليهود (١٣٥).

ورغم هذا التجاوز في عدد المهاجرين من المغرب لإسرائيل، الذي رصدته أجهزة الحماية الفرنسية في المغرب والمثبت في وثائقها الرسمية، إلا أن هذه الأعداد ليست هي الأعداد الحقيقية للمهاجرين، فالقائمون على شئون الهجرة خلال هذه الفترة كان معظمهم من جهاز "الموساد للهجرة ب" ولديهم خبرة واسعة في العمل السري وفي أساليب التزوير والخداع والرشاوى لتهجير المزيد من اليهود، ولعل هذا هو السبب في وجود فروق عديدة بين إحصائيات الوكالة اليهودية وإحصائيات وزارة الداخلية الفرنسية بالرباط.

وقد قدرت إحصائيات الوكالة اليهودية، أن عدد الذين هاجروا من المغرب خلال هذه الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦م نحو ٩٠ ألف و٢٤٣ مهاجرًا يهوديًا، بينما جاء في إحصائيات وزارة الداخلية الفرنسية بالرباط أن عددهم نحو ٦٦ ألف و ٢٨٧ مهاجرًا من المغرب لإسرائيل خلال الفترة من مارس ١٩٤٩ ـ إبريل ١٩٥٦م(١٣٦).

وفي مارس ١٩٥٦م، استطاعت المغرب الحصول على الاستقلال، وانتهت بذلك فترة الحماية الفرنسية على المغرب التي استمرت لما يقرب من ٤٤ عامًا. ومن ثم أصبح من حق المغرب الشرعي بوصفها دولة مستقلة اتخاذ كافة الإجراءات المناسبة لحماية مصالحها القومية والحفاظ على وحدتها الوطنية.

ومن هذا المنطلق، أعلنت السلطات المغربية في مايو ١٩٥٦م عن عزمها إغلاق المعسكر الانتقالي التابع لمنظمة " كاديما ". ومن ١١-٢٠ يونيو ١٩٥٦م تم إغلاق كل مكاتب منظمة " كاديما "، وحاصر رجال الشرطة المعسكر الانتقالي، الذي كان به نحو ٦ آلاف و٣٠٠ مهاجر يهودي(١٣٧).

لكن بعد مفاوضات مضنية استمرت قرابة الأسبوع، بين مسئولين من المؤتمر اليهودي العالمي وبين مسئولين بارزين مغربيين، تم التوصل في يونيو ١٩٥٦م إلى اتفاقية تم بمقتضاها إغلاق معسكر " كاديما " خلال ثلاثة أشهر، وسمح لكل اليهود الذين يحملون جوازات سفر سارية المفعول الخروج من المغرب، شريطة أن يتم ذلك في سرية تامة حتى لا تثار حفيظة الرأي العام المغربي. وصدقت الحكومة المغربية على هذه الاتفاقية في ٩ سبتمبر، وبذلك سمحت بخروج نحو ٦ آلاف و٣٠٠ مهاجر يهودي كانوا داخل معسكر " كاديما ". لكن نتيجة لتلاعب مبعوثي الوكالة اليهودية وإتباعهم أسلوب الرشاوى؛ خرج نحو ١٢ ألف و٦٠٠ يهودي أي ضعف العدد المسموح به. وفي ٢٧ سبتمبر ١٩٥٦م، تم إغلاق مكاتب منظمة " كاديما " تمامًا (١٣٨).

وجدير بالذكر، أنه خلال الفترة (١٩٤٩ ـ١٩٥٢م) عاد للمغرب من إسرائيل نحو ٣ آلاف من مهاجري يهود المغرب. إذ وجد هؤلاء صعوبة في تحسين أوضاعهم الاقتصادية في ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي اجتاحت إسرائيل في الأعوام الأولى لإقامتها، كما أنهم لم يتمكنوا من الاندماج في الحياة الاجتماعية بإسرائيل من جانب، ومن جانب آخر، كان الوضع الاقتصادي بالمغرب آخذًا في التحسن خلال الفترة (١٩٥١ ـ ١٩٥٣م). وكان للانطباع السلبي لهؤلاء النازحين عن المجتمع الإسرائيلي، آثار شديدة الخطورة على الراغبين في الهجرة مما أدى لانحسار موجة الهجرة خلال الفترة (١٩٥٠ ـ١٩٥٤م)، لكن من منتصف عام ١٩٥٤م، عندما لاحت في الأفق مؤشرات تنذر بحدوث تدهور في الأوضاع السياسية والاقتصادية في المغرب؛ تزايد عدد الراغبين في الهجرة، وأصبح عدد المهاجرين من المغرب إلى إسرائيل شهريًا يدور في حدود ٢٠٠٠ مهاجر يهودي(١٣٩).

السمات المميزة لهجرة يهود المغرب خلال المرحلة الثانية :

السمة المميزة للمرحلة الثانية لعمليات تهجير يهود المغرب إلى إسرائيل، هي:

تطبيق سياسة الانتقاء: حيث كان أسلوب الانتقاء هو المحور الرئيس الذي اعتمدت عليه إسرائيل لتقليص عدد القادمين إليها ولضمان وصول أفضل العناصر إليها.

وقد حظيت الصيغة الأولى لنظام الانتقاء بالقبول في إدارة الوكالة اليهودية، من منتصف عام ١٩٥١م، (١٤٠)، ثم ما لبث أن تم إرسال تعليمات خاصة بالانتقاء إلى مكتب قسم الهجرة في الدار البيضاء وإلى أطباء التصنيف المعينين من قبل وزارة الصحة الإسرائيلية ومكتب الهجرة، ومن أبرز ما تضمنته هذه التعليمات ما يلي:

- يعوق هجرة الأسرة، احتياج أحد أفرادها لمن يعوله،
- الفرد الذي يحتاج لمن يعوله، معناه: المعوق الذي لا يحتاج لرعاية طبية، وإعاقته تمنعه من التكسب بنفسه (مثل: العجوز، والكفيف أو الذي فقد أحد أطرافه...إلخ)(١٤١).
- على المرشحين للهجرة التعهد كتابيًا بالعمل الزراعي لمدة عامين، ويستثنى من هذا الشرط أصحاب الحرف ومن لديهم إمكانيات للإقامة في سكن خاص(١٤٢).
- عدم السماح بهجرة المريض بمرض معدٍ (مثل: السل، والجذام والزهري...إلخ) أو بمرض يحتاج لرعاية طبية طويلة(مثل: أمراض القلب والكلى...إلخ) أو المريض نفسيًا. وإذ لم توافق أسرته على التخلي عنه، فإنها هي الأخرى لن تستطيع الهجرة، وفي الحالات الخاصة، يجب الحصول على تصديق من وزارة الصحة الإسرائيلية.
- يحصل المصابون بأمراض يمكن علاجها وتحتاج لرعاية طبية قصيرة(مثل: الرمد الصديدي والقراع) على العلاج اللازم في المعسكرات العلاجية التابعة " لقسم الهجرة " بالخارج أو في معسكر"شعر هاعاليّاه- بوابة الهجرة" في حيفا(١٤٣).

ومن الواضح، أن إسرائيل بدأت في هذه الفترة في تشجيع هجرة كيفية انتقائية وليست هجرة كمية؛ ولذلك فتحت أبوابها على مصراعيها أمام الأصحاء القادرين على العمل الشاق لإعالة عائلاتهم بحيث تتمكن من المشاركة بصورة إيجابية في بناء دعائم الدولة، ولا تسبب أي إرهاق لاقتصادها الناشئ. كما انتهجت إسرائيل هذه السياسة؛ خوفًا من أن يؤدى تدفق جموع يهود المغرب على إسرائيل إلى تغيير الطابع الأوروبي المميز لإسرائيل، وإغراقها في بحر من "التخلف الشرقي" كما يزعم المسئولون الإسرائيليون.

إذ برر أحد زعماء الوكالة ذلك بقوله: " إن في بلاد المغرب، وتونس وفارس يوجد نحو نصف مليون يهودي، ويجب علينا أن نختار من هذه البلاد بصفة خاصة الشباب والطلائعيين الذين تتراوح أعمارهم من ١٣ -١٤ عامًا. وهذا رخيص جدًا، حيث نستطيع أن نعلمهم، وهم

بدورهم سيستطيعون أن يستوعبوا عائلاتهم بمرور عامين أو ثلاثة بكل سهولة. وإلا فإننا قد نغرق في بحر من التخلف، وستصبح إسرائيل مثل بلاد الشرق المتخلفة..."(١٤٤).

ولكن قواعد التصنيف هذه لم تطبق على المهاجرين القادمين من أوروبا أو من العراق، أو اليمن وليبيا، على أساس أنهم من الجاليات المعرضة للخطر، بينما كان يتم تصنيف من يرغب في الهجرة من بلاد شمال إفريقيا وفقًا لسنهم، ووضعهم الصحي ومقدرتهم الاقتصادية(١٤٥).

ومن الواضح أن الضحية الرئيسة لسياسة الانتقاء، وذلك بإجماع معظم المصادر، هي الجالية اليهودية المغربية، لأن تطبيق هذه السياسة تصادف مع وصول الهجرات اليهودية المغربية إلى ذروتها، وكان لأسلوب الانتقاء هذا آثار سلبية وأخرى إيجابية.

كانت الآثار السلبية من نصيب يهود المغرب، حيث دمرت وحدة رابطة العائلات اليهودية المغربية بواسطة اختيار الأقوياء والشبان واستجلابهم لإسرائيل كلحوم لمدافعها، وخلفت وراءها الشيوخ والمرضى(١٤٦).

أما الآثار الإيجابية، فكانت من نصيب إسرائيل، حيث ذكرت دراسة اجتماعية في إسرائيل أن النسبة المئوية لمجموع الذين هم في سن العمل بين اليهود المراكشيين في إسرائيل هي أعلى من سائر المهاجرين من البلاد الآسيوية والإفريقية(١٤٧).

وتذكر إحصائيات الوكالة اليهودية أن عدد المهاجرين من يهود المغرب لإسرائيل وصل خلال هذه الفترة (١٩٥٠ ــ ١٩٥٦م) نحو ٩٠ ألف و٢٤٣ مهاجرًا يهوديًا. ووصلت معدلات الهجرة لذروتها خلال عامي ١٩٥٥م و ١٩٥٦م بسبب قرب الإعلان عن نهاية الحماية الفرنسية ومنح المغرب استقلالها، ففي عام ١٩٥٥م هاجر نحو ٢٤ ألف و٩٩٤ يهوديًا، وفي عام ١٩٥٦م هاجر نحو ٣٦ ألف و٣٠١ من يهود المغرب إلى إسرائيل(١٤٨).

وسجلت هجرة يهود المغرب بالنسبة لإجمالي الهجرة السنوية الوافدة إلى إسرائيل عام ١٩٥٢م نحو ٣٠% من إجمالي الهجرة، وارتفعت في عام ١٩٥٥م، لتصل إلى نحو ٤٣% من إجمالي الهجرة اليهودية لإسرائيل(١٤٩).

(ج)المرحلة الثالثة "مرحلة منظمة مسجيريت - الإطار" (أكتوبر ١٩٥٦ - أكتوبر ١٩٦١م) :

بدعم من رئيس جهاز الموساد آنذاك "إيسار هريئيل" (١٩٥٢ ــ ١٩٦٣م)، تمت إقامة منظمة سرية تابعة للموساد تحت اسم" مسجيريت –الإطار"، في منتصف عام ١٩٥٥م. وقد تمحور نشاطها حول توفير الاحتياجات الدفاعية وضمانها للجاليات اليهودية في بلاد المغرب

(تونس، والجزائر والمغرب)، ولم يكن لها أي اهتمام بشئون الهجرة. وتركـز نشـاط منظمـة "المسجيريت" في المدن المغربية الكبرى(مثل: الدار البيضاء، ومـراكش، وفـاس، ومكنـاس، وأغادير، وموجادير، ووجدة وطنجة). وكان مركز العمليات الرئيس، المشرف على عمليات هذه المنظمة في بلاد المغرب الثلاث، يوجد في باريس(١٥٠).

وقد سارع القائمون على شئون هجرة اليهود من المغرب بإعداد الترتيبات اللازمـة التـي تتمشى مع التغيرات السياسية المتلاحقة؛ عندما بدأت تلوح في الأفق تغيـرات علـى مسـرح الأحداث السياسية (انتهاء سلطة الحماية الفرنسية، وحصول المغرب على الاسـتقلال وفـرض حظر على الهجرة اليهودية بعد الإعلان عن إغلاق معسـكر منظمـة " كاديمـا " فـي مـايو ١٩٥٦م).

ومن هذا المنطلق، التقى "شلومو شرجاي" رئيس "قسم الهجرة" التابع للوكالة اليهودية مـع "ايسار هريئيل" رئيس جهاز الموساد. وقد أثمر هذا اللقاء، الذي تم في يوليـو ١٩٥٦م، عـن تعاون جهاز الموساد والوكالة اليهودية معًا من أجل تهجير يهود المغرب سرًا. لكن لم يـدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ؛ طالما كان بإمكان منظمة "كاديما" الاستمرار في عمليات التهجير. وكان لهذه الهيئة السرية ثلاثة مراكز قيادية: في القدس، وباريس وفي الدار البيضاء، تضم أفـرادًا من الجهات الأمنية "الموساد" وأفرادًا من "قسم الهجرة" التابع للوكالة اليهودية، على أن يتولى رئاسة هذه المراكز الثلاثة أفراد تابعون للموساد، حيث نص هذا الاتفاق علـى أن الوكالـة و" قسم الهجرة " سيكونان المسئولين عن هذه العملية من الناحية السياسية، بينما يتحمل الموساد مسئولية عملية التنفيذ، وبهذا تولت منظمة "المسجيريت" مهمة الهجرة السرية. وفي أغسطس عام ١٩٥٦م، تم الاتفاق على أن هذا الجهاز الخاص سيعمل في المغرب (الفرنسية والأسـبانية سابقًا)، وفي طنجة، وفي جبل طارق وفي كل المحطات الانتقالية، وسيكون مسئولاً عـن كـل شيء حتى يتم توصيل المهاجرين للمعسكرات(في جبل طارق، ومرسيليا ونابولي) [ومن لحظة وصولهم لهذه الأماكن ستتولى الوكالة اليهودية مسئوليتهم حتى وصولـهم لإسرائيل]؛ ونتيجة ذلك، خرج بداية من أغسطس عام ١٩٥٦م عدد من المهاجرين تحت غطاء من السرية، إلا أن العمل الفعلي بدأ من أكتوبر أو من نوفمبر من العام نفسه(١٥١).

وبداية من هذه اللحظة التاريخية بدأت تدخل عمليات تهجير يهود المغرب في طور جديد من العمل السري والهجرة غير الشرعية المنظمة. ولأن الجالية اليهوديـة المغربيـة تعـد أكبـر

الجاليات اليهودية في بلاد شمال إفريقيا؛ لذلك تركز نشاط منظمة "المسجيريت" وبالتالي الموساد في المغرب؛ حيث كان يوجد في الدار البيضاء أحد المراكز الثلاثة لقيادة هذه المنظمة.

وكان للشباب الصهيوني اليهودي المغربي هو الدعامة الفعلية التي اعتمدت عليها أجهزة الهجرة السرية، وهي الكوادر الشابة التي تكونت بفضل المجهودات الصهيونية التي بذلتها الروابط والنوادي الصهيونية خلال الفترات السابقة وخاصة خلال الفترة (١٩٤٥-١٩٤٧م).

وقد انضم متطوعون، للعمل في منظمة "المسجيريت"، من بين أعضاء حركات الشباب الصهيونية(مثل:الحرية، الحارس الفتي، البناءون، الشباب الصهيوني، أبناء عقيبا وأخيرًا حركة لشباب اليهودي). ومنذ عام ١٩٥٦م، مع حصول المغرب على الاستقلال، وإغلاق معسكر "كاديما" وفرض حظر شديد على الدعاية الصهيونية؛ تحولت هذه الحركات إلى حركات سرية. وتذكر التقارير التي تعود لعام ١٩٦١م أنه عمل في صفوف منظمة "المسجيريت" خلال هذه الفترة نحو ٨٥٠ شابًا، كانوا مقسمين إلى ٥٠ جماعة على ١٥ مدينة(١٥٢).

وسارت عمليات الهجرة السرية المنظمة على أشدها منذ أواخر عام ١٩٥٦م، إلى أن وقع ما أدى إلى حدوث تحول محوري في مسيرة الهجرة السرية ليهود المغرب.

وفي ١١ يناير عام ١٩٦١م، وعلى مسافة ١٥كم من السواحل المغربية تسببت العواصف الشديدة والأمواج العاتية في غرق إحدى السفن التي كانت تستخدمها منظمة "المسجيريت" في تهريب المهاجرين اليهود لخارج المغرب، وهى سفينة "إيجوز" [وهي سفينة Pisces التي كانت تستخدم كسفينة حربية تابعة للأسطول البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية] وكان على متنها نحو عشر عائلات يهودية، أي نحو ٤٢ فردًا، بالإضافة لطاقم الملاحة وعضوين من منظمة "المسجيريت". ولم ينج من الحادث سوى قبطان السفينة وبعض البحارة، كما لم يتم العثور إلا على نحو ٢٢ جثة، دفنت في مدينة الحسيمة [ميناء مغربي يقع على ساحل البحر المتوسط] في زاوية بعيدة عن المقابر الأسبانية(١٥٣). ومما يذكر أن الملك "الحسن الثاني" وافق على ترحيل رفاة المفقودين إلى جبل هيرتسل بالقدس في ١٤ يناير ١٩٩٢م(١٥٤).

ورغم أن هذه الحادثة نتجت عن تهالك السفينة وقدمها وتحميلها بحمولة زائدة، وفقًا لما ورد في تقارير أحد الخبراء البحريين، الذي فحص السفينة قبل إبحارها، وأوصى بعدم إبحارها

وعلى متنها مسافرين(١٥٥)، ورغم وضوح هذه الحقائق لدى إسرائيل إلا أنها لم تتـرك هـذا الحدث يمر بدون أن تستغله في صالحها أفضل استغلال.

ومن هذا المنطلق، بدأت الحكومة الإسرائيلية، وفقًا لتوصيات الموساد، في شن حملة ضغط عالمية واسعة على المغرب في أعقاب هذا الحادث، حيث اتهمت وسـائل الإعـلام الأمريكـي، بتأثير من جماعة الضغط اليهودية، السلطات المغربية بأنها تتحمل مسـئولية هـذه الكارثـة. وانضمت الصحافة الفرنسية لهذه الجملة، وذكرت صحيفة "لوموند" أن وضع يهود المغرب ساء منذ عقد مؤتمر القمة الخاص بالجامعة العربية(١٥٦) في الدار البيضاء في سـبتمبر ١٩٥٩م، ومما جاء على صدر صفحاتها: " ونتيجة لهذا المؤتمر، تم فرض حظرين على يهود المغرب، حظر مراسلة ذويهم وأصدقائهم في إسرائيل؛ بسبب عضوية المغرب في اتحاد البريد العربـي، وحظر الهجرة، بعدم السماح لهم بالحصول على جوازات سفر"(١٥٧).

وقد أدت هذه الحملة الشعواء، التي تمت بإيعاز من إسرائيل وبتحريض من جماعات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، إلى تأليب الرأي العام العالمي ضد الحكومـة المغربية على أساس أنها تضطهد اليهود، خاصة أن ما حدث في أوروبا على يد النازي كان ما يزال حاضرًا في الأذهان، وقد أدى هذا الضغط بصورة غير مباشرة بعد ذلك إلى إحداث تحـول في موقف المغرب المتشدد تجاه الهجرة اليهودية كما سيتبين بعد ذلك.

وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود خلال هذه الفترة، وفق إحصائيات الوكالة اليهودية، ما يلي: في عام ١٩٥٧م هاجر نحو ٨ آلاف و٧٥٨، وخلال عام ١٩٥٨م هاجر نحو ألف و٨٠٣، وفي ١٩٥٩م هاجر نحو ٣ آلاف و٣٢٥، وفي عام ١٩٦٠م بلغ عـدد المهـاجرين نحـو ٤ آلاف و١٠٨، وعام ١٩٦١م بلغ عدد المهاجرين نحو ١١ ألف و٤٧٨، وبذلك يكون العدد الإجمـالي للمهاجرين من عام ١٩٥٧ - ١٩٦١م نحو ٢٩ ألف و٤٧٢ من مهاجري يهود المغرب(١٥٨).

(د)المرحلة الرابعة مرحلة"عملية ياخين"(نوفمبر ١٩٦١م - ديسمبر ١٩٦٣م):

وخلال هذه الفترة حدثت نقطة تحول مهمة في مسيرة الهجرة اليهودية من المغرب، حيـث انتهجت المغرب مواقف أكثر مرونة تجاه الهجرة اليهودية في أعقاب جلوس الملـك "الحسـن الثاني" على العرش (الذي تولى عرش المغرب خلال الفتـرة مـن ١٩٦١ حتـى ٢٣ يوليـو ١٩٩٩م)، بعد وفاة والده الملك محمد الخامس(الذي تولى العرش من ١٩٢٧ حتـى ٢٦ مـن فبراير ١٩٦١م).

ويرجع ذلك إلى أن الملك "الحسن" أدرك أنه إذا أراد أن يغير صورة بلاده [لدى العالم الغربي في أعقاب الحملة الإعلامية العالمية اليهودية المناهضة للمغرب بعد غرق السفينة "إيجوز"]، فعليه أن ينتهج سياسة مرنة تجاه اليهود. كما اشترطت الولايات المتحدة وفرنسا لتقديم مساعدتيهما للمغرب أن تنتهج الحكومة المغربية سياسة أكثر تسامحًا تجاه اليهود(١٥٩).

وفي ربيع أو صيف عام ١٩٦١م، حدث تحول حاسم في مسيرة الهجرة من المغرب، بالحصول على تنازلات سياسية في أعقاب نجاح المسئول عن منظمة "المسجيريت" بالمغرب، وبمساعدة من بعض الشخصيات اليهودية المغربية البارزة، في فتح قناة اتصال مع البلاط الملكي. وبعد بضعة لقاءات سرية في أوروبا، تم التوصل إلى اتفاق سمح بمقتضاه تذليل العقبات أمام اليهود الذين يتطلعون للهجرة، والتصريح بأن لهم كل الحق في الخروج من المغرب، شريطة أن يتم هذا في إطار شرعي رسمي على الأقل، كما لا يجب أن تكون الوجهة المعلنة لهؤلاء هي إسرائيل، وإذا كانت كذلك فيجب عدم الإفصاح عنها بشكل واضح. كما تم الاتفاق على أن تتولى أية هيئة غير صهيونية مهمة الإشراف على تنظيم عمليات هجرة اليهود، وبذلك وقع الاختيار على منظمة "HIAS" الدولية، المهتمة بهجرة اليهود، للقيام بهذه المهمة. وفرض على مبعوثي منظمة " المسجيريت " والمبعوثين الإسرائيليين الآخرين الذين وصلوا للمغرب لتنظيم الهجرة الكبرى الجديدة، أن يعملوا تحت رعاية منظمة "HIAS" (١٦٠).

وكان قد تم إغلاق مكاتب منظمة"HIAS" في المغرب في عام ١٩٥٦م، وبمقتضى هذه الاتفاقية تم السماح لهذه المنظمة بإعادة افتتاح مكاتبها بالدار البيضاء ابتداء من أكتوبر ١٩٦١م(161).

ومن ثم، بدأت السلطات المغربية في إصدار جوازات سفر عائلية يسجل بها جميع أفراد العائلة المهاجرة؛ وبهذا تمكنت السلطات المغربية من إحباط أية محاولة للتصنيف الذي كان يخلف وراءه المرضى والعجائز. وقد توقيع أول جواز سفر جماعي في ٢٧ نوفمبر ١٩٦١م، وأعلن بذلك عن بدء الهجرة الجماعية ليهود المغرب لإسرائيل. وذكر صراحة في جواز السفر، أن حامليه بإمكانهم السفر لأي مكان في العالم ما عدا إسرائيل(١٦٢).

وعرفت هذه المرحلة الجديدة في تاريخ الهجرة اليهودية، باسم " عملية ياخين"، التي بدأت من نوفمبر ١٩٦١م حتى منتصف الستينات تقريبًا، وبالتحديد حتى عام ١٩٦٣م. وهذا الاسم الذي

أطلق على هذه المرحلة مستمد من العهد القديم من(سفر الملوك الأول ص ٧:ع ٢١)،الـذي جـاء فيه: " وأوقف العمودين في رواق الهيكل. فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياخين(١٦٣). ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز ".

وهذه التسمية تحمل في طياتها أكثر من دلالة، فهي تشير إلى فتـرة مهمـة فـي تـاريخ اليهودية وهي فترة المملكة الموحدة التي وصلت لأوج ذروتها في عهد سليمان، وفيها اكتمـل الوعد الإلهي بالأرض وتحقيق الخلاص، وهي الفترة التي اتخذتها الصهيونية نموذجًا يجـب أن يحتذى به في القوة والازدهار والهيمنة. وهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها القـائمون على تنظيم عمليات تهجير يهود المغرب مثل هذه المسميات الدينية ذات المفاهيم الصـهيونية، كما أن ذلك قد جاء من منطلق استغلال الحس المسيحاني لدى يهود المغرب وإثارة حماستهم.

وعلى ذلك، كان يهاجر من المغرب شهريًا نحو ٣ آلاف يهودي، وهو عدد يقارب عدد الذين هاجروا خلال العمليات السرية غير القانونية سنويًا. وبلغت ذروة الهجرة في شهر مـايو مـن عام ١٩٦٢م، ففي هذا الشهر هاجر نحو٧ آلاف يهودي. وكـان المهـاجرون ينتقلـون إلـى المعسكرات الانتقالية في مرسيليا ومنها إلى إسرائيل. وفي صباح يوم ٢١ يونيو عام ١٩٦٢م، أغلقت الشرطة المغربية مكاتب منظمة"HIAS" في الدار البيضاء؛ على أساس أنهـا تشـجع يهود المغرب على الهجرة الجماعية لإسرائيل واستمر هذا الإيقاف ما يقرب من سـتة أشـهر. وفي نهاية عام ١٩٦٢م، عادت مكاتب منظمة"HIAS" لرعاية شئون الهجرة مرة أخرى. ولم يحدث تغيير بعد ذلك في بنود الاتفاقية الموقعة مع المغرب، وتـم اسـتئناف مـنح الجـوازات العائلية لليهود الراغبين في الهجرة. إلا أنه بعد ختم وثائق الهجرة فـي إدارة أجهـزة الأمـن المغربية، كان موظفو منظمة"HIAS" يضيفون إليها العديد من أسماء المهاجرين اليهود بقدر الإمكان(١٦٤).

وتذكر إحصائيات الوكالة اليهودية أن عدد المهاجرين من المغرب إلى إسرائيل خلال عـام ١٩٦٢م بلغ نحو ٣٥ ألف و٧٥٨ مهاجرًا يهوديًا وفي عام ١٩٦٣م بلغ نحو ٣٦ ألـف و٨٧٤ مهاجرًا(١٦٥)؛ وبذلك يبلغ العدد الإجمالي نحو ٧٢ ألف و٦٣٢ مهاجرًا تقريبًـا خـلال عـامي ١٩٦٢ –١٩٦٣م .

وهذه البيانات الإحصائية التي رصدتها الوكالة اليهودية لا تشمل اليهود الذين هاجروا لبلاد أخرى غير إسرائيل خلال عملية "ياخين"، حيث يقدر أن نحو ٣٠ ألف يهودي مغربي هـاجروا للولايات المتحدة، وكندا وفرنسا خلال هذه الفترة(١٦٦).

وبذلك بلغ عدد الذين هاجروا من المغرب لإسرائيل من (١٩٤٨ -١٩٦٣م) نحو ٢٠٠ ألف و٣٤٧ يهوديًا، وفق إحصائيات الوكالة اليهودية، التي لم يكن هناك سبيل آخر سوى الاعتماد عليها؛ نظرًا لأن معظم عمليات تهجير يهود المغرب تمت في إطار من السرية وعدم الشرعية، كما أن الإحصائيات الفرنسية خلال الفترة ١٩٤٩ -١٩٥٦م كانت تفتقد للدقة وبعيدة تمامًا عن الأعداد الحقيقية؛ لإتباع المنظمات القائمة على تنظيم هجرة اليهود للأساليب الملتوية (مثل: الرشوة، والتزوير، والخداع وتهريب المهاجرين...إلخ). أما بالنسبة للفترة ١٩٥٦ -١٩٦٣م فلم تكن هناك إمكانية للحصول على إحصائيات مغربية دقيقة حول عدد الذين هاجروا خلال هذه الفترة، وعلى ذلك لم يكن هناك سوى الاعتماد على إحصائيات الوكالة اليهودية، خاصة أنها كانت مشاركة بصورة رئيسة وعن قرب في هذه العمليات منذ بدايتها.

(هـ)المرحلة الخامسة (بداية من عام ١٩٦٤م) :

تباطأت الهجرة اليهودية من المغرب لإسرائيل بصورة واضحة منذ علم ١٩٦٤م فصاعدًا، رغم أن أبواب الهجرة كانت مفتوحة أمامهم، وكان لهم الحرية المطلقة في التحرك؛ وذلك لأن اليهود لم يشعروا بأي خطر يهدد أمنهم في المغرب، كما كان وضعهم الاجتماعي في المغرب أفضل بكثير مما ينتظرهم في إسرائيل.

ونستطيع أن نلمس هذا الفارق في عدد المهاجرين إذا نظرنا إلى عدد الذين هاجروا في عام ١٩٦٣م الذين بلغوا نحو ٣٦ ألف و٨٧٤، بينما بلغ عدد الذين هاجروا في عام ١٩٦٤م نحو ١٦ ألف و٢٤٢ وذلك وفقًا لإحصائيات المكتب المركزي للإحصاء بالقدس(١٦٧).

ورغم ذلك، لا يعد عام ١٩٦٤م هو العام الذي انتهى فيه دور منظمة"HIAS" ومن ورائها كل من منظمة "المسجيريت" التابعة للموساد ومبعوثي الوكالة اليهودية، ولكن عامي ١٩٦٢م و ١٩٦٣م يمثلان ذروة نشاط عمليات تهجير اليهود من المغرب، التي انفتحت أبوابها بصورة قانونية أمام خروج اليهود. وقد سكتت معظم المصادر عن أي دور قامت به أية منظمة يهودية لتهجير اليهود بداية من عام ١٩٦٤م، وربما يرجع ذلك إلى أن معظم يهود المغرب كان قد تم تهجيرهم لإسرائيل حتى عام ١٩٦٣م(حيث هاجر نحو ٢٠٠ ألف و٣٤٧) ولم يبق في المغرب إلا القليل من اليهود، هذا بالإضافة إلى أن اليهود كانت لهم مطلق الحرية في الخروج من المغرب خلال هذه الفترة شريطة ألا تكون وجهتهم المعلنة هي إسرائيل، وإلا تسقط عنهم الجنسية المغربية.

وربما يرجع سبب هذا التباطؤ في مسيرة الهجرة اليهودية من المغرب؛ إلى المعلومات والأخبار السيئة التي وصلتهم عن أصدقائهم وذويهم في إسرائيل، مما خلق نوعًا من الإحباط وعدم الرغبة في الهجرة، حيث أدى الاضطهاد الطائفي ضد "السود"، وهو المسمى الذي يطلق على يهود المغرب في إسرائيل، إلى انحسار موجات الهجرة. كما أنه في عام ١٩٦٤م، ظهر في إسرائيل كتاب معادي للسفارديم بعنوان "الثورة الإشكنازية"(١٦٨) اتهم مؤلفه فيه يهود المغرب بالتخطيط للاستيلاء على المواقع الحساسة في إسرائيل(١٦٩).

وبعد حرب ١٩٦٧م تدفقت على إسرائيل أعداد كبيرة، ليسوا أبناء الطبقات الفقيرة من يهود المغرب فحسب، بل أيضًا من الصفوة المثقفة، والصناعية والاقتصادية(١٧٠).

وقد عجلت حرب ١٩٧٣م بتصفية البقية الباقية من يهود المغرب، وخاصة بعد تبني الملك "الحسن الثاني" سياسة تتضامن مع الدول العربية ضد إسرائيل، إلا أن معظم المهاجرين فضلوا الاتجاه نحو فرنسا وليس إلى إسرائيل(١٧١).

وجاء في الكتاب السنوي لمكتب الإحصاء المركزي في القدس، أن عدد الذين هاجروا من يهود المغرب لإسرائيل خلال الفترة(١٩٦٥-١٩٧١م) نحو ٣٠ ألف و١٥٣ مهاجرًا يهوديًا، وخلال الفترة(١٩٧٢-١٩٧٩م) نحو ٧ آلاف و٧٨٠، وخلال أعوام (١٩٨٠-١٩٨٩م) نحو ٣ آلاف و٨٠٩، وفي أعوام (١٩٩٠-٢٠٠١م) نحو ٣ آلاف و٢٧٦، وفي عام ٢٠٠٤ نحو ٢٥١ يهوديًا، وفي عام ٢٠٠٥ نحو ٢٨٤ (١٧٢).

وبذلك يبلغ عدد الذين هاجروا خلال الفترة(١٩٦٤-٢٠٠٥م)، وهي فترة تصل لواحد وأربعين عامًا، نحو ٦١ ألف و٧٩٥ يهوديًا، وعلى ذلك، يصل عدد اليهود الذين هاجروا من المغرب إلى إسرائيل خلال الفترة (١٩٤٨ -٢٠٠٥م)، أي خلال سبعة وخمسين عامًا، إلى نحو ٢٦٢ ألف و١٤٢ يهوديًا تقريبًا.

(٤) ملاحظات رئيسة حول عمليات التهجير

(أ)لم يكن رد فعل شرائح الجالية اليهودية بالمغرب تجاه مسألة الهجرة لإسرائيل واحدًا، بل اختلف من طبقة لأخرى: فأبناء <u>الطبقة الثرية</u> كانوا يميلون لفرنسا، وتوجه أغلبهم إليها أو إلى أية دولة غربية أخرى، خاصة بعد استقلال المغرب ١٩٥٦م، وذلك استنادًا لما يتمتعون به من إمكانيات اقتصادية تمكنهم من الانخراط في الحياة الغربية، كما أن بعضهم لم يتقدموا للخروج من المغرب إلا في حالة الأزمات وما يزال يوجد في المغرب حتى الآن العديد من رجال الأعمال اليهود الذين يتمتعون بمنزلة مرموقة في أوساط المجتمع المغربي. أما أبناء

الطبقة المتوسطة الذين تلقوا تعليمًا فرنسيًا مكنهم من اكتساب ثقافة فرنسية، عندما دعتهم الظروف لترك المغرب، فقد هاجر معظمهم إلى فرنسا، كما بقي منهم عدد لا بأس به في المغرب، خاصة من أصحاب المهن الحرة. وهكذا نجد أن صفوة يهود المغرب(الاقتصادية، والثقافية والمهنية) لم تكن وجهتهم الأولى هي إسرائيل، وإن كان قد توجه معظمهم، بعد فترة طويلة من الإقامة في الدول الغربية أو في المغرب، في أواخر العقد السادس من القرن العشرين إلى إسرائيل. وفي المقابل، كانت الأغلبية الساحقة التي استجابت لدعاوي الهجرة لإسرائيل من اليهود الذين لا يملكون شيئًا(مثل: أصحاب الحرف اليدوية، والعمال، وأصحاب الحوانيت الصغيرة ويهود القرى) وهم من أبناء الطبقة الفقيرة التي ينتمي إليها معظم أبناء الجالية اليهودية في المغرب، فإمكانياتهم الضئيلة أو المنعدمة لم تكن لتساعدهم على الهجرة إلى أي مكان آخر غير إسرائيل، كما أنهم لم يحملوا أية جنسية أجنبية، وبذلك لم يكن أمامهم مخرج سوى إسرائيل، وربما لو أتيح لهم الهجرة لأي بلد آخر لهاجروا إليه(١٧٣).

(ب)الهجرة اليهودية لم تكن بأية حال من الأحوال هجرة لأسباب صهيونية، بقدر ما كانت هجرة أزمة بحثًا عن أوضاع أفضل، وخوفًا من مستقبل غامض في ظل دولة عربية مستقلة وصراع ضاري بين العرب واليهود على فلسطين، وانصياعًا وراء الادعاءات التي روجها المبعوثون الصهيونيون، رغم التأكيدات المستمرة من قبل البلاط المغربي بعدم إحداث أي تغييرات تضر بمكانه اليهود داخل المجتمع المغربي، أي أنها بمثابة خلاص اجتماعي/اقتصادي-مسيحاني.

(ج)لم يكن الناشطون الصهيونيون من بين الجموع المهاجرة إلى إسرائيل، ويأتي على رأس هؤلاء اثنان من كبار الناشطين ممن كانوا وراء صهينة الجماهير اليهودية وتهجيرها، وهما "شموئيل دانيائيل ليفي" أحد الأتباع الأوائل لهرتسل، ورئيس دائم للصندوق القومي اليهودي بالمغرب، والمنشط الرئيس للحركة الصهيونية، الذي لم يبد أي حماس " للهجرة " نحو إسرائيل، واختار بالفعل البقاء في الدار البيضاء (التي توفي بها سنة ١٩٧٠م)، بالرغم من تنديده المتواصل منذ عام ١٩١٧م بالمحنة اليهودية، وإشارته إلى قرب " نهاية المنفى" ودعوته بكل تصميم إلى تحقيق الشعار الصهيوني " شعب إسرائيل على أرض إسرائيل". أما رفيقه الثاني في الحركة، "يوناثان تورتش"، فقد بادر بالرحيل منذ عام ١٩٤٠ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بالرغم من عمله المتواصل الذي استمر لمدة تربو على ١٥ سنة، على

اجتثاث يهود المغرب من بيئتهم المغربية وترسيخ حتمية " الحل الفلسطيني" في وجدانهم(١٧٤).

(د)تناولت الإحصائيات المختلفة عدد الذين هاجروا من المغرب لإسرائيل فقط، وبالتالي لم تتحدث عن الذين هاجروا للبلاد الغربية وخاصة (فرنسا، وبلجيكا، وكندا، والولايات المتحدة، وإسبانيا وأمريكا اللاتينية).

وتذكر الإحصائيات المختلفة أن عدد الذين هاجروا من يهود المغرب إلى فرنسا نحو ٣٠ ألف (١٧٥). كما تأسست إبان ستينات القرن العشرين في مدينة مونتريال بكندا طائفة يهودية ضخمة قدر عدد أبنائها نحو ٢٠ ألف نسمة ضمت في أوساطها نحو ١٦ ألف يهودي من أصول مغربية، كما تأسست في الحين ذاته طائفة يهودية في أسبانيا يقدر تعدادها نحو ٦ آلاف نسمة، يقيم معظمهم في مدريد وبرشلونة ومالقة ومايوركا، ومعظم أبناء هذه الطائفة من أبناء المقاطعات الشمالية بالمغرب التي كانت تابعة لأسبانيا(١٧٦).

(هـ)لم يؤد هذا التدفق للهجرة اليهودية من المغرب لإسرائيل إلى تصفية التواجد اليهودي بالمغرب، فهناك عامل مهم أدى إلى استمرار هذه الطائفة، التي تعد أكبر طائفة يهودية في البلاد العربية، وهو أن أبناء يهود المغرب يتمتعون بارتفاع سبة الخصوبة بينهم(١٧٧).

(و)تتميز الهجرة اليهودية من المغرب بأنها الأصغر من حيث متوسط العمر، الذي يصل نحو ٢٥ عامًا مقابل ٣١ عامًا للمهاجرين من آسيا و٤٥ عامًا للمهاجرين من أوروبا(١٧٨).

(ز)هجرة يهود المغرب تعد هجرة أكثر انتقائية، بعكس هجرات أخرى من الدول العربية، مثل العراق التي خرج منها اليهود بصورة جماعية (الترانسفير – الخروج الجماعي) .

(ح)استمرت الهجرة اليهودية من المغرب فترة طويلة تركزت خلال الفترة (١٩٤٧- ١٩٦٣م) وجاءت على نحو خمس مراحل مختلفة، وبالتالي اختلفت الوسائل المتبعة في الانتقاء، وكذلك في الاستيعاب، وقد أدى ذلك إلى عدم اجتيازهم لتجربة الاندماج داخل المجتمع الإسرائيلي ككيان أثني واحد على عكس ما حدث ليهود العراق مثلاً.

(ط)تميزت الهجرة اليهودية من المغرب لإسرائيل بأنها هجرة بلا رأس؛ لأن صفوفها خلت من أبناء النخبة اليهودية المغربية، حيث تدفقت على فرنسا الصفوة الثقافية، والاقتصادية، والفنية والروحانية، بينما اتجهت إلى إسرائيل جموع المعدمين مما أدى لتعرض هؤلاء المهاجرين حتى نهاية ستينات القرن العشرين لصعوبات قاسية خلال عمليات الاستيعاب، ولم يتمكنوا من أن يكون لهم دور بارز داخل المجتمع الإسرائيلي إلا بداية من العقد السابع من القرن العشرين بعد أن نشأت بينهم صفوة جديدة وبعد وصول الصفوة الاقتصادية والثقافية اليهودية المغربية من خارج إسرائيل.

الهوامش:

(١) انظر:علي إبراهيم عبده وخيرية قاســمية، مرجع سابق، (ص ٢٩٣)؛ انظر أيضًا: خليل إبراهيم الطيار، مرجع سابق، (ص ص٢٣٣-٢٣٤).

(٢) الشيكل الصهيوني:بطاقة عضوية في المنظمة الصهيونية تدل على أن العضو قد دفع رسوم العضوية الســنوية، وقد استخدمت هذه البطاقة في المؤتمر الصهيوني الأول، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى العملة العبريــة القديمــة، وأصبح من حق كل شخص يحمل هذه البطاقة أن ينتخب للمؤتمر الصهيوني، وكان عدد الشيكلات الذي يباع في كل بلد يحدد عدد الأعضاء الذين يحق لهذا البلد إرسالهم للمشاركة في المؤتمر الصهيوني، لكن استخدام هذه البطاقة ألغي منذ زمن طويل (أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٤٤٢).

(٣)انظر: موشيه ليفيشايتس، مرجع سابق، (ص ١٥٨).

(٤) انظر: هنري توليدانو، يهود المغرب والاستيطان في فلسطين: تاريخ هجرات يهود المغرب المختلفة من القــرن الــ ١٧حتى القرن الــ ٢٠، في: مناحيم زهري وآخرون "محررون"، الفكر العبري في البلــدان الإســلامية، مرجع سابق، (ص ص ٢٢٨- ٢٥٢).

(٥) انظر: الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٦)انظر: أحمد الشحات هيكل، جذور الحركة الصهيونية في المغرب، مجلة القدس، عدد ٤٥، ســبتمبر ٢٠٠٢، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص ص ٣٥-٤٤.

(٧) كان أول من مثل يهود شمال إفريقيا في مؤتمر بازل ١٨٩٧م، اليهودي الجزائري " أ . عطــالي" مــن مدينــة قسنطينة. وبداية من المؤتمر الصهيوني الثاني عشر ١٩٢١م ، شارك يهود من شمــال إفريقيــا في المــؤتمرات الصهيونية بصورة دائمة،رغم أنها كانت مشاركة سلبية. (انظر: ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ص ٢٦٣-٢٦٤)؛ انظر أيضًا: شموئيل سجيف، عملية ياخين: هجرة يهود المغرب السرية إلى إســرائيل، إصــدار وزارة الدفاع، ١٩٨٤م، (ص ١٩، ٢٢)، [بالعبرية]).

(٨)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٤٠٨) .

(9) Laskier, Michael M. , "The Evolution of Zionist Activity in the Jewish Communities of Morocco, Tunisia and Algeria: 1897-1947", Studies in Zionism, 8 (autumn 1983), The Institute for Zionist Research, Tel Aviv University, (pp. 206-207).

(١٠) تيودور هرتسل:مؤسس الصهيونية السياسية والحركة الصهيونية العالمية، ولد في بودابست عــام ١٨٦٠م. طرح فكرة الخروج من المهجر والعودة إلى صهيون في كتابة "دولة اليهود" عام ١٨٩٥م، توفي عام ١٩٠٤م.

(١١) تسفي يهودا، "النشاط الصهيوني في المغرب قبيل الحماية الفرنسية"، في: ميخائيل أبو طبول " محرر"، يهود شمال إفريقيا في القرنين الـ ١٩و الـ٢٠: أبحاث في التاريخ، والثقافة والمجتمع، إصدار معهد بن تسفي، القدس، ١٩٨٠م، (ص٩٨، ١٠٠)، [بالعبرية].

(١٢)المرجع نفسه، (ص ٩٨).

(١٣) تقع مدينة صافي على المحيط الأطلنطي شمال غرب مدينة مراكش، بين مدينة الجديدة في الشمال ومدينة الصويرة في الجنوب.

(١٤) صحيفة هامليتس:"الفصيح أو البليغ" وهي أول صحيفة عبرية تصدر في روسيا. أسسها الكسندر تسدربويم في عام ١٨٦٠م، وأصبحت بعد قيام حركة بيلو الناطق الرسمي باسم حركة "محبة صهيون" وقد صدرت كمجلة أسبوعية وكصحيفة يومية إلى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٠٤م (أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ١٣٦)؛ صحيفة هيهودي:"اليهودي"صحيفة يهودية أسبوعية صدرت في براتيسلافا في سلوفكيا. (الموسوعة العبرية العامة، المجلد ٩، إصدار جماعة إصدار الموسوعات، القدس، ١٩٧٠، (ص ٦٨٥).

(١٥)تسفي يهودا، النشاط الصهيوني في المغرب قبيل الحماية الفرنسية، مرجع سابق، (ص ١٠٠).

(١٦) حركة محبة صهيون: حملت هذه الحركة نفس اسم حركة "محبة صهيون" الشهيرة، وهي حركة يهودية اجتماعية ووطنية تهدف التحقيق لأحياء القومي لليهود عن طريق العودة إلى صهيون وتجديد حياتهم هناك، تأسست هذه الحركة في روسيا في عام ١٨٨١م بعد أعمال القمع التي تعرض لها اليهود، وانتشرت في جميع التجمعات اليهودية في أنحاء العالم، وكانت هي بمثابة الإرهاصات الأولى لظهور الحركة الصهيونية. (انظر: أفريم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ١٩٦).

(١٧) تسفي يهودا، النشاط الصهيوني في المغرب قبيل الحماية الفرنسية، مرجع سابق، (ص ١٠٢).

(١٨) انظر: ميخائيل أبو طبول، " النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية"، في : شالوم بر آشر وآهارون ممان، "محرران"، يهود شمال إفريقيا وفلسطين: من هجرة الحاخام حاييم بن عطار حتى العصر الحالي (١٧٤١-١٩٨١م):الصهيونية والهجرة والاستيطان، إصدار بيحاد، القدس، ١٩٨١م، (ص ١٠٧)، [بالعبرية].

(١٩)تسفي يهودا، النشاط الصهيوني في المغرب قبيل الحماية الفرنسية، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

(٢٠)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ص ٤١٤-٤١٥) .

(٢١) المزراحي: اختصار الكلمات "مركز روحاني"،ومؤسسه اسحاق يعقوب راينس (١٨٣٩-١٩١٥م)حاخام ليدة. والمزراحي عبارة عن اتحاد صهيوني قومي وديني يسعى إلى بناء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقـًا لقوانين التوراة والشريعة. وفي عام ١٩٥٦م، تحولت كل من منظمتي المزراحي والعامل المزراحي"وهو الجناح العمالي للمزراحي" إلى الحزب الديني القومي "المفدال". (انظر:رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل ، مرجع سابق، ص ١٠٣،١٠١،٩٩،٩٦) .

(٢٢)تسفي يهودا، النشاط الصهيوني في المغرب قبيل الحماية الفرنسية، مرجع سابق، (ص ص ١٠٦- ١٠٧).

(٢٣)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ٦٥).

(٢٤)وعد بلفور:أصدرته بريطانيا تعلن فيه ترحيبها بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين. وهو يحمل اسم اللورد البريطاني أرثور جيمس بلفور، زعيم حزب المحافظين ورئيس الحكومة ١٩٠٢م - ١٩٠٥م، وصاحب اقتراح فرض الانتداب البريطاني على فلسطين. وقد شارك في افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٥م.

(٢٥) سان ريمو: تقع مدينة سان ريمو في إيطاليا على شاطئ جنوا، وفيها تمت المصادقة على قرار تسليم الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا في عام ١٩٢٠م (أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٣١٦).

(26) Laskier, Michael M. , The Evolution of Zionist, Op. Cit., (p. 207).

(27) Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 124).

(28) Yehuda, Zvi, "The Place of Aliyah in Moroccan Jewry's Conception of Zionism", Studies in Zionism, Volume 6, Nr. 2, Whole Nr. 12, Autumn 1985, The Institute for Zionist Research, Ramat Aviv, Tel Aviv, (p.199).

(٢٩)حنا أفرهامي، " بداية الحركة الطلائعية في شمال إفريقيا (١٩٤٣-١٩٤٨) "، في : يتسحاق أفرهامي " محرر"، جذور في الشرق، مجموعة أبحاث في الحركة الصهيونية والطلائعية في البلاد الإسلامية، المجلد الأول، إصدار الكيبوتس الموحد، تل أبيب، ١٩٨٦م، (ص ١٩٢)،[بالعبرية].

(٣٠)محمد كنبيب، مرجع سابق، (ص ١٠٤).

(٣١) البيديش: لغة المخاطبة لليهود الإشكناز في شرق أوروبا ابتداء من القرن ١٠م أو مطلع القرن ١١م،وهي مكونة من أسس مختلفة:عبري أرامي،وروماني قديم وألماني وهو الأساس في البيديش، وعلى مر الأجيال استوعبت البيديش أسسًا من لغات أخرى مثل:الإنجليزية والأسبانية، وتكتب بحروف عبرية. (أفرايم ومناحم تلمي،مرجع سابق،ص ص ٢٢١-٢٢٢).

(٣٢)شموئيل سجيف، مرجع سابق، (ص ٢١).

(٣٣) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٣٤)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٠٨).

(٣٥) تسفي يهودا، "يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨"، مجلة تسيون، عدد ٣، العام ٥١، ١٩٨٦، (ص ٣٤١، وهامش ٢٤ ص ٣٤١)، [بالعبرية].

(٣٦)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١١٤).

(٣٧) الصندوق التأسيسي:"كيرين هيسود"، الجهاز المالي للحركة الصهيونية العالمية، أقيم في عام ١٩٢٠م، وكان مكتبه الرئيس في لندن، وفي عام ١٩٢٧م انتقل للقدس، ونجح الصندوق في توفير التمويل المالي لعمليات التهجير، والتعليم، والاستيطان وشراء الأسلحة . (انظر: الموسوعة العبرية العامة، المجلد ٣٠، مرجع سابق، (ص ص٢٦٣- ٢٦٤).

(٣٨) الصندوق القومي الإسرائيلي:"كيرين كايميت ليسرائيل"، الجهاز المسئول من قبل الحركة الصهيونية العالمية لشراء الأراضي في فلسطين وإعمارها، تم تأسيسه في عام ١٩٠١م، وكان يتم تنظيم جمع الأموال عن طريق:ترويج طوابع الصندوق القومي، وصندوق التبرعات "الصندوق الأزرق"وعن طريق "الكتاب الذهبي"وهو سجل شرف تدون فيه أسماء المتبرعين. . (انظر: الموسوعة العبرية العامة، المجلد ٣٠، مرجع سابق، (ص ص٢٦٤- ٢٦٥).

(٣٩) دافيد كوهين، "النشاط الصهيوني والاستعمار في شمال إفريقيا بين الحربين العالميتين ١٩١٩- ١٩٣٩"، في: يتسحاق أفرهامي " محرر"، جذور في الشرق، مجموعة أبحاث في الحركة الصهيونية والطلائعية في البلاد الإسلامية، المجلد الأول، إصدار الكيبوتس الموحد، تل أبيب، ١٩٨٦م، (ص ٢١١، ٢١٥)،[بالعبرية].

(٤٠)انظر: أفرهام هطال، الصحافة اليهودية في المغرب، مرجع سابق، (ص ١٢٨، ١٣٠)؛ انظر أيضًا: أفرهام هطال، الصحافة اليهودية في شمال إفريقيا، مرجع سابق، (ص ٥٨، ٦٣).

(٤١)انظر: دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ص ٢١٦- ٢١٧).

(٤٢) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٤٣)انظر: دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ص ٢١٧- ٢١٨).

(44) Laskier, Michael M , The Evolution of Zionist, Op. Cit., (p.208).

(٤٥)صموئيل اتينجر ، مرجع سابق ، (ص ٤٢٠،٤١٨) .

(٤٦)محمد كنبيب، مرجع سابق، (ص ١٠٢).

(٤٧)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١١٥).

(٤٨)تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، مرجع سابق، (ص ص ٣٣٩- ٣٤٠).

(٤٩)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٢١).

(٥٠)تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، مرجع سابق، (ص٣٣٧).

(٥١)دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ٢٢٢).

(٥٢)تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، ، مرجع سابق، (ص٣٤٣).

(٥٣)دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ٢٢٣).

(٥٤)تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، مرجع سابق، (ص٣٤٧).

(٥٥)المرجع نفسه، (ص ص ٣٤٧- ٣٤٨، وهامش ٤١ ص ٣٤٨).

(56)Yehuda, Zvi, Op. Cit., (p. 201).

(٥٧) انظر :تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، مرجع سابق، (ص ص ٣٥٢- ٣٥٣، وهامش ٥٧ ص ٣٥٣).

(٥٨)شموئيل سجيف، مرجع سابق، (ص ٢٢).

(٥٩)ميخائيل ليسكر، " تاريخ النشاط الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في المغرب وتونس والجزائر: ١٨٩٧-١٩٤٧م"، مجلة سكيراه حودشيت، مجلة شهرية لضباط جيش الدفاع الإسرائيلي، عدد ٨، أغسطس ١٩٨٢م، (ص ١١)،[بالعبرية].

(٦٠)دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ٢٣١).

(٦١)ميخائيل ليسكر، " يوم طوف دافيد تسيمح ويهود المغرب: ١٩١٣- ١٩٤٠، تحليل وتوثيق"، مجلة ميكيديم أو ميام، المجموعة ب، ١٩٨٦، (ص ص ١٧٠ -١٧١)، [بالعبرية].

(٦٢)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٦٤).

(٦٣)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٢٠).

(٦٤)دافيد كوهين، مرجع سابق، (ص ص ٢١٤- ٢١٥).

(٦٥)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ٦٧).

(66)Laskier, Michael M., The Evolution of Zionist, Op. Cit., (p.209).

(٦٧)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٢٤).

(٦٨)المرجع نفسه، (ص ١٢٥).

(69) Laskier, Michael M., The Evolution of Zionist, Op.Cit., (p.213).

(٧٠)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٢٥).

(٧١)ميخائيل ليسكر، " تاريخ النشاط الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في المغرب وتونس والجزائر، مرجع سابق، (ص ١٥).

(72) Laskier, Michael M., The Evolution of Zionist , Op.Cit., (p.213).

(٧٣)ميخائيل ليسكر، تاريخ النشاط الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في المغرب وتونس والجزائر، مرجع سابق، (ص ١٥).

(74) Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 125).

(٧٥)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص ٦٩، ٧٢).

(٧٦) تحركت هذه المبعوثيات الثلاث (الأولى أرسلت لتونس في سبتمبر ١٩٤٣-١٩٤٤م، والثانية أرسلت لتونس والمغرب والجزائر في نوفمبر ١٩٤٤-١٩٤٥م والثالثة بداية من عام ١٩٤٧م) تحت إشراف الوكالة اليهودية والموساد للهجرة " ب ". وتهدف هذه المبعوثيات لخلق كوادر ووضع أسس، وإيجاد العناصر المناسبة وإعدادها للعمل في إطار عمليات التهجير التي بدأت بوصول المبعوثية الثالثة. (لمزيد من التفاصيل انظر: أفرايم

بن حاييم، الهجرة من شمال إفريقيا، السفن الثلاث، ١٩٤٧م، في : يتسحاق أفرهامي " محـــرر"، جــذور في الشرق، مجموعة أبحاث في الحركة الصهيونية والطلائعية في البلاد الإسلامية، المجلد الأول، إصدار الكيبــوتس الموحد، تل أبيب، ١٩٨٦م، (ص ص ٢٥٠- ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦٣)،[بالعبرية].

(٧٧)ميخائيل ليسكر، يهود بلاد المغرب في ظل حكم فيشي والصليب المعكوف، مرجع سابق، (ص٧٣).

(٧٨) فتية صهيون:حركة طلائعية شبابية تأسست في تونس العاصمة ١٤يوليو ١٩٤٣م بمبــادرة مــن نــاحوم يورشليمي (وتعد حركة "حرية" امتدادًا لها في المغرب) هدفها نشر فكرة الهجرة إلى فلسطين وإقامة الكيبوتس في أوساط الشباب اليهودي التونسي، ومنذ ذلك الحين نشأت فكرة إقامة نواة شمال إفريقية تبدأ في تأســيس أول كيبوتس ليهود شمال إفريقيا في فلسطين،وهى الفكرة التي تحققت في يوليو ١٩٤٤م في كيبــوتس "بيــت أورن ". (حنا أفرهامي، مرجع سابق، ص ٢٠٨).

(٧٩)HIAS:"الجمعية العبرية لمساعدة المهاجرين وحمايتهم". تأسست في نيويورك عام ١٩٠٩م في إثر انــدماج رابطة مكتب الحماية العبرية (١٨٨٤م) والجمعية العبرية لمساعدة المهاجرين (١٩٠٢م).لتوفير الاحتياجــات المتزايدة للمهاجرين من شرق أوروبا وشمال إفريقيا، ومساعدهم في الحصول على عمل ومواطنة. وكرســت مجهوداها لدعم ومساعدة هجرة اليهود من ألمانيــا. (Encyclopaedia Judaica, Volume 15, Kater Publishing House,Jerusalem,1972,pp.1539-1540)

(٨٠)انظر: حنا أفرهامي، مرجع سابق، (ص ص ٢٠٩-٢١٠).

(٨١)أفرايم بن حاييم، مرجع سابق، (ص ٢٤٦).

(٨٢)المؤتمر اليهودي العالمي: تأسس ١٩٣٦ في جنيف؛ لضمان حقوق ومصالح التجمعات اليهودية، وانتقل مقره الرئيس إلى نيويورك ولندن بعد الحرب العالمية الثانية.

(٨٣) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٨٤) المرجع نفسه.

(٨٥)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٤٣٧).

(٨٦) تسفي يهودا، "حركة نشر اللغة العبرية في الشرق"، في: م. كوهين "محرر"، مواد مســاعدة في موضــوع: فصول في تاريخ يهود الشرق، الجزء الأول، وزارة التربية والتعليم، القدس، ١٩٨٠، (ص ٢، ٣)،[بالعبرية].

(٨٧)صموئيل اتينجر، مرجع سابق ، (ص ٤٣٨).

(88) Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 126).

(٨٩)راؤوفين آهاروني، مرجع سابق ، (ص ٢٦).

(٩٠) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٩١) صموئيل اتينجر، مرجع سابق ، (ص ٤٣٨).

(٩٢) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(٩٣) المرجع نفسه.

(٩٤) جوردونيا: حركة شبيبة تحمل اسم الشاعر الصهيوني أهارون دافيد جوردون، تأسست ١٩٢٥م، وقد وصل أول الطلائعيين منها إلى فلسطين ١٩٢٩م؛ الحارس الفتي: تكونت عام ١٩١٦م، باتحاد حركة الكشافة "الحارس" ومجموعات من حركة "فتية صهيون". (انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٩٤، ١٦٠)؛ بيتار: اختصار "ميثاق يوسف ترومبلدور"، منظمة شبيبة "رياضية" تحمل اسم يوسف ترومبلدور الذي قتل في مستوطنة تل حاي عام ١٩٢٠م.(انظر:دافيد سجيف، قاموس عبري عربي للغة العبرية المعاصرة، دار نشر شوكن، أورشليم وتل أبيب، ١٩٩٠م، ص ١٩٤٦).

(٩٤)ميخائيل ليسكر، " تاريخ النشاط الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في المغرب وتونس والجزائر، مرجع سابق، (ص ١٦).

(٩٥) المرجع نفسه .

(٩٦) أبناء عكيفا: حركة شبيبة دينية تعمل في إطار الحزب الديني القومي والعامل الشرقي تأسست عام ١٩٢٩م. أقام أعضاء الحركة كيبوتسات ومستوطنات دينية.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي ، مرجع سابق، ص ٧٧).

(٩٧) باحد: أقيمت هذه الحركة في ألمانيا عام ١٩٤٨م ،وقد هاجرت أول مجموعة من "باحد" إلى فلسطين عام ١٩٢٩م وأصبحت النواة لإقامة الكيبوتس الديني.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٦٢).

(98)On this point see: Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 126).

(٩٩)الكيبوتس الموحد: تأسس في عين حارود ١٩٢٧ من خلال اتحاد كيبوتس عين حارود مع كيبوتسات أخرى تابعة للحركة الطليعية والحارس الفتي.

(١٠٠)حنا أفرهامي، مرجع سابق، (ص ٢٢٨).

(١٠١) الحركة الصهيونية في المغرب، مرجع سابق.

(١٠٢)تسفي يهودا، يهود المغرب والتنظيمات الصهيونية خلال الأعوام ١٩٠٠- ١٩٤٨، مرجع سابق، (ص٣٥٤).

(١٠٣)المرجع نفسه، (ص ص ٣٣٦- ٣٣٧).

(104) Chouraqui, Andre N., Between East and West: A history of the Jews of North Africa, tr. from French by Michael M.Bernet, A theneum, New York, 1973,(pp.277-278).

(١٠٥)انظر: يوسف منير، ميلاد الصهيونية السياسية الشرقية، إصدار يارون جولان، تل أبيب، ١٩٩٨م، (ص ٣٨)،[بالعبرية].

(١٠٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ص ١٠٩-١١٠).

(١٠٧)دوف فريد لاندر وكالفن جولدشايدر، سكان إسرائيل: تحدي التعددية، ترجمة: فوزي سهاونة، مراجعة:محمد العطعوط، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦م ، (ص ٣٥) .

(١٠٨)دافيد بن جوريون:ولد في مدينة بلونسيك في بولندا عام ١٨٨٦م، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦م.وترأس الوكالة اليهودية منذ عام ١٩٣٥م في فلسطين،ثم عين أول رئيس للحكومة ووزيرًا للدفاع، وظل في هذا المنصب حتى انسحابه عام ١٩٥٣م،وفي عام ١٩٥٥م عاد للحكومة وزيرًا للدفاع ثم رئيسًا للوزراء، وفي عام ١٩٦٣م تخلى عن رئاسة الحكومة، واعتزل الحياة السياسية عام ١٩٧٠م، وتوفي في اليوم الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٧٣م.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ص ٧١-٧٢).

(١٠٩) شمعون بيرس:ولد في قرية فيشنيفا في بولندا عام ١٩٢٣م، هاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٣٣م، وعاش في كيبوتس ألوموت. تقلب في عدد كبير من المناصب الوزارية منها وزارة الدفاع ورئاسة الوزراء، وكان رئيسًا لحزب العمل ١٩٧٧-١٩٩٢م.(انظر:أحمد خليفة وخالد عايد "إعداد"، "الانتخابات الإسرائيلية أيار/مايو١٩٩٩م: وثائق تأليف الحكومة الجديدة والنتائج البرامج الانتخابية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٣٩، صيف ١٩٩٩م، بيروت، ص ١١٧).

(١١٠)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٨٩).

(١١١)علي عبده إبراهيم وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ص ٢٩-٣٠).

(١١٢)ميخائيل أبو طبول، النشاط الصهيوني في شمال إفريقيا ، مرجع سابق، (ص١٢٨).

(١١٣)علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ٢٢٦) .

(١١٤) ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٥١).

(١١٥)لمزيد من التفاصيل انظر: أفراهام شطال، تاريخ يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ص ١٧٠ -١٧١).

(١١٦) تستخدم المصادر العبرية هنا مصطلح "هعبالاه" وليس مصطلح "عالياه"، وذلك للتعبير عن الهجرة خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، فهو كناية عن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بصورة غير مشروعة،كما أن هذا المصطلح، ليس معناه فقط دخول غير شرعي لإسرائيل بل يعني أيضًا خروجًا غير شرعي من بلد المنشأ.(حاييم سعدون ويوئيل ريفل، مرجع سابق، ص ١٣).

(١١٧) جهاز الموساد للهجرة ب، أقيم في عام ١٩٣٩م من أجل الاهتمام بتنظيم الهجرة بمختلف جوانبها. وقد أقام "الموساد للهجرة ب " تعاونًا وطيدًا مع منظمة "الهاجاناه" للدفاع عن المهاجرين وتقديم المساعدات اللازمة لوصول المهاجرين للشواطئ. وفي عام ١٩٥٢م تم حل "الموساد للهجرة ب"، وتم نقل كوادره إلى جهاز الموساد للمهام الخاصة المعروف اليوم باسم الموساد. (نفس المرجع، ص ١١).

(١١٨) يهودا بن شموئيل هليفي:ويعرف بالعربية بأبي الحسن، وولد قبل عام ١٠٧٥م بشمال الأندلس وتوفي عام ١١٤١م في مصر. وهو من كبار الشعراء والمفكرين اليهود في الأندلس، وقد ترك ثروة أدبية هائلة في المجال

الديني والأدبي والفلسفي وقرض قصائد دينية كثيرة. (الموسوعة العبرية العامة، المجلد ١٩، مرجع سابق، (ص ١٨٥).

(١١٩)انظر: أفرايم بن حاييم، مرجع سابق، (ص ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦).

(١٢٠)حاييم سعدون ويوئيل ريفل، مرجع سابق، (ص ١٣٤) .

(121) Laskier, Michael M ., Zionism, Op. Cit., (p. 126).

(١٢٢) أفرايم بن حاييم، مرجع سابق، (ص ص ٣٠١- ٣٠٢).

(١٢٣)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣١٧).

(124) Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 126).

(١٢٥)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٣٤).

(126) Laskier, Michael M . , Zionism, Op. Cit., (p. 127).

(١٢٧)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٢٢).

(128) Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (pp. 126-127).

(١٢٩) وهي تحمل نفس اسم رابطة "كاديما" التي أسسها الطلاب اليهود في فيينا عام ١٨٨٣م في عهد حركة "هواة صهيون". وكان من بين أهداف هذه الرابطة: محاربة اللاسامية والاندماج.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٣٩٩).

(١٣٠)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٢٣).

(131) Laskier, Michael M., Zionism, Op. Cit., (p. 127).

(١٣٢)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ٣٢٣، ٣٢٤).

(١٣٣) المرجع نفسه، (ص ٣٢٣).

(١٣٤) يتسحاق موشيه عمانوئيل، صرخة يهود المغرب، إصدار عامي، تل أبيب، ١٩٦٨، (ص ٣٧)، [بالعبرية].

(١٣٥) شموئيل اتينجر "محرر"، تاريخ اليهود في بلاد الإسلام، الجزء الثاني: من منتصف القرن ١٩ حتى منتصف القرن ٢٠، إصدار معهد زلمان شزار لتاريخ إسرائيل، القدس، ١٩٨٦، (ص ٢٧٣).

(١٣٦) انظر: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٨٥)؛ شموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٢٧٣).

(١٣٧)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ص ٣٤٨-٣٤٩).

(١٣٨)انظر: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ص ٦٥- ٦٨).

(١٣٩)ميخائيل ليسكر، هجرة يهود المغرب، مرجع سابق، (هامش ٧٧ ص ٣٥٨، ص ٣٣٩).

(١٤٠) يارون لوندون، "الانتقاء"، يديعوت أحرونوت، ملحق شيفع ياميم، ١٩٩٨/٩/٤، (ص ١٩)، [بالعبرية].

(١٤١)يتسحاق موشيه عمانوئيل، مرجع سابق، (ص ٣٩).

(١٤٢) يوسيف منير، مرجع سابق، (ص ٥٥).

(١٤٣)يتسحاق موشيه عمانوئيل، مرجع سابق، (ص)٣٩.

(١٤٤)يارون لوندون، مرجع سابق، (ص ١٩).

(١٤٥) المرجع نفسه.

(١٤٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ١٠٩) .

(١٤٧)على إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (هامش ٥٩ ص ٢٩٤) .

(148) <u>On this point see</u>: Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 127).

(١٤٩)<u>انظر</u>: دوف فريد لاندر وكالفن جولدشايدر، مرجع سابق، (ص ٢٢ شكل ٢).

(١٥٠)ميخائيل ليسكر، " الهجرة السرية من المغرب: سياسة السلطات كعنصر في علاقات اليهـود والمسلمين ١٩٥٦-١٩٦١م"، مجلة بعاميم، عدد رقم ٦٣، ربيع ١٩٩٥، (ص ١٣٢، ١٣٤)،[بالعبرية].

(١٥١)المرجع نفسه، (ص ٣٤٧- ٣٤٨).

(١٥٢) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(١٥٣) المرجع نفسه، (ص ٩، ١٢، ١٥).

(١٥٤) إدريس ولـد القابلـة، ملـف المغـرب واليهـود والموسـاد، الحلقـة الثالثـة، ديسـمبر ٢٠٠٥:
http://www.diwan..larab.com/spip.php?article2796&var_recherche

(١٥٥)<u>انظر</u>: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٣٣).

(١٥٦) تبنت المغرب، بعد انضمامها للجامعة العربية في أكتوبر ١٩٥٨م، مواقف أكثر راديكالية وعززت مـن مركزية الحكومة [وفيما يتعلق باليهود، فرضت قيودًا على الخروج الفردي.بعد أن فرضت من قبل قيودًا على الخروج الجماعي عام١٩٥٦م].

<u>On this point see</u>: Laskier, Michael M., Zionism, Op. Cit., (p. 129).

(١٥٧) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٣٠).

(158) <u>On this point see</u>: Laskier, Michael M. , Zionism, Op. Cit., (p. 127).

(١٥٩) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٤٦).

(١٦٠)ميخائيل ليسكر، الهجرة السرية من المغرب، مرجع سابق، (ص ١٤٥- ١٤٦).

(١٦١)<u>انظر</u>: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٥٠، ١٥٤).

(١٦٢) المرجع نفسه، (ص ١٥٤).

(١٦٣) الأرجح أن كلمة "ياخين" هي أول كلمة في الكتابات المنقوشة على العمود الأيمن: "وسيثبت الرب عرش دواود وملكه في نسله إلى الأبد" (الموسوعة العبرية العامة، مرجع سابق، المجلد ٨، ص ٥٦٠).

(١٦٤)<u>انظر</u>: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٥٦، ١٦١- ١٦٣، ١٦٥).

(١٦٥)<u>انظر</u>: المرجع نفسه، (ص ١٨٥)؛ Laskier, Michael M. ,Zionism,Op.Cit., (p.127)

(١٦٦) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٨٥).

(١٦٧) انظر: كتاب الإحصاء السنوي لإسرائيل، لعام ١٩٩٥، رقم ٤٦، إصدار المكتب المركـزي للإحصـاء، القدس، ١٩٩٥م، (ص ١٨٠)،[بالعبرية].

(١٦٨) الثورة الإشكنازية: في عام ١٩٦٤م، نشر كالمان كاتسنلسون كتابه "الثورة الإشكنازية" الـذي يتسـم بالعنصرية الصريحة، وفيه أعرب عن احتجاجه على تدفق السفارادي وعن اقتناعه بدونية أساسية وراثية لا يمكن ردها لدى السفارادي، محذرًا من الزيجات المشتركة بوصفها تدنس سلالة الإشكناز. (إيلا حبيبـة شـوحط، "منظومة الأمة وخطاب التحديث: حالة اليهود المزراحي"، ترجمة: على عبد العزيز، إبداع، العدد السـادس، يونيه ١٩٩٨م، القاهرة، ص ٤٧).

(١٦٩) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٨٢).

(١٧٠)ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ٢٦٩).

(١٧١) دافيد سيطون، مرجع سابق، (ص ١٥٥).

(١٧٢)كتاب الإحصاء السنوي لإسرائيل، لعام ٢٠٠٦، ، رقم ٥٧، إصدار المكتب المركزي للإحصاء، القدس، ٢٠٠٦، (ص ٢٤١)،[بالعبرية].

(١٧٣)انظر:خليل إبراهيم الطيار،مرجع سابق،(ص ٢٣٥)؛ على إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، (ص ص ٢٩٤ ، ٣٠٣)؛ يحزقينيل حدد، مرجع سابق، (ص ٩١)؛ دافيد سيطون، مرجع سابق، (ص ١٥٥).

(١٧٤)محمد كنبيب، مرجع سابق، (ص ص ٢٩٨-٢٩٩).

(١٧٥)خليل إبراهيم الطيار، مرجع سابق، (ص ٢٣٥).

(١٧٦)صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٤٤٤).

(١٧٧)انظر: ناتان شوراقي، مرجع سابق، (ص ١٢٨).

(178) Chouraqui, Andre N., Op.Cit.,(p. 290).

الفصل الرابع

يهود المغرب في إسرائيل

(أولاً): الواقع الاجتماعي

بلغ تعداد الطائفة اليهودية المغربية في إسرائيل، وفقًا لما ورد في الكتاب السنوي للجهاز المركزي للإحصاء في إسرائيل لعام ٢٠٠٦، نحو ٤٩٣ ألف نسمة(١)، وقد كان لهذه الطائفة ذات الثقل العددي تجربة مريرة مع المجتمع الإسرائيلي، يمكن تتبع ملامحها عبر الجوانب التالية:

(١) صعوبات الاستيعاب

اشتملت عملية استيعاب يهود المغرب في إسرائيل(٢) على مشاكل منذ البداية، فكان الانتقال من الحلم المسيحاني إلى الواقع الإسرائيلي صعبًا للغاية، منذ اللحظة الأولى لنزولهم من السفينة: فالمهاجرون الجدد-الذين اختلطت عليهم مشاعر الإرهاق والفرحة-اختفوا تحت سحابة من مادة (D. D. T.) واتسم اللقاء مع النظام العلماني بالبرودة، وسببت البيروقراطية بلبلة للقادمين، هؤلاء اليهود الذين يعرفون فقط عبرية التوراة، وليس لديهم فكرة عن كيفية ملء الاستمارات، كما لم يهتم أحد بإعدادهم كما ينبغي. وأخذت مشاعر القهر تضرب بجذورها شيئًا فشيئا في نفوسهم (٣).

هذا، وقد ترافق وصولهم الجماعي في الخمسينات مع تطبيق الحكومة لسياستها الجديدة المسماة "من السفينة إلى المستوطنة" [التي بدأ تطبيقها منذ صيف عام ١٩٥٤م]. وقد جرى استيعابهم بسرعة في المخيمات التابعة للوكالة اليهودية في "شعار هعاليا"، وأرسلوا من هناك بالحافلات أو الشاحنات، إلى قرى مقامة حديثًا "موشفي عوليم-مستوطنات المهاجرين"، وإلى بلدات التطوير(٤).

ولم يكن يهود المغرب هم فقط الذين تم إرسالهم إلى هذه الأماكن، بل انضم إليهم مهاجرون آخرون من اليهود الغربيين والشرقيين على السواء، لكن يهود المغرب كانوا يمثلون النسبة

الأكبر من بين عدد المهاجرين في تلك الفترة؛ لذلك كانوا أكثر الطوائف اليهودية المهاجرة معاناة من هذه السياسة الجديدة.

وإضافة إلى ذلك، فإن أعدادًا كبيرة من الذين أرسلوا إلى بلدات التطوير، أصيبوا باليأس وغادروها، وفتشوا لهم عن سكن في مناطق مدنية أكثر قربًا من مركز البلاد. وبينما كان يجري هذا الانتقال الكبير للسكان، ظل يهود المغرب في هذه الأماكن النائية(٥)، ولم تكن هذه الأماكن النائية تصلح للإقامة؛ لأنها كانت ما تزال في طور الإنشاء، وتفتقد للكثير من المرافق والخدمات الأساسية.

وهناك الكثير من الأحداث الأليمة التي رافقت عملية الاستيعاب، وما تزال الذاكرة المغربية تحتفظ بها. ويتذكر "رافي أدري" (مغربي الأصل وعضو الكنيست عن حزب العمل) بأن جده كان رجل دين كبير في المغرب، اقنع بدوره والد "رافي" للهجرة إلى فلسطين. وعند وصولهما إلى حيفا تم نقلهما على عجل في " شاحنة سيئة تركتهما في العراء بعد ثلاث ساعات من السير في طريق الجليل الأعلى...وقد خيم الليل، وكان المطر يهطل مدرارًا. ولم يكن أي شخص يريد النزول من الشاحنة ". وقد استقبلوا استقبالاً سيئًا: " كوخ من الصفيح مساحته ١٢ مترًا مربعًا بلا ماء ولا كهرباء، لا يقارن مع دارنا في الدار البيضاء" على حد تعبيره. ويضيف قائلاً: " كان من المفروض أن نعمل عملاً شاقًا من أجل ضمان قوت يومنا"(٦).

والنموذج الصارخ لما كان يعانيه يهود المغرب منذ أن وطأت أقدامهم إسرائيل، هو عملية التسكين الجبري لجماعة من يهود المغرب في مدينة ديمونه مع مطلع خمسينات القرن العشرين. وحول هذا، يذكر تقرير نشر في صحيفة "هاآرتس" (١٩/٩/١٩٨٠م)-أن هؤلاء المغاربة نقلوا من الباخرة إلى شاحنتين وقيل لهم إنهم مسافرون لمدة نصف الساعة من حيفا إلى البلدة الجديدة، ولم تتوقف الشاحنات إلا بعد ٨ ساعات في النقب. وعند وصولهم قابلتهم عاصفة رملية شديدة، ولم يروا أية بيوت هناك؛ لذلك رفضوا النزول من الشاحنتين. وبعد جدال حاد، انزلوا واسكنوا في أكواخ بسيطة مزودة بأسرة حديدية وبطاطين رخيصة ومراتب مصنوعة من القش، بدون ماء أو كهرباء، وثمة مراحيض بدائية خارج الأكواخ. وعاشوا في هذه الأكواخ حتى بنوا لأنفسهم شققًا سكنية صغيرة تبلغ الواحدة منها ٤٨ م٢ (٧).

وقد كشف تقرير فرنسي حول أوضاع يهود المغرب داخل إسرائيل، أنهم يعانون من ارتفاع حدة التمييز ضدهم. وذكر التقرير الذي نشرته صحيفة "لوفيجارو" الفرنسية أن المشكلة الكبرى التي تواجههم هي ظاهرة العنصرية ضد كل من هو من أصول شرقية أو عربية. وأشار التقرير

إلى أن "سوء المعاملة" هو القاعدة المتبعة مع هؤلاء اليهود منذ وصولهم إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م. ويذكر التقرير أن يهود المغرب الذين يعيشون في إسرائيل لم ينسوا بعد هذه المعاملة السيئة، وأن شعورهم الآن هو شعور يمكن وصفه بقصة الحب الفاشلة مع إسرائيل[٨].

وبطبيعة الحال أحدثت تجربة الاستيعاب القاسية التي مر بها يهود المغرب جراحًا عميقة للشخصية اليهودية المغربية لا يمكن أن تلتئم، وأصابتهم بالكثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية؛ نتيجة لتردي أوضاعهم، وأصبح هذا الواقع الأليم كالشوكة في حلوقهم أمام ذكرياتهم الطيبة عن حياتهم السابقة في المغرب.

وفي المؤتمر الاتحادي الدولي لليهود السفارديم الذي انعقد بالقدس في الفترة من ٦-٩ فبراير ١٩٧٧م، تحدث ممثل يهود المغرب عن سوء أوضاع اليهود المغاربة في إسرائيل بلهجة حادة وقال: "خلال كل تاريخ المغرب لم نعرف الدعارة ولا ارتكاب الجرائم لكننا بدأنا نعرفها هنا في ظل الدولة الإسرائيلية...لقد كان لنا في ظل الدولة الإسلامية وزراء كاملين لا أنصاف وزراء. وتلك الدولة الإسلامية أكثر عطفًا علينا واحترامًا لنا من الدولة الإسرائيلية"[٩].

هكذا، أفاق اليهود " السفارديم " من حلم الأرض التي تفيض "لبنًا وعسلا "، ذلك الحلم الخيالي الذي روجت له الحركة الصهيونية، على واقع مرير أشبه بالكابوس، واقع تحول فيه اللبن والعسل إلى أراضي وعرة وأكواخ ضيقة من الصفيح تفتقد للحد الأدنى من أساسيات العيش البشري، كما أنهم يعاملون على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية وفي هذا الصدد يعلق أحد اليهود المغاربة النازحين عن إسرائيل بقوله: "كانوا ينظرون إلينا كما لو كنا مخلوقات بدائية بألسنة حادة".

وأقصى ما استطاعت أن توفره لهم الحكومة الإسرائيلية هو إلحاقهم بما يسمى "أعمال الطوارئ- عفودات دحك" وهي أعمال شاقة مهينة كما أنها مؤقتة، مثل العمل في خدمات الطرق من تعبيد ورصف، وتقطيع الأخشاب والصخور وغيرها من الأعمال الجسدية الشاقة المرهقة، التي لا تمكنهم من العيش في حياة كريمة.

(٢)أسباب تفاقم المشكلة المغربية

تكاتفت أسباب عديدة في وضع يهود المغرب على قمة الطوائف اليهودية الشرقية التي عانت من التمييز على كافة المستويات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والثقافية، وكان لهذا التمييز دور فعال؛ حال دون تسهيل عملية اندماجهم وتكيفهم داخل المجتمع الجديد، ويرى "يوحنان بيرس"، أستاذ علم الاجتماع الإسرائيلي، أن من أهم أسباب هذه المشكلة ما يلي:

(أ)يمثل المغاربة الطائفة الأكبر بين يهود الشرق، وكان من السهل أن تحصل الأقلية الصغيرة على تمثيل مناسب أفضل من الأقلية الكبيرة؛ فالتمثيل المناسب للأقلية الكبيرة معناه أن إمكانية اتخاذ القرارات الحاسمة تصبح بالفعل، في أيدي هؤلاء،

(ب)عد المغاربة أنفسهم وسطاء بين الفرنسيين والمغربيين وتشبعوا بالثقافة الفرنسية، وعند هجرتهم إلى إسرائيل وجدوا أنهم منعزلون في الطبقات الفقيرة جدًا بدلاً من أن يتحسن وضعهم. وقد سبب دخولهم للطبقات الأكثر فقرًا في إسرائيل جرحًا عميقًا، وبدلاً من أن يكونوا يهودًا في دولة يهودية، أصبحوا مغاربة في دولة يهودية، وهو جرح عانت منه كل الطوائف اليهودية الشرقية، لكنه كان أعمق وأكبر بالنسبة للمغاربة(١٠).

(ج)هاجر يهود المغرب دون صفوة سياسية أو اقتصادية، حيث هاجرت إلى فرنسا النخبة المالية المدنية المثقفة التي كانت مندمجة في إطار النخبة الفرنسية، تاركة الجماهير اليهودية الأكثر فقرًا وبؤسًا، الأمية في معظمها، تهاجر إلى إسرائيل. وقد كان لهذا الأمر أبعاد كبيرة على مسألة اندماجهم، بحيث زادت من المصاعب التي واجهتهم في هذا المجال. ولم يتغير الوضع إلا بوصول بعض أفراد الصفوة في مراحل متأخرة، وبعد تكون صفوة جديدة من هؤلاء المهاجرين أنفسهم، حيث بدأت تأخذ مكانها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية([11]).

(د) لم يصلوا إلى إسرائيل ومعهم ثروة ملموسة أو مهارات متطورة، وكانت الأماكن التي أقاموا فيها قليلة السكان وقيد الإنشاء، وتعتمد إلى درجة عالية على الدوائر البيروقراطية([12]).

(هـ) ساد جو من عدم الارتياح حول هذه الطائفة؛ ويرجع ذلك إلى آراء مسبقة أثرت سواء على استعدادات الاستيعاب أو على الاستعدادات لقبول الاستيعاب، وبتأثير هذه الآراء المسبقة أصبح المغربي مرادفًا للعدوانية([13]).

(و)هاجر يهود المغرب كجسد مبتور، فبالإضافة إلى هجرة الصفوة من أبناء الطائفة المغربية إلى فرنسا وكندا وأسبانيا، هاجرت الأسرة اليهودية المغربية إلى إسرائيل تاركة الكثير من أفرادها خلفها في المغرب تحت ضغوط قوانين الانتقاء التي اتبعتها المؤسسات الإسرائيلية مع المهاجرين في خمسينات القرن العشرين، وهي نفس الفترة التي تزايدت فيها الهجرة اليهودية الجماعية من المغرب.

(٣)التوزيع الديموجرافي

تركزت الجماعات اليهودية القادمة من المغرب في ثلاث أماكن رئيسة هي: بلدات التطوير، والمستوطنات الزراعية وأحياء الحزام الأسود في المدن الكبرى.

(أ)بلدات التطوير:

ترافق وصول الموجات الجماعية من المغرب مع تطبيق سياسة التوطين في بلدات التطوير المنتشرة على المناطق الحدودية الشمالية والجنوبية. ولذلك تم توجيه نحو ٦٦,٥% من المهاجرين المغاربة إلى بلدات التطوير مباشرة خلال الفترة الممتدة من أكتوبر ١٩٥٦م وحتى أبريل ١٩٥٨م، أي نحو ١٨ شهراً(١٤).

وبعض الأمثلة شاهدة على ذلك، فبين ٥٠%-٦٠% من سكان بلدات التطوير مثل: أوفاقيم، وديمونه، ويروحام، وسدروت، وبيسان وكريات شمونه كانوا من المغربيين، وأصبحوا بسرعة مع أولادهم الذين ولدوا في إسرائيل، المجموعة المسيطرة فيها. وإلى جانب ذلك، شكل المغربيون تجمعات كبيرة في كثير من المدن ذات الحجم الصغير والمتوسط، مثل: بئر سبع، وعسقلان، وأشدود، وعكا، وصفد والرملة(١٥).

وأصبح يهود المغرب يمثلون الجماعة السكانية الأكثر كثافة في بلدات التطوير، سواء من بين التجمعات السكانية ذات الأصول اليهودية الشرقية أو الغربية. ففي عام ١٩٧٢م، كان ٤٧% من المغربيين يقيمون في المستوطنات المدنية الجديدة بالمقارنة بـ ١٧% من العراقيين والرومانيين و٦% من البولنديين. وفي المقابل، أقام ٤٦% من المغربيين في المراكز المدنية القديمة مقارنة بـ ٧٧% من العراقيين، و ٧٨% من الرومانيين و٨٤% من البولنديين(١٦).

ويتغير هذا المشهد تماماً في المدن الكبرى الرئيسة الواقعة في وسط إسرائيل، إذ تتحول الأغلبية الساحقة التي يمثلها يهود المغرب في بلدات التطوير إلى أقلية في تلك المدن الكبرى.

وتوجد نحو ٤٣ مدينة تطوير في إسرائيل حتى مطلع التسعينات من القرن العشرين، منتشرة في مختلف أنحاء إسرائيل، خاصة في المناطق الحدودية الشمالية والجنوبية، وبعضها في وسط إسرائيل. إذ تشير إحصائيات وزارة التجارة والصناعة لعام ١٩٧٩م، أنه يوجد في إسرائيل نحو ٢٧ مدينة تطوير وهي: إيلات، وأوفاقيم، وبئر سبع، وبيت شان، وبيت شمش، وديمونه، وحاتسور هجليليت، وطبرية، ويقنعام عليت، ويروحام، وكرميئيل، ومجدال هاعيمق،

ومطوله، ومنحميا، ومعلوت، ومتسبيه رمون، ونتسيرت عيليت، ونتيفوت، وعكا، وعفوله، وعراد، وصفد، وكريات جت، وكريات ملاخي، وكريات شمونه، وسدروت وشلومي(١٧).

وتضيف إحصائيات حديثة نحو ١٦ مدينة أخري يمكن إدراجها ضمن بلدات التطوير وهي: اشدود، وأشكلون، ويفنيه، ونهريا، وأور يهودا، وأور عقيفا، وبئر يعقوف، وبيت دجن، وطيرات هكرميل، ويهود، وكفار يونا، واللد، ومبسيرت تسيون، وكريات عقرون، وروش هاعين والرملة(١٨).

(ب)مستوطنات القرى الزراعية:

في النصف الأول من خمسينات القرن العشرين، وبسبب تدفق الهجرة بأعداد غفيرة، أقيمت مستوطنات في بالقرب من المناطق الحدودية في جنوب وشمال إسرائيل، حيث دعت الضرورة لإقامة دروع بشرية على طول خطوط النار؛ لتكون حاجزًا فعليًا ضد أي تسلل أو هجوم، لأن هذه المناطق كانت عامرة بالسكان العرب حتى عام ١٩٤٨م. وبدأت عمليات استيعاب المهاجرين المغاربة في هذه المناطق منذ النصف الأول من العقد الخامس للقرن العشرين. وكانت نظم الاستيعاب قد اتجهت في إسرائيل خلال هذه الفترة لتطبيق نظام "من السفينة إلى القرية"، وقامت بتهجير قرى كاملة من جبال الأطلس حيث وجدت أن أصولهم القروية تعد بمثابة "شهادة ضمان" لتسهيل عملية الاستيعاب والموائمة مع الحياة القروية والعمل الزراعي(١٩).

(ج)أحياء الحزام الأسود:

فضلت أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود المغربيين شق عصا الطاعة والخروج عن البرنامج الإشكنازي الموضوع، وفضلت الإقامة في المدن الكبرى خاصة في الأحياء الفقيرة داخل المدن أو حولها، وعرفت هذه الأحياء بهذا الاسم "أحياء الحزام الأسود" أو باسم "حارات الفقر"؛ لأن معظم سكانها من أصحاب البشرة السمراء، كناية عن اليهود الشرقيين، ولأنها ذات مستوى اقتصادي متدن، وأوضاع اجتماعية متدهورة.

ومن أشهر أحياء المدن الكبرى التي يسكن بها يهود المغرب: المصرارا، وتل حنان وطيرة هكرميئيل في القدس [بالإضافة لأحياء:عير جانيم والقطمون] (٢٠)، وحي وادي الصليب في حيفا، وأحياء هتكفا، ولبي تساهل، وكفار شاليم وهاأرجازيم في تل أبيب(٢١).

٤)الوضع في أماكن الإقامة

تدفق يهود المغرب إلى إسرائيل، مثل غيرهم من يهود الطوائف الشرقية، وهـم تـراودهم آمال وأحلام ذهبية غذتها إغراءات ووعود خلابة وزعتها عليهم، وبدون حساب، المؤسسـات اليهودية المسئولة عن الهجرة، لكن الواقع جاء على عكس أحلامهم، وكانت هناك هوة عميقة بين الآمال المنشودة وبين ما هو كائن على أرض الواقع، فبدلاً من أن ينعموا بالرفاهية ورغـد العيش في أرض الميعاد كان من نصيبهم خيبة الأمل وشظف العيش، ويتضح هذا فيما يلي:

أ) بلدات التطوير

من أبرز المشاكل التي عانى منها سكان بلدات التطوير، ما يلي:

[١/أ] انخفاض مستوى المعيشة: أدى تدني مستوى الأجور في قطاع الصناعة، الذي يعد فرصة العمل الرئيسة المتوفرة في بلدات التطوير، إلى انخفاض مستوى المعيشة. فضلاً على أنـه منذ حرب ١٩٦٧م أصبحت بلدات التطوير في مكانة متدنيـة جـدًا فـي سـلم الأولويـات الحكومية، حيث أصبحت المستوطنات التي أقيمت في المنـاطق المحتلـة تتمتـع بمكانـة "البلدات" السابقة كمناطق تطوير. وبدلاً من توجيه الاستثمارات الجديدة لقطـاع الصـناعة[ذات الأيدي العاملة الكثيرة مثل صناعة النسيج] في بلدات التطوير، تم توجيهها للصناعات العلمية المتطورة، خاصة الصناعات الأمنية [التي تحتاج لمهارات تقنيـة عاليـة وأيـدي عاملة قليلة مثل الصناعات الإلكترونية والكهربائيـة] التـي أقـيم معظمهـا فـي وسـط إسرائيل(٢٢). كما أن الأجر الذي يحصل عليه العامل في المجالات الصناعية المتواجدة فـي بلدات التطوير منخفض بالمقارنة بنظيره في وسط إسرائيل، وتشير الإحصائيات أن متوسط الدخل في بلدات التطوير يعد الأكثر انخفاضًا في إسرائيل(٢٣).

[٢/أ] تدهور الرعاية الصحية: معظم بلدات التطوير بعيدة عن المستشفيات الكبيـرة، كمـا أن العيادات الصحية في هذه البلدات تحتاج إلى أطباء اختصاصيين وأجهزة حديثة، وتزيد نسبة الغرف في العيادات الصحية في المدن الكبرى نحو ٢,٣٥ مرة بالمقارنة بالعيادات الصحية في بلدات التطوير، كما تزيد نسبة الأطباء في عيادات المدن الكبـرى عنهـا فـي بلـدات التطوير، ثلاثة أضعاف؛ لذلك زادت نسبة وفيات الأطفال في بلدات التطوير مرتين ونصـف المرة بالمقارنة بمثيلاتها في المستوطنات الإشكنازية(٢٤).

[٣/أ] انخفاض المستوى التعليمي: يتلقى الأطفال في بلدات التطوير تعليمًا من الدرجة الثالثة من حيث نوعية المدرسة، والكتب، ومؤهلات المدرسين والمستوى التدريسي؛ لذلك تبلغ نسبة التسرب من مجرى الحياة الدراسية أقصاها في بلدات التطوير، ويبين الجدول التالي مدى انخفاض مستوى العملية التعليمية هناك(٢٥):

جدول رقم (٣) "المستوى التعليمي في بعض بلدات التطوير في عام ١٩٨٣"

البلدة	عدد السكان (سن ١٥ فأكثر)	نسبة أصحاب الشهادات الثانوية	نسبة أصحاب الشهادة الجامعية
أوفاقيم	٨,١٨٥	٣٣,٤%	١,٢%
بيسان	٨,١٤٥	٣٠%	١,٩%
يروحام	٣,٨٤٥	٣٣,٥%	٢,١%
سدروت	٥,٧١٥	٣٠,٨%	١,٩%
شلومي	١,٤٠٥	٣٠,١%	١،١%

وبطبيعة الحال تزداد نسب التخلف التعليمي وتتسع الهوة عند مقارنة هذه النسب بنظيرتها في المستوطنات والكيبوتسات الإشكنازية.

[٤/أ] النزوح: تعاني بلدات التطوير من أوضاع اقتصادية وأمنية صعبة، ولذا فإن ظاهرة النزوح منها إلى المدن والمستوطنات تتصاعد باستمرار؛ مما يفاقم حدة أوضاعها الاقتصادية. كما يتضح من كلام البروفيسور "تتان ليتسفيلد" عن ظاهرة النزوح موضحًا خطرها إذ يقول: " لأن أصحاب الكفاءات والمهن الحرة ينزحون من بلدات التطوير؛ لذلك فإن المستويين الاجتماعي والاقتصادي يهبطان باستمرار، فلولا النزوح المتصاعد في أعوام الستينات، لكانت زيادة سكان بلدات التطوير قد بلغت ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن. إن هذه القرى تدهورت وحدتها الطائفية، وإسهامها الوظيفي في اقتصاد البلاد، وتدنى مستواها الاقتصادي والاجتماعي" (٢٦).

وفي تقرير حول ٢١ مدينة تطوير لوحظ أن ٤٠% من سكانها قد غادروها في عام ١٩٦١م، وهو رقم أعلى أربع مرات من المعدل القطري. وأغلب هؤلاء المهاجرين من الشرائح المدربة والأكثر مهارة وتأهيلاً وتعليمًا(٢٧).

ويوضح الجدول التالي نسبة النازحين ونسبة القادمين الجدد من عدد السكان خلال الفترة (١٩٧٨-١٩٨٤م)(٢٨):

جدول رقم (٤) "نسب النازحين والقادمين لبلدات التطوير بالنسبة لعدد السكان (١٩٧٨-١٩٨٤)"

البلدة	سدروت	بيت شان	مجدال هاعيمق	نتيفوت	يروحلم	المعدل لجميع بلدات التطوير
نسبة النازحين	٣٢%	٢٦%	٢٨%	٣٦%	٤١%	٣٧%
نسبة القادمين	١٣%	٢%	١٣%	١٣%	٠,٥%	١٣%

ومن أجل كبح جماح عمليات النزوح عن بلدات التطوير؛ شرع المسئولون في تقديم المساعدات للسكان، ليس لتحسين أوضاعهم المتردية على الدوام، بل لتوفير الحد الأدنى من المعيشة، وهكذا تحول الكثير من سكان بلدات التطوير إلى مجموعة من المحتاجين. كما أقيم في بلدات التطوير صندوقًا للتشغيل، حيث قدم دعمًا للأسر المعوزة وأقرضها مبالغ مالية مقابل أيام عمل أفرادها.وفي الوقت نفسه، تم إرسال الشباب من الجنسين إلى مؤسسات"عليات هنوعر(٢٩) -هجرة الشباب"(٣٠).

[٥/أ] عدم الاستقرار: أدت صعوبة الحصول على سكن مناسب في المدن الكبرى إلى وجود ظاهرة العمل خارج المدينة والسفر الدائم من محل الإقامة إلى محل العمل؛ مما يزيد من ضعف الاستقرار الاجتماعي في بلدات التطوير(٣١).

[٦/أ] الانغلاق الإثني: أدى تجميع يهود المغرب في الأماكن النائية إلى إضعاف اتجاهات الاندماج لديهم ولذلك تعد معدلات الزواج بين أبناء الطائفة المغربية من أعلى المعدلات بين المجموعات العرقية الأخرى داخل إسرائيل.

وتذكر الإحصائيات التي أجريت في بداية الثمانينات من القرن العشرين، أن ٧١% من المغربيين داخل المجتمع الإسرائيلي اقترنوا بزوجات من أصل مغربي، و٨% فقط فضلوا الاقتران بزوجات من أصول أوروبية(٣٢).

(ب) مستوطنات القرى الزراعية

سميت هذه القرى في البداية " قرى التشجير"؛ حينما أرادت المؤسسة الحاكمة تشغيل سكانها في تشجير الجبال، لصالح الصندوق القومي الإسرائيلي وكانت هذه الأعمال جزءا من "أعمال الطوارئ "، وكان الهدف الاقتصادي لإقامة هذه القرى، هو استخدام سكانها كقوة عمل رخيصة تعمل لصالح المستعمرات الإشكنازية. وبسبب انعدام القاعدة الاقتصادية؛ انهارت الأسس التعاونية في هذه القرى، وبلغ عدد التعاونيات التي أفلست نحو ٢٥٠ تعاونية(٣٣).

وقد خصصت معظم المستوطنات التي أنشئت بعد عام ١٩٤٨م لليهود " العرب"، وافتقرت لأية قاعدة اقتصادية، كما أن هناك سلسلة من إجراءات التمييز العنصري ضد سكان هذه القرى لصالح المستوطنات الإشكنازية والكيبوتسات منها: تمييز في مساحات الأراضي الزراعية، وكميات مياه الري، والمخصصات المالية، ووسائل الإنتاج وفي نوعية التربة الزراعية، حيث أقيمت مستوطنات اليهود "العرب" على أراضي صحراوية في النقب أو على أراضي وعرة في الجليل. كما كان تسويق المحاصيل صعبًا لأنها في مناطق نائية، والأرباح قليلة ومصاريف المواصلات كثيرة؛ لذلك أخذ سكان هذه المستوطنات يجدون رزقهم كعمال أجراء خارج القرية فأصبح حوالي ٦١% منهم يعملون كعمال أجراء لصالح الكيبوتسات(٣٤).

(ج)أحياء الحزام الأسود

ومن أبرز المشاكل التي تعتصر سكان أحياء الحزام الأسود: مشكلة السكن: هناك ازدحام سكاني فظيع، فغالبًا ما ترى ثلاثة أجيال تعيش في شقة واحدة "الآباء، والأبناء والأحفاد". مشكلة التعليم: وهناك هوة عميقة بين مدارس هذه الحارات وبين المدارس الإشكنازية. وتتمثل هذه الهوة في نوعية مبنى المدرسة، ومستوى التعليم، وقدرة المدرسين، والعتاد الثقافي مثل المختبرات والكتب وعدد طلاب الصف الواحد. هذا بالإضافة إلى تسرب الكثير من الأطفال من مراحل التعليم المختلفة. البطالة والتسيب: تعد البطالة من أهم أسباب الفقر، بالإضافة لتدني الأجور، وكبر حجم العائلة، وتدهور الأحوال السكنية وقلة المؤهلات التعليمية. كما أن هناك آلاف من الشباب لا تعمل ولا تدرس وترفض الخدمة في الجيش. حالة النساء والبنات: تحولت معظم النساء والبنات لجيش جرار من الخادمات في البيوت، وعاملات في المصانع والمزارع بوصفهن قوة عمل مؤقتة، وموسمية ورخيصة(٣٥).

ووصف تقرير أعدته صحيفة هاآرتس، الأوضاع الاجتماعية المتردية التي يعاني منها سكان حي "عالياه" في يافا، مما دفعهم لإعلان الرغبة الملحة في النزوح عن إسرائيل، ومما جاء فيه: "مررنا مثلاً على مسكن كانت تقطنه خمس عائلات في ازدحام مخيف، والخدمات مشتركة للجميع، ساهمت الرياح في إيجاد ثقوب كبيرة في جدران البلوك، يحاول الساكنون سدها بالخرق البالية وبأوراق الصحف" كما أشار التقرير إلى قول أحد الشيوخ " لو كنت شابًا سليم الجسم لهربت من هنا، أما الآن بعد أن أصبحت عجوزًا ضعيفًا لا يسعني سوى أن أشجع الشباب على الهرب من هنا إلى مراكش، إذا أمكن ذلك"(٣٦).

ويلاحظ أن الأوضاع السكنية بصفة عامة ليهود المغرب داخل إسرائيل، قد اتسمت بالتدهور والتردي، وبتدني مستوى المعيشة وعدم توفر الخدمات الأساسية. ودفعت هذه الأوضاع السلبية معظم يهود المغرب؛ للتشبث بأهداب الماضي المغربي، والاعتزاز بهويتهم المغربية وببلدهم الأصلي الذي نعموا فيه بأوضاع أفضل مما هم عليه الآن في إسرائيل.

(٥)التعليم

تشير الإحصائيات المختلفة إلى انخفاض المستوى التعليمي للطوائف اليهودية السفاردية ومن بينها يهود المغرب، هذا بالإضافة إلى إشكالية التسرب من التعليم

ويلاحظ أن أسباب فشل يهود المغرب النسبي في مجال التعليم لا تكمن في قدراتهم الذاتية، لكن الأمر يرجع في الدرجة الأولى لانخفاض مستواهم المعيشي، وسوء أوضاعهم السكنية وللتوجهات العامة للمؤسسات التعليمية التي تولي رعاية خاصة لمدارس الإشكناز أبناء الكيبوتسات، بينما تعاني مدارس اليهود الشرقيين من الإهمال وتأخر العملية التعليمية.

ومن الجدير بالذكر، أن الهوة التعليمية تزداد اتساعًا بين أبناء الجيل الثاني المولود في إسرائيل؛ مما يدحض الادعاء المألوف بأن هؤلاء الأطفال هم نتاج بلاد جاهلة وبيوت لا تدرك أهمية التعليم. ويشير الواقع إلى وجود عجز تربوي وفشل في سياسة التعليم، حيث لا يقتصر الأمر على هذه الفجوة بين أبناء الإشكناز والسفاراد المولدين في إسرائيل، بل توجد فجوة بين أبناء السفاراد المولدين في إسرائيل وبين آبائهم المولدين في بلادهم الأصلية، وهذه الفجوة لصالح الآباء.

ودليل ذلك أن نسبة يهود " البلاد الإسلامية " المولدين في إسرائيل بين حاملي شهادة الدكتوراه لعام ١٩٨٤م هي صفر في المائة، على حين أن نسبة آبائهم المولدين في البلدان العربية والإسلامية ٦,٧%. ونسبة أصحاب شهادة الماجستير هي ٢% مقابل ٥,٨%. ونسبة ذوي شهادة البكالوريوس هي ٧,٦% مقابل ١١,١%(٣٧).

(٦)الأمراض الاجتماعية

أصبح العنف والإجرام، وغيرهما من الأمراض الاجتماعية، مرادفات ملاصقة لمسمى يهودي مغربي داخل المجتمع الإسرائيلي. لكن هذا العنف نشأ داخل المجتمع الإسرائيلي ولم يكن سمة أصيلة في الشخصية اليهودية المغربية، حيث إنه جاء نتيجة للأسباب التالية: تحطم عالم الخلاص الوهمي والحلول والآمال المنشودة التي تخيلوا وجودها في إسرائيل، واتساع

الهوة بينهم وبين الإشكناز، وانخفاض مستوى المعيشة وعدم الاستقرار في العمل، وما خلفته عمليات الصهر الإجباري والقهر الثقافي من الإحساس بالغربة والانكسار. وقد تم التعبير عن نموذج "العدوانية" رمزيًا بمسمى "مغربي أبو سكين أو مغربي مجرم".

ومع أن الجالية المغربية ممثلة تمثيلاً زائدًا عن الحد في السجون الإسرائيلية، فإنها أيضًا ممثلة وبكثافة في قوات الشرطة. وفي الواقع، إن الصورة النموذجية للشرطي في إسرائيل هي صورة اليهودي المغربي، أي ما يشبه، إلى حد بعيد، الصورة النموذجية للشرطي الأيرلندي في شمال شرق الولايات المتحدة. كما أن للجالية المغربية، شأن الأيرلنديين في الولايات المتحدة، حضورًا قويًا في الحياة السياسية الإسرائيلية(٣٨).

(٧)النزوح عن إسرائيل

أثرت تجربة الاستيعاب المريرة وأساليب التمييز الطائفي بالسلب على قطاع كبير من يهود المغرب، وبدأت تراودهم الرغبة العارمة في النزوح عن إسرائيل إلى فرنسا أو المغرب أو إلى أي بلد آخر، خاصة مع فتح المغرب أبوابها أمام اليهود، حيث يعد يهود المغرب أكثر الطوائف اليهودية نزوحًا عن إسرائيل والعودة لوطنهم الأول "المغرب".

وفي هذا الصدد أشارت إحدى الصحف الإسرائيلية الصادرة في ١٩٧٦/١١/١٢م إلى "أن أكثر من ألف يهودي من مواليد المغرب عادوا إليها في هذه السنة، كما يستعد بضع مئات للعودة في الأشهر القريبة". "وأن هذا الحدث لم يشمل فقط اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل ولكن اليهود الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة". وعبر يهود مغاربة آخرون عن ضيقهم من العيش في إسرائيل. وخطط رؤساء عائلات تضم ٦٠ شخصًا لتصفية وجودهم المالي والعودة إلى المغرب ليس بسبب الظروف الاقتصادية فقط، وإنما لكونهم-كما يقول أحدهم-عوملوا "كمواطنين من الدرجة الثالثة" وتعرضوا للتمييز، وقال آخرون "بقينا لا نملك عشر ما أعطي للسود في الولايات المتحدة"(٣٩).

وجاءت عمليات النزوح هذه، في إثر الأخبار الإيجابية التي وصلتهم عن أوضاع أقاربهم في المغرب والمعاملة الحسنة والوضع المتميز الذي يتمتعون به في المغرب، ونتيجة طبيعية لترحيب البلاط المغربي والحكومة المغربية بعودة اليهود إلى المغرب مرة أخرى.

وقد ذكر تقرير مراسل "الاسوشيتد برس" [وكالة الأنباء الأمريكية] حول أوضاع اليهود الذين عادوا من إسرائيل إلى المغرب، ونشرته صحيفة "معاريف" في ١٩٧٧/٣/١٣م: "أن الشعب المغربي يظهر عطفًا واضحًا تجاه اليهود العائدين من إسرائيل إلى المغرب(٤٠)".

(ثانيًا): الواقع السياسي

(١) موقف دوائر صنع القرار

لا يختلف الواقع السياسي ليهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي كثيرًا عن أقرانهم من أبناء الطوائف السفارادية، لكن ما يتميز به يهود المغرب في هذا الصدد، هو الآراء المسبقة والتحامل الواضح الذي عبر عنه المجتمع الإسرائيلي بأشكال متعددة، ومن أبرزها: آراء الزعماء والساسة والصحفيين الإسرائيليين تجاه هؤلاء المهاجرين الجدد مع بداية تدفقهم، خاصة خلال حقبة الخمسينات من القرن العشرين، كما يتضح فيما يلي:

(أ) آراء بعض الزعماء السياسيين

قال عنهم "دافيد بن جوريون": في لجنة الدستور التابعة للكنيست الإسرائيلي في ١٩٤٩/٧/١٣م–إن المراكشيين "وحوش بشرية". وقال في ١٩٥٦م إن اليهود المغاربة " ليس لهم حضارة، إنهم متأثرون بالعرب، ونحن لا نريد هنا ثقافة مغربية". وفي عام ١٩٥٩م– بعد انتفاضة اليهود العرب في "وادي الصليب" بحيفا، وصف "بن جوريون" اليهود المغاربة بأنهم "طائفة بدائية"، واتهمهم بالتعاطف مع "الخارج على القانون واللص والقواد أو القاتل"(٤١).

وحتى التصريحات الصادرة في صالح يهود المغرب ظاهريًا، تتحدث عنهم وكأنما تتحدث عن مجموعة من الخيول القوية وليس عن مجموعة من البشر، ومن ذلك ما قاله " شمعون بيرس" الذي كان يشغل حينئذ منصب مدير وزارة الدفاع، في الاجتماع الاحتفالي الذي عقد في ١٩٥٩/٩/١٤م بمناسبة مرور عشر سنوات على الهجرة من شمال إفريقيا: "يتميز يهود شمال إفريقيا بحيوية جسمانية...وحرارة قلب. هذه الصفات جعلتهم جنودًا مخلصين جيدين". وقالت عنهم شخصية أخرى: "إن البحث الطبي الذي أجري على هذه الطائفة يعترف بسماتهم الخاصة التي يتمتعون بها: طاقة جسمانية هائلة أكثر من أي طائفة أخرى"(٤٢).

(ب) آراء بعض الصحفيين

جاء معبرًا كل التعبير عن هذا التحامل الطائفي ما نشرته الصحافة الإسرائيلية من مقالات كثيرة تستخف وتستهزئ بهذه الطائفة، وتندد بأوضاعهم وقدراتهم وتصرفاتهم. ومن أبرز المقالات اللاذعة التي أثارت جدلاً كبيرًا ما كتبه "أرييه جلبلوم"، أحد الكتاب الإسرائيليين الإشكناز، في صحيفة هاآرتس ١٩٤٩/٤/٢٢م، التي يصف فيها المغاربة قائلاً:

"إنها هجرة من جنس لم نعرف له مثيلاً في هذا البلد...أمامنا شعب تصل بدائيته إلى القمة، ومستواهم الثقافي يتاخم الجهل التام. والأخطر من هذا عدم قدرتهم على استيعاب أي شيء عقلي. وبصفة عامة، يرتفعون بقدر ما عن المستوى العام للسكان العرب، والزنوج والبربر في بلادهم...ويفتقد هؤلاء اليهود لجذور يهودية. وفي مقابل ذلك، إنهم غارقون تمامًا في لعبة الغرائز البدائية والوحشية...معظمهم مصابون بأمراض خطيرة في العيون، وبأمراض جلدية وجنسية، كل هذا بالإضافة لعمليات السطو والسرقة، والكسل المزمن وكراهية العمل...ماذا سيحدث لهذه البلد إذا أصبح سكانه مثل هؤلاء ؟ (٤٣)".

وربما ينبع الخوف هنا من تلاشي الطابع الغربي المميز للمجتمع الإسرائيلي أمام هذا الطوفان الطاغي من الهجرات اليهودية القادمة من بلاد الشرق، والخوف من الغرق في بحر من الثقافة الشرقية "المتخلفة" – كما يزعم المسئولون الإسرائيليون.

(٢) احتجاج يهود المغرب

ولأن التمييز الطائفي ضد يهود المغرب كان أشد قسوة وأكثر ألمًا، فقد جاء رد فعلهم تجاه هذه الممارسات التي دأبت السلطة الإشكنازية المتحكمة على ممارستها ضدهم، وضد أقرانهم من أبناء الطوائف اليهودية الشرقية، في أشكال احتجاجية ذات طابع يتسم بالعنف. ولعلهم في هذا الصدد أول من شق عصا الطاعة من بين الطوائف اليهودية الشرقية المهاجرة لإسرائيل(٤٤)، في محاولة منهم للتنفيس عن حنقهم وغيظهم، آملين أن يحدث هذا الاحتجاج خلالاً يغير من هذه التوجهات، فبقدر ما يكون الحلم في الخلاص أكثر طوباوية يكون السقوط منه أكثر مأساوية، ومن أبرز مظاهر الاحتجاج المغربي ما يلي:

(أ) أحداث وادي الصليب

بدأت أحداث وادي الصليب في حيفا في ١٩٥٩/٧/٨م مساء. عندما أثار "يعقوف القريف"، وهو من مهاجري المغرب، اضطرابًا نتيجة لسكره في أحد مقاهي حي الصليب، فأصيب وجرح من جراء إطلاق النار عليه من قبل الشرطة(٤٥). فقام المغاربة الذين يسكنون في هذه الحارة الفقيرة بمظاهرات احتجاجية بقيادة "دافيد بن هاروش" المغربي الأصل [زعيم تكتل مهاجري شمال إفريقيا]، ودمر المتظاهرون المقر المحلي للهستدروت، ثم خرجوا من وادي الصليب واندفعوا في موجه إنسانية هائلة نحو أحياء اليهود الإشكناز [في جبل الكرمل] وشرعوا يحطمون شبابيك المحلات التجارية في الشوارع الرئيسة(٤٦).وقد انتشرت أعمال العنف في

معظم أحياء اليهود السفاراديم، وقامت الجماهير بمظاهرات عفوية وبأعمال تخريبية وأشعلوا النار في المباني الحكومية، وقدرت الخسائر المادية بالملايين(٤٧).

وفي ذلك اليوم وزع السفاراديم منشورًا جاء فيه: "بالأمس شاهدنا ما ينتظرنا في المستقبل. جيراننا يحققون ثراء على حسابنا ويبنون الفيلات الفخمة على جبل الكرمل. لن نسكت لهم. سنثأر لدمنا". وفي هذه الاضطرابات أصيب نحو ١٣ شرطيًا، وتم اعتقال نحو ٣٤ متظاهرًا، وكانت هذه بداية الاضطرابات العامة، حيث وقعت حوادث كثيرة في المدن الأخرى(٤٨).

وقد عبّرت هذه المظاهرات عن المرارة التي يشعر بها اليهود السفاراديم تجاه تعامل السلطة معهم؛ إذ كانت أولى أعمال الاحتجاج ضد السلطة الإشكنازية؛ إلا أنها نظرت إليها على أنها "أعمال عنفٍ ذات دوافع جنائية وليس لها خلفيات سياسية-اقتصادية".

وقالت اللجنة التي جرى تعيينها في أعقاب ذلك لدراسة الحادث [برئاسة القاضي موشيه عتسيوني عضو المحكمة الإسرائيلية العليا آنذاك] إن الأسباب الحقيقية وراء أعمال الشغب تكمن في وجود فجوة اجتماعية بين الإشكناز والسفاراد، وأن حياة السكان السفاراديم، " تتصف بالبطالة وعدم توفير السكن المناسب، وبقليل من فرص التقدم، إلى جانب مواقف معادية لهم من جانب المسئولين(٤٩)"، وقدمت اللجنة توصيات مفصلة عن كيفية رأب هذا الصدع، وطالبت بضرورة إنهاء هذا الشعور بالتحامل والتمييز، لكن الحكومة تجاهلت هذه التوصيات، واستمر اليهود السفاراديم يعانون من التمييز وتردي أوضاعهم في مختلف مناحي الحياة.

ولم يكن هذا الحادث البسيط يستدعي كل هذه الاضطرابات، لكن بسبب مشاعر الحقد الدفينة والمعاناة المستمرة، ومظاهر التمييز الواضحة؛ انفجر غضب سكان الأحياء الفقيرة ذات الأغلبية المغربية. ولعل أبرز مظاهر التمييز التي تنتهجها السلطات الإسرائيلية تجاه السفاراديم، وكان لها الأثر الواضح على اضطرابات وادي الصليب وغيرها، هو قيام الحكومة الإسرائيلية بمنح منازل سكنية "جيدة ومريحة للمهاجرين الإشكناز؛ في حين أن مئات الآلاف من اليهود السفاراديم ما زالوا يعيشون – منذ عام ١٩٤٨- في مخيمات قذرة وبيوت متداعية...وقد اعتبر السفاراديم هذه التفرقة بمثابة استفزاز عنصري ضدهم(٥٠)". فكأنما كان حادث إطلاق النار على يهودي سفارادي بمثابة الشرارة التي أضرمت النار في نفوس سكان الأحياء الفقيرة ذات الأغلبية السفارادية، ووجدوا في هذه الواقعة الفرصة المناسبة للإعراب عن مشاعر الحقد الدفينة والمعاناة المستمرة من مظاهر التمييز الواضحة ضدهم.

وقد جاءت أحداث وادي الصليب ببعض الآثار الإيجابية، ومن أبرزها: وضع حد نهائي لاستراتيجية الحكومة الإسرائيلية الرامية إلى وضع السفارديم على الهامش، إذ بدا في الواقع بعد عصيان وادي الصليب، أن روح المعارضة السفاردية لا يمكن إضعافها ولا يمكن وضعها على الحياد في المجتمع(٥١). كما أدى هذا الحادث إلى عدول جزء من أبناء الطبقة البرجوازية اليهودية السفاردية في الخارج عن الهجرة إلى إسرائيل(٥٢).

(ب) مظاهرات الفهود السود

ظهرت حركة الفهود السود قبل ظهور الحركات الاجتماعية الجديدة-ذات الصفوة الأكاديمية والثقافية، وأعلنت احتجاجها على المؤسسة الحكومية، خاصة العمالية وعلى رأسها "الهستدروت- اتحاد نقابات عمال إسرائيل"، لافتقادها القدرة على معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة التي يتعرض لها السفارديم.

وكان الفهود السود أول من طالب بحقوق السفارديم المهضومة ورفع مظاهر التمييز ضدهم، وفهموا أن تدفق الهجرة اليهودية والعمل على استيعابها والتكاليف الأمنية للصراع العربي الإسرائيلي تأتي على حساب النواحي الاقتصادية والاجتماعية للطوائف السفاردية(٥٣).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المشاكل الجوهرية لم تكن محط اهتمام مناسب من قبل الحركات الأخرى، حتى تلك التي تكونت بعد ذلك مثل حركة "داش(٥٤)" مثلاً، التي كانت تسعى لتنفيذ إصلاحات سياسية وقانونية وليس اقتصادية واجتماعية. كما أن الحركات الاجتماعية التي تنتمي لليسار ركزت على علاقات الدولة مع كل مواطنيها من الناحية القانونية والإدارية فقط (٥٥).

[١/ب] أسباب ظهور الفهود السود

تكاتفت عدة عوامل لأخرجت هذه الصرخة المدوية المسماة "بالفهود السود" التي خرجت من أحياء الفقر ذات الكثافة اليهودية المغربية، مثل حي "المصرارا" وحي "القطمون" في القدس، ومن أبرز هذه العوامل ما يلي:

- الهدوء والسلام : في شهر مارس من عام ١٩٧١م، خرجت إسرائيل منهكة مترنحة من "حرب استنزاف" قاسية امتدت ثلاثة أعوام طويلة، خسرت خلالها العديد من البشر والكثير من القوة، وبانتهاء تلك الحرب تنفست البلاد الصعداء واندفعت بتلقائية نحو رخاء اقتصادي لم يسبق له مثيل، وقد أدى ذلك التزايد في النمو الاقتصادي إلى خلق طبقة جديدة من "الأثرياء

الجدد" الذين اندفعوا بجنون نحو المضاربة العقارية والعمليات المالية المريبة، التي ظهرت آثارها بعد بضعة أعوام، كما برز في الوقت نفسه التضخم المالي، فأظهر عدم المساواة الاجتماعية(٥٦). وهذا الهدوء النسبي، والركود المؤقت على جبهات القتال، والنهضة الاقتصادية القوية أوجد نوعًا من السلام والاندفاع نحو مناقشة المشاكل الدلخلية، وبالتالي ظهور التميز والتوترات الطائفية على السطح.

وصرح "دافيد بن جوريون" منذ أمد طويل قائلاً: " لكي يصبح بالإمكان إنشاء قومية متجانسة من هؤلاء النازحين من مختلف منافي الأرض يتوجب على الشعب أن يحافظ على الحالة النفسية لقوم محاصرين في أحد الحصون". فمن وجهة نظرة أن حالة الحرب يجب أن ترص صفوف اليهود وتردم الحفر التي تفصل بين المجموعات المختلفة، والأبعد من ذلك فإن (الفارق الاجتماعي) كما يحلو لهم أن يطلقوا عليه سيظهر أكثر من أي وقت مضى. فهناك نوع من الخوف سيزداد مع مرور السنين، فإذا ساد السلام مع "العدو الخارجي" فإن تماسك شعب محاصر سينهار، وتصبح حرب الطبقات وثورة الطبقات الكادحة عنيفة مدمرة(٥٧).

- **الاهتمام بالهجرة الروسية**: استقبلت الحكومة والوكالة اليهودية في مارس عام ١٩٧١م بحفاوة عظيمة–الموجة الأولى من المهاجرين الروس الإشكناز، ومنحتهم المنازل المريحة المزودة بأحسن الأثاث، وأعطتهم الوظائف الراقية حسب مؤهلاتهم المهنية. وأخذت رئيسة الوزراء: جولدا مائير(٥٨)- وهي من أصل روسي- تسرع إلى مطار اللد أيام الاثنين والخميس بعينين مغرورقتين بالدموع يتلعثم لسانها ويرتجف صوتها بالخطب الرنانة! وكانت تقول عن هؤلاء اليهود: "إنهم يهود حقيقيون، كنا ننتظرهم منذ ٢٥ سنة، إنهم ناطقون بالييدشية...إنهم ينتمون إلى شريحة متفوقة ستقدم لنا أبطالاً " (٥٩)، ولم تعد البلاد تتحدث إلا عن "يهود الصمت" وأصبح توقيت الصحافة برمتها تابعًا للساعة السلافية(٦٠).

وقد أثار هذا الترحيب الحار، والحفاوة البالغة استياء وحقد اليهود السفارديم، وخاصة أنهم شعروا بأن المهاجرين الروس الجدد جاءوا ليسلبوا حقهم المنقوص.

- **عوامل خارجية**: تأثر هؤلاء الشبان بالانتفاضات الشعبية التي قام بها السود في أمريكا وجنوب إفريقيا وبلدان العالم الثالث ضد العنصرية والاستعمار. فقد اجتاحت ثورة من الغضب والتطرف المواطنين السود في أمريكا من نيويورك في الشرق إلى كاليفورنيا على الساحل الغربي؛ في إثر اغتيال الزعيم الأمريكي ذي الأصل الإفريقي «مالكولم إكس» عام ١٩٦٥، الذي رفع شعار «القوة السوداء» منددًا بالتمييز العنصري ضد السود في أميركا،

ومن رحم هذا الغضب خرج حزب «الفهود السود- البلاك بانترز» للدفاع عن النفس، وأعلن قيامه رسميًا في عام ١٩٦٦ في مدينة أوكلاند بولاية كاليفورنيا. وقد رفع الحزب السلاح في وجه السلطات المحلية وانتشر كالنار في الهشيم في أوساط الشباب السود، وخلال عام واحد نجح في إنشاء فروع له في نيويورك وشيكاغو وفي الجنوب الأمريكي. وطرح الحزب برنامجًا من عشر نقاط، تدور حول المطالبة بالحرية والمساواة ووقف مظاهر العنف وتوفير حياة كريمة للسود، وقد تحولت هذه النقاط إلى كتاب مقدس لدى الشباب الأمريكي من أصل إفريقي([61]).

ولقي الفهود السود الأمريكيون تعاطفًا بين جماعات من البيض تؤمن فعلاً بمبادئ حقوق الإنسان، وهو ما انعكس على الحزب فانتقل من العمل المسلح إلى العمل السياسي الميداني، واعتمد على تنظيم المجتمع المدني الأسود، فبدأ حملات اجتماعية، كما تبنى الحزب برامج أكثر شمولاً، فأقام العيادات الطبية في المعازل السوداء، وأنشأ فرقًا مدنية لمكافحة الجريمة وتجارة المخدرات، وانتقلت قياداته من محاربة السلطة إلى محاولة المشاركة فيها، وفي عام ١٩٧٣ رشح أحد مؤسسيه وهو "بوبي سيل" نفسه لمنصب العمدة في مدينة أوكلاند وحصل على ٤٠% من أصوات الناخبين([62]).

وقد تأثرت حركة الفهود السود السفارادية الإسرائيلية بحركة الفهود الزنجية الأمريكية، ويلاحظ وجود الكثير من نقاط التماس بين الحركتين الأمريكية والإسرائيلية، خاصة في دوافع وأسباب النشأة وفي مراحل التطور والنضوج- كما سيتبين لاحقًا. وقد كانت البداية عندما أطلق اليهود السفارديم المحتجون على أنفسهم اسم "الفهود السود" تضامنًا مع السود في أمريكا، ولأنهم يؤمنون بأنه ليس ثمّ أي فرق مبدئي بين التمييز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة والتمييز العنصري ضد اليهود السفارديم في إسرائيل.

وقد "ساعد" المستوطنون الإشكناز هؤلاء الشبان على الوصول إلى "الوعي" الصحيح بتسميتهم لهم بأسماء عنصرية مثل: أسود...شفارتسي...عربي...إلخ؛ بسبب بشرتهم الشرقية السمراء. وقال "كوخافي شيمش"، وهو " أحد الفهود السود": "إن للفهود السود اختاروا هذا الاسم لأنه يسبب صدمة"(٦٣).

[٢/ب] احتجاج الفهود السود

يمكن تقسيم التاريخ النضالي لحركة الفهود السود إلى مرحلتين رئيستين: الأولى مرحلة الاحتجاج التظاهري، والتي بدأت من مارس ١٩٧١م، التي وصفها الباحثون بأنها مرحلة

انتقالية تحول فيها الفهود من جماعة خرجت من الشارع إلى حركة احتجاج اجتماعي، والثانية مرحلة العمل السياسي الرسمي في إطار الأحزاب الإسرائيلية المختلفة، التي بدأت من مارس ١٩٧٣م، حاول فيها زعماء الفهود السود تبني المطالب التي تركز على تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لأبناء الجاليات اليهودية السفاردية (٦٤).

• **مرحلة الاحتجاج الاجتماعي- مظاهرات الفهود السود**

وقد تم إنشاء هذه الحركة على أيدي مجموعة من الشباب المسحوق، وأكثرهم لم يؤد الخدمة العسكرية،وهم من سكان الأحياء الشعبية الفقيرة في القدس.إذ تنظم هؤلاء الشباب بادئ الأمر في إطار نادي "همرتيف- القبو" الذي أنشأته بلدية القدس لجمع شمل الشباب التائهين(٦٥).

وبدأت الأحداث في ١٩٧١/٣/١م، عندما طلب الفهود السود من الشرطة السماح لهم بالتظاهر سلميًا- أمام بلدية القدس- ضد التمييز العنصري؛ فأتى القرار من رئيسة مجلس الوزراء: "جودا مائير"-بكلمة "لا" قاطعة، وبدون أي تعليل. وفي مساء اليوم نفسه، قام رجال الشرطة بحملة اعتقالات استفزازية ضد حركة الفهود السود ومؤيديها في القدس. وفي يوم ١٩٧١/٣/٣م، قامت التظاهرة وسجلت نجاحًا باهرًا؛ فقد انضم إليها طلاب يساريون ومتسكعون، وبلغ مجموع المتظاهرين أمام البلدية ٥٠٠ شخص، ودوى الهتاف "أطلقوا سراح السجناء" ثم أطل رئيس البلدية: "تيدي كوليك" من الشرفة بثياب النوم وتوجه إلى المتظاهرين مستهزئًا: "تظاهروا إن شئتم، ولكن لا تدوسوا بأقدامكم على أعشابي". وقامت الحكومة في اليوم التالي للتظاهرة بحملة "ابتسامات" أبوية بهدف معالجة هؤلاء "الأولاد غير الظرفاء"-كما سمتهم "جولدا مائير" في أثناء مقابلتها إياهم، ولأخذت تلاطفهم وتداعبهم كأنهم أولاد وهي الأم الحنون(٦٦).

وهذه هي سياسة الوصاية المتبعة تجاه السفارديم، ومعاملتهم على أنهم أنصاف بشريين يفتقرون للحد الأدنى من التمييز العقلي؛ لذلك يحتاجون دائمًا إلى النصح والتوجيه والإرشاد.

وأخذت صيحات الفهود تتعالى منددة بمظاهر التمييز التي يعانون منها هم وإخوانهم، داخل مجتمع يدعي أنه "واحة للديمقراطية" في منطقة عربية غارقة في بحر من الديكتاتورية. ومما نادى به الفهود، حسبما جاء على لسان أحدهم وهو "شلومو مالكا": "عوضًا عن أن تزجوا بنا في السجون، ثقفونا. متى سيصبح حي أبو الطبول مثل حي فيجين؟...إلى متى سننام كل عشرة أشخاص في حجرة واحدة؟ إلى متى سنجتر آلامنا بصمت؟. لن نتمكن من فعل شيء ونحن

منقسمون متفرقون... من ذا الذي يعيش من الفضلات؟ نحن اليهود الشرقيون، من ذا الذي لا يملك المساكن اللائقة؟ نحن اليهود الشرقيون. من ذا الذي يرتاد المدارس التي تدعو إلى الرثاء؟ نحن اليهود الشرقيون. بمن تكتظ السجون؟ بنا نحن أيضًا"(٦٧).

وهكذا تحول الهمس إلى صراخ، وتحولت صرخات الاستغاثة الصادرة عن حي المصرارا وحي القطمون إلى استعراض جماهيري في القدس وإلى اصطدامات دموية بين الفهود وقوات الشرطة، وإلى إلقاء قنابل المولوتوف. إن الشرارة التي اندلعت في حي المصرارا أدت إلى إضرام النار في جميع الأحياء الفقيرة (٦٨).

وقد قام الفهود السود في يوم ١٨/٥/١٩٧١م بإحدى المظاهرات الكبرى؛ حيث اعتقلت الشرطة ٢٦٠ متظاهرًا، واستعمل البوليس الهروات، ودامت المظاهرة سبع ساعات ونصف الساعة، واستطاع الجمهور رؤية وحشية الشرطة في أعمالها القمعية. استمرت مظاهرات الفهود طيلة صيف ٧١. ففي يوم ٢٣/٨/٧١؛ جرت كبرى المظاهرات، أشترك فيها ٦ أو ٨ آلاف شخصاً، وحرقت في أثنائها صورة رئيسة الوزراء جولدا مائير، وحدثت فيها صدامات دموية خطيرة بين المتظاهرين وقوات الأمن، أدت إلى جرح واعتقال الكثير وإبقائهم في السجون لمدد طويلة. وبعدها؛ نظم الفهود تظاهرة عند انعقاد المؤتمر السنوي للجمعية الصهيونية العالمية في القدس، وحاصروا بناية المؤتمر(٦٩).

وفي مايو من عام ٧٢؛ استولى الفهود على قناني الحليب التي كانت توزع على بيوت أغنياء الإشكناز في حي رلحفيا، ووزعوا الحليب على فقراء اليهود من السفارديم في حي كريات هايوبيل. وحملوا نعشًا وطافوا به شوارع القدس في مسيرة جنائزية طويلة وهم يرددون «سندفن الهوة الاجتماعية والكراهية» (٧٠).

وقام الفهود السود بفتح مكتبًا خاصًا بهم يتوجه إليه سكان الأحياء الفقيرة لطرح مشكلاتهم اليومية والحياتية، وقد ركز الفهود السود على الجوانب الاجتماعية وعلى إبراز التمايز بين الإشكناز والسفارديم، مطالبين بضرورة تحسين أوضاع السفارديم. وقد أكسبتهم هذه المطالب شعبية وتأييدًا إيجابيًا في أوساط سكان الأحياء الفقيرة السفارديم.

يمكن تلخيص أبرز مطالب الفهود السود للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فيما يلي: (١)إنعاش الأحياء الفقيرة والأكواخ القذرة؛ (٢)تعميم التعليم المجاني من رياض الأطفال حتى الجامعة؛ (٣)تدبير السكن المجاني لكافة الأسر الفقيرة؛ (٤)إغلاق إصلاحيات الأحداث

والجانحين وإقامة معاهد زراعية ومهنية لهم؛ (٥)إحداث زيادة عامة في أجور أربـــاب الأســـر متعددة الأفراد؛ (٦)إيجاد تمثيل كامل للسفارديم في جميع الإدارات([٧١]).

- **مرحلة الاحتجاج السياسي - مشاركة الفهود في الأحزاب السياسية**

حاول زعماء الفهود وعلى رأسهم "شارلي بيطون"، و"شلومومالكا"، و"سعديا مرتسيانو" و"كوخافي شيمش"، وهم من الآباء المؤسسين للفهود السود، استغلال تعاطف الطوائف اليهودية السفاردية المسحوقة معهم لدخول معترك الحياة السياسية لعلهم يستطيعون تحقيق بعض آمالهم المنشودة. وقد أدى انتقال الفهود السود من مرحلة الاحتجاج الاجتماعي ذي الطابع التظاهري إلى مرحلة العمل السياسي الحزبي إلى حدوث انقسامات بين صفوف الفهود السود أنفسهم، كان من أبرزها انقسام الفهود إلى جناحين رئيسين، وذلك مع بدء الإعداد لانتخابات الكنيست الثامن عام ١٩٧٣م.

فقد قرر الفهود السود [الجناح الثوري بزعامة سعديا مرتسيانو] خوض المعركة السياسية قبيل انتخابات الكنيست الثامن، فاتحدوا مع حركة "ديموقراطيون إسرائيليون" بزعامة "شالوم كوهين(٧٢)"- إثر انفصاله عن حزب "هاعولام هانيه- هذا العالم" بزعامة " أوري أفنيري(٧٣)". وكان من نتاج هذا التحالف تكونت قائمة "الفهود السود- ديموقراطيون إسرائيليون"(٧٤). وخاضت هذه القائمة انتخابات الهستدروت في منتصف سبتمبر عام ١٩٧٣م، فحصلت على نحو ١,٧٦% من الأصوات وبذلك فازت بنحو ٣ مقاعد في اللجنة التنفيذية و٢٨ مندوبًا في سبع لجان عمالية محلية. لكنها لم تتمكن من تحقيق نسبة الحسم في انتخابات الكنيست من هذا العام نفسه(٧٥).

بينما أقام الفرع المعتدل من الفهود السود منظمة "فهود إسرائيل"، ويؤمن هذا الفرع بالعمل السياسي داخل إطار المؤسسة الصهيونية(٧٦). وقد تزعم هذه المنظمة كل من "عادي مالكا" و"كوخافي شيمش"(٧٧).

وعشية انتخابات الكنيست التاسع عام ١٩٧٧م، انقسم الفهود السود مرة أخرى إلى أربع هيئات:

- "الفهود الصهيونيون" بزعامة "فيكتور تيار"؛
- "حوفيش- حرية"، اختصارًا لكلمات"جبهة العمال والأحياء السكنية"، بزعامة "شالوم كوهين" – الأمين العام لحركة الفهود السود و"يهوشوع بيرتس"،وهو نقابي من أصل مغربي(٧٨)؛

- انضمام "سعديا مرتسيانو " إلى جبهة السلام "شيلي- السلام لإسرائيل"(٧٩)؛
- وانضم "شارلي بيطون" و"كوخافي شيمش" إلى"راكاح- القائمة الشيوعية الجديدة"(٨٠)، وشكلوا حركة "حاداش(٨١)- الجبهة الديمقراطية من أجل المساواة والسلام"(٨٢). ووضع "شارلي بيطون " في المرتبة الثالثة لهذه القائمة الانتخابية؛ فعين نائبًا في البرلمان، وبقيت منظمة "شارلي بيطون" تدعى "منظمة الفهود السود"(٨٣).

وقد أدى تفرق زعماء الفهود السود بين مختلف التيارات السياسية؛ إلى تفتت قوة الحركة، وإلى إضعاف تأثيرها لدرجة أن زعماء الفهود لم يتمكنوا من تحقيق أي نصر سياسي يذكر- سوى "شارلي بيطون" الذي نجح في انتخابات علم ١٩٧٧م وانضم للكنيست الإسرائيلي التاسع.

وعلى هذا؛ تعد مرحلة الاحتجاج الاجتماعي للفهود السود أكثر تأثيرًا وجدوى من مرحلة الاحتجاج السياسي، التي كان لها تأثير محدود مقارنة بما أحدثه مظاهرات الفهود السود الصاخبة؛ نظرًا لتفتت قوى الفهود السود، وسعى كل واحد من الآباء المؤسسين لتحقيق مجده الشخصي.

وقد واصل كثير من جموع الفهود السود مظاهراتهم وعملياتهم الاحتجاجية، ففي ٧٩/١١/١١ اقتحموا إحدى مستوطنات الضفة الغربية واحتلوها لفترة قصيرة، وبالرغم من أنهم لم يستخدموا الأسلحة النارية؛ فقد تمكنوا من تجريد المستوطنين الإشكناز أعضاء حركة «جوش إيمونيم» من سلاحهم. وجاء ذلك احتجاجًا على إلغاء الحكومة الإسرائيلية الدعم المالي للمواد الغذائية واستمرار التضخم المالي(٨٤).

وفي ٨٠/٣/٢٣؛ قالت صحيفة هاآرتس إن الفهود اقتحموا مكاتب وزير العمل والتأمين الاجتماعي «يسرائيل كاتس»، وتركوا فيها ثمانية أرانب؛ احتجاجًا على عدم مساعدة الفقراء. ثم قام اليهود السفاراديم في حي عزرا وحي هاتكفا وحي هاأرجازيم في تل أبيب بمظاهرة عنيفة يوم ٨١/٤/١٤؛ إثر قيام البلدية بهدم أربعة منازل، وتمكن المتظاهرون من إحراق المحلات التجارية وأملاك البلدية.

وذكرت صحيفة هاآرتس، ٨٠/١٢/٥، إن نحو ٣٠ من شبان حي هتكفا بتل أبيب قاموا باحتجاز رئيس البلدية، «شلومو لاهط»، في مكتبة مع سبعة من موظفيه الكبار، احتجاجاً منهم على عدم تجاوبه مع مطالبهم بإقامة مراكز جديدة للنشاط الاجتماعي في أحيائهم الفقيرة، ولما رفض رئيس البلدية مطلبهم، استلوا مطارق ومسامير وسدوا بابي مكتبه عليه وعليهم، وتحلقوا حوله يغنون ويرقصون، وينشدون لملك المغرب الحسن الثاني، وقد اعتقلت الشرطة

الشباب الثلاثين فيما بعد(٨٥). وفي ناتانيا؛ هرب رئيس البلدية من مكتبة تجنبًا لمواجهة اليهود السفاراديم من حي رامات هرتسل، الذين قاموا بمظاهرة صاخبة بسبب إغلاق نادي الشبيبة في الحي(٨٦).

حاول زعماء الفهود وعلى رأسهم " شارلي بيطون"، و" شلومومالكا"، و" سعديا مرتسيانو" و" كوخافي شيمش"، وهم من الآباء المؤسسين للفهود السود، استغلال تعاطف الطوائف اليهودية الشرقية المسحوقة معهم لدخول معترك الحياة السياسية لعلهم يستطيعون تحقيق بعض آمالهم المنشودة.

ومنذ وقوع مظاهرات الفهود السود بدأت "الصورة المغربية" تتخذ لها شكلاً مختلفًا ومميزًا. حيث استخدم الفهود هويتهم المغربية بمهارة وأكدوا عليها، وذلك على خلاف ما جرى في فترات سابقة، حين كان يقال بأن المغاربة أنكروا أصولهم(٨٧). هذا بالإضافة إلى، أنهم خربوا أسطورة "بوتقة الصهر" إذ أثبتوا أن في إسرائيل اليهودية شعبين لا شعبًا واحدًا، وكثيرًا ما استخدموا عبارة "مخوزقين وسود" للتعبير عن الموقع العرقي الطبقي(٨٨).

[٣/ب] أسباب فشل الفهود السود

هناك أسباب عدة حالت دون تحول الفهود السود إلى قوة سياسية ضاغطة، ومن ثمّ تلاشيها من على الساحة السياسية الإسرائيلية، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

- <u>سياسة الترهيب والترغيب</u>: استخدمت الحكومة الإسرائيلية مع زعماء وأنصار الفهود السود سياسة "الترغيب والترهيب" وسياسة "فرق تسد"، حيث عمدت إلى استخدام العنف والاعتقالات والتعذيب ضد الفهود؛ مما أبعد الكثير من الناس عنهم خوفاً من بطش السلطات، كما استخدمت أساليب الرشوة مع فئة من مؤيدي الفهود في صورة نقود أو وظيفة(٨٩).
- <u>المحلية الطائفية</u>: يعد أبرز مؤسسي حركة الفهود من اليهود المغاربة من سكان حي المصرارا؛ لذا رفض أبناء الجاليات السفارادية الأخرى الانضمام إليهم لأنهم اعتبروا ذلك بمثابة اعترافًا بالزعامة المغربية المصرارية(٩٠)، واعتبروها حركة مغربية(٩١)؛
- <u>التضليل الإعلامي</u>: صورت وسائل الإعلام - الإشكنازية- الفهود وكأنهم غوغاء ومجرمون، مما أبعد عنهم الأوساط "المحترمة" في المجتمع السفارادي. ويقول "شارلي بيطون" عن هذا: " لقد جاهرنا بفضيحة التمييز ونشرناها في كل مكان؛ آملين أن ينضم

إلى صفوفنا شباب جامعيون- شباب من النخبة- غير أن هذا كان عبثاً، وللأسف الشديد كانوا يتعاطفون مع الأسباب التي دفعتنا إلى التمرد حتى إنهم كانوا يساعدوننا..ولكن من بعيد؛ لأن الأغلبية العظمى كانت تخشى على مراكزها وعلى مكاسبها(٩٢)".

- سقوط الزعامات: هذا، وقد فشل زعماء الفهود السود في معترك الحياة السياسية، خاصة في انتخابات الكنيست، عندما اعتمدوا على شخصياتهم الزعامية وانضموا لمختلف التيارات السياسية – معظمها ذات توجهات شيوعية- متناسين المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي نادوا بها وناضلوا من أجلها، والتي كانت سببًا رئيسًا في التفاف جموع الطوائف السفارادية حولهم. وبعد أن كانوا يشددون على التمييز العنصري ضد اليهود السفاراديم، أصبحوا يشددون على نضال الطبقة العاملة ضد الرأسمالية وهذا هو موقف الحزب الشيوعي.
- كما سقط الفهود السود بسرعة لأنهم لم يجدوا محتوى واقعي صلب لحركتهم واصطدموا بمنطقة نفوذ المؤسسات([٩٣]).
- نقص التنظيم: كانت العشوائية بلا شك جزء رئيس من تلاشي الفهود في العالم السياسي المزدحم(٩٤)، كما لم يكن الفهود السود يملكون الخبرة في التنظيم؛ لذلك انصرفوا إلى المناوشات وإلى المنازعات وإلى الاختلاف في وجهات النظر([٩٥]).
- عدم وجود برنامج سياسي: كانت حركة الفهود السود تفتقر إلى برنامج سياسي واضح المعالم، يحدد من خلاله أهدافها ومبادئها وهذا الشيء أدى بها في النهاية إلى ضعف زخم المظاهرات التي كانت تعمل على تنظيمها، وكان السبب في عدم وضع برنامج سياسي لها، هو خوف زعمائها من الانشقاقات الداخلية، والتي حدثت بالفعل عندما تبنى جزء منهم برنامج حاداش.
- انعدام القاعدة الاقتصادية: افتقد الفهود السود لوجود دعم مالي لتمويل أنشطتهم ومساعدة مؤيديهم، "فكل حزب في إسرائيل لدية قاعدة اقتصادية تدعمه مالياً، والحزب بدوره يمثل هذه القاعدة الاقتصادية في المؤسسات الحكومية ويدافع عن مصالحها(٩٦)".
- التحالف مع اليسار في الوقت الخطأ: أقام الفهود علاقات حميمة مع اليسار الإسرائيلي، رافعين شعار أن القومية اليهودية عدوة لاندماج اليهود السفاراديم في المجتمع الإسرائيلي، رغم أن الأوضاع آنذاك كانت تتجه نحو تأييد الأحزاب اليمينية. فقد أيدت الطوائف السفارادية بقوة الجانب القومي متمثلاً في الليكود(٩٧).

- **حالة الحرب:** مكنت حرب ٧٣ الحكومة "الإسرائيلية من إشعار الجماهير "بالخطر الخارجي"، لتذويب النضال ضد العنصرية...من أجل "وحدة الشعب اليهودي ضد العدو العربي"(٩٨).

[٤/ب] الفهود السود والسلام في الشرق الأوسط

أعلنت منظمة الفهود السود منذ ظهورها على مسرح الأحداث تضامنها مع الشعب الفلسطيني، واتسم موقفهم هذا بالثبات والاستمرارية، وقد أقر الفهود السود في المؤتمر القطري الذي عقد في مدينة بئر سبع عام ١٩٧٥م المبادئ التالية: (أ)ضرورة التعايش السلمي مع الدول العربية والشعب الفلسطيني؛ (ب)استنكار مواصلة الاحتلال للأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧م؛ (ج)يجب التفاوض مع الفلسطينيين أولاً من أجل مستقبل الأراضي المحتلة؛ (د)لا سلام بدون حل المشكلة الفلسطينية؛ (هـ)حق تقرير المصير للشعبين المتواجدين في فلسطين؛ (و)باستطاعة يهود السفارديم أن يكونوا جسرًا للسلام(٩٩).

وقد نشرت صحيفة معاريف، في عددها الصادر يوم ٧٢/٤/١١،عن الفهود السود قولهم: "نحن نهدف إلى ثورة اجتماعية ذات طابع يساري...سوف نؤسس مجتمعًا مبنيًا على المساواة التامة، وسوف نناضل مع المسحوقين العرب ضد المؤسسة...نحن نعارض الاستعمار الرامي إلى الاستيلاء على أموال المواطنين، ولذلك؛ نحن لا نفرق بين الاستعمار العسكري والاستعمار الاستيطاني... ".

وشارك زعماء الفهود السود في العديد من المظاهرات الاحتجاجية الداعية للسلام ونبذ التمييز وسياسة القمع والاستيطان، ففي عام ١٩٨٥م شارك كل من "شارلي بيطون" و"سعديا مرتسيانو" مع العديد من منظمات اليهود السفارديم في احتجاجات واسعة النطاق تدعي "نضال ٨٥"؛ ضد سياسة الفقر والتجهيل والقمع والاستيطان في الأراضي المحتلة. كما أسس "كوخافي شيمش" و"سعديا مرتسيانو" عام ١٩٨٦م منظمة "الجبهة الشرقية " تضامنًا مع الشعب العربي الفلسطيني(١٠٠).

(٣)التصويت للأحزاب اليمينية

أحدث اليهود السفارديم ما يسمى ب"الانقلاب" في الحياة السياسية، عندما صوتوا لصالح الليكود(١٠١) في انتخابات الكنيست التاسع ١٩٧٧م، وساهمت أصواتهم في تغيير القيادة

السياسية التقليدية لحزب العمال التي انفردت بالسيطرة على الحكم منذ إقامة الدولة عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٧٧م.

وسيوضح الجدول التالي مدى انحياز المغربيين للتصويت لصالح الليكود في انتخابات ١٩٧٧م، وزاد هذا الانحياز بنسبة كبيرة خلال انتخابات الكنيست العاشر ١٩٨١م، بينما تضاءل في المقابل تأييدهم لحزب المعراخ/ العمل(١٠٢)، كما لم يحظ حزب تامي رغم كونه أقيم على أساس طائفي مغربي بالتأييد المطلوب المتماثل مع حجم الطائفة اليهودية المغربية في إسرائيل(١٠٣):

جدول رقم (٥) "تصويت بعض تجمعات يهود المغرب لصالح الليكود في انتخابات ١٩٧٧م و ١٩٨١م"

مدن بها كثافة مغربية	الليكود		المعراخ	حركات دينية		داش		تامي
	١٩٧٧	١٩٨١	١٩٧٧	١٩٨١	١٩٧٧	١٩٨١	١٩٨١	١٩٨١
بيت شان	٤٥%	٥٥%	٢٢%	١٧%	٢١%	١٨%	١%	٦%
سديروت	٣٤%	٣٥%	٢٢%	٢٠%	٢٠%	١٠%	٢%	٢٨%
كريات شمونه	٤٢%	٥٤%	٢٣%	٢٦%	١٢%	٧%	٦%	٦%

ويتحدث شارلي بيطون حول هذا التحول قائلاً: "اليهود العرب الذين يفعلون ذلك لا لأسباب قومية، بل بسبب عدائهم لحزب العمل؛ الذي أشبعهم مرارة الحياة عشرات السنين، وعرضهم للمهانة واضطهدهم، وقضى على حضارتهم، وسلبهم كرامتهم وهويتهم، واستخف بهم"(١٠٤).

وقد سعى اليهود السفارديم من وراء دفع الليكود إلى قمة السلطة؛ لتحقيق رغبتهم الملحة في الحصول على حقوقهم المهضومة، وتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة، وكأنما جاء تصويتهم لصالح الليكود بمثابة رسالة احتجاج شديدة اللهجة ضد سياسة التمييز التي يتبعها حزب العمل ضدهم.

كما كانت شعارات ومبادئ اليمين قريبة لحد كبير للتراث والتقاليد الدينية اليهودية- التي يعلن اليهود السفارديم التمسك بها- عن المقترحات الاجتماعية الديمقراطية لليسار الإسرائيلي(١٠٥).

وأثبت هذا التحول مدى قوة الصوت الشرقي وتأثيره على مجريات الأحداث السياسية؛ مما دفعهم بعد ذلك لتكوين أحزاب إثنية مثل "تامي" المنشق عن حزب "المفدال- الحزب الديني القومي " ١٩٨١م، وحزب "شاس" المنشق عن حزب "أجودت يسرائيل" عام ١٩٨٤م، وأصبح الصوت الشرقي مساومًا لمن يتولى السلطة.

هذا وقد استمر تأييد الطوائف اليهودية السفارادية لحزب الليكود خاصة وللأحزاب اليمينية عامة حتى في انتخابات الكنيست السادس عشر عام ٢٠٠٣م،كما يتضح من الجدول التالي(١٠٦)، وتشير الإحصاءات المتعلقة بانتخابات الكنيست السادس عشر أن ٣٣,٦% من سكان بلدات التطوير قد صوتوا لحزب الليكود في مقابل ٦,٣% فقط لحزب العمل(١٠٧).

جدول رقم(٦) تصويت بعض تجمعات يهود المغرب لصالح الليكود في انتخابات الكنيست الـ١٦ عام ٢٠٠٣م"

مدن ذات كثافة مغربية	الليكود	العمل	شاس
بيت شان	٤٢,٩%	٤,٦%	٢٥,٤%
سديروت	٣٣,٣%	٣,٣%	١٤,٦%
كريات شمونه	٤٤,٩%	٧,٣%	١٢,٧%

ولا يختلف الوضع كثيرًا بالنسبة لنتائج انتخابات الكنيست الـ١٧ في عام ٢٠٠٦، رغم أنه للوهلة الأولى يبدو عند الإطلاع عليها أنه يوجد ثمة بعض التطورات قد طرأت على نسب تصويت التجمعات السكانية اليهودية السفارادية، ومن بينها ذات الأغلبية اليهودية المغربية(على سبيل المثال في بيت شان وسديروت وكريات شمونه)، وربما هذا يتوافق مع تغير المشهد السياسي الإسرائيلي وظهور حزب كاديما(١٠٨)، وخفوت نجم حزب الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو، لكن بعد قراءة فاحصة لنتائج انتخابات الكنيست الـ ١٧ يتبين أن بلدات التطوير لا تزال تميل للتصويت للتيارين اليميني والديني، كما هو موضح في الجدول التالي(١٠٩).

جدول رقم(٧) تصويت بعض تجمعات يهود المغرب في انتخابات الكنيست الـ١٧ عام ٢٠٠٦م" بالنسبة المئوية

مدن ذات كثافة مغربية	أحزاب يمينية			أحزاب دينية				العمل	كاديما
	الليكود	يسرائيل بيتينو	الإجمالي	شاس	يهدوت هتوراة	المفدال	الإجمالي		
بيت شان	١٦,٧	٥,٣	٢٢	٣٠	٢,٣	١٠,٩	٤٣,٢	١٦,٣	١٢,٤
سديروت	٩,٩	١٩,٤	٢٩,٣	٤,٧	١,٣	١١,٩	١٧,٩	٢٥,٣	١١,٧
كريات شمونه	١٢,١	١٦,٧	٢٨,٨	١٤,٣	,٤	١٠,٤	٢٥,١	١٧,٨	١٧,٦

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أيضًا أن نحو ١٨,٦% من سكان بلدات التطوير قد صوتوا لحزب شاس، و١٧,٥% لحزب يسرائيل بيتينو، و١٦,١% لحزب كاديما، و ١٣,٨% لحزب العمل، و ١٠,٤% لليكود(١١٠).

(٤)القوائم الحزبية

كون يهود المغرب العديد من القوائم والحركات السياسية في محاولة لخوض غمار الحياة السياسية(١١١)، لكن الثقل السياسي لمثل هذه القوائم لم يتناسب مطلقًا مع الثقل العددي الذي يمثله يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي، ومن أبرز هذه القوائم ما يلي:

(أ) قائمة تكتل مهاجري شمال إفريقيا:

تشكلت هذه القائمة في نهاية عام ١٩٥٨م؛ في أعقاب انسحاب مجموعة من نشطاء قائمة "اتحاد مهاجري شمال إفريقيا" بزعامة "دافيد بن هاروش" [المغربي الأصل]، ثم تحولت إلى قائمة سياسية في أكتوبر ١٩٥٩م وخاضت انتخابات الكنيست في نوفمبر من العام نفسه. وكان هذا التكتل وراء أحداث وادي الصليب في حيفا، التي أدت لاعتقال ثلاثة من زعمائه: " دافيد بن هاروش"، و"حاييم ممان" و"يوسف شيم طوف"(١١٢).

(ب) حركة عوديد:

في نهاية الستينات، عملت المؤسسات الصهيونية وحكومة إسرائيل على التقرب إلى مثقفي شمال إفريقيا المقيمين في فرنسا؛ لجذبهم لمواصلة تعليمهم في مؤسسات التعليم العالي الإسرائيلية من أجل "إنقاذهم" من المجتمع الأجنبي، ومن انغماسهم في الاندماج. وقد استجاب طلاب يهود من أصول مغربية وتونسية لهذه الدعوة، وانتظم مئات منهم في حركة تعرف باسم "عوديد" سعت لتهجير أعضائها إلى إسرائيل لمواصلة دراساتهم هناك(١١٣).

وقد قصدت المؤسسات الحاكمة من وراء هذا، أن تمكنها تلك العناصر الأكاديمية المثقفة من رفع الوعي الاجتماعي والثقافي لطوائفهم "المتخلفة"، ومن جانب آخر، تكون نواة لقيادة جديدة قادرة على النهوض بالشئون والقضايا الاجتماعية والاقتصادية السفارادية في إسرائيل.

وأقامت "عوديد" نحو ١٥ مكتبًا لها في مختلف أنحاء إسرائيل؛ بغرض تقديم المساعدات لتحسين الأوضاع المادية والتعليمية للطلاب الشمال إفريقيين وتزويدهم بالأطر التنظيمية لتعزيز موقفهم على الساحة السياسية. ولكي تتمكن "عوديد" من دخول المعترك السياسي انضمت لإحدى الحركات ذات التوجهات الليبرالية، وهي حركة "داش" لبعض الوقت مما سمح لها بالحصول على مقعد في الكنيست التاسع ١٩٧٧م. وفي انتخابات علم ١٩٨١م، اتحدت هذه الحركة في غضون ذلك مع جماعة الفهود السود، ولكنهما فشلا في تحقيق الفوز(١١٤).

(ج)حركة أوهليم- خيام:

تأسست هذه الحركة في الأحياء الفقيرة، ففي ١٦/٦/١٩٧٩م، وأعلنت من جانبها "إنهاء الانتداب الإشكنازي الاستيطاني على فلسطين، وتأسيس مجلس الخيام للأحياء الفقيرة؛ من أجل تنفيذ ميثاق الاستقلال لدولة إسرائيل"، الذي يحتوي على مبادئ الحركة بخصوص المساواة التامة بين السكان(١١٥). وشاركت هذه الحركة في انتخابات الكنيست١٩٨١م بزعامة "يامين سويسا"(١١٦).

غير أنها لا تعني بالمشاكل السياسية وإنما تشدد على الشئون الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، ولا سيما في الأحياء الفقيرة، وفي عام ١٩٨٤م، انضمت إلى حزب العمل(١١٧).

(د)حزب تامي:

اشتركت قائمة "تامي"، وهو الاختصار العبري لما ترجمته "حركة تقاليد إسرائيل"، أول مرة في انتخابات الكنيست العاشرة ١٩٨١م، في إثر انسحاب "آهارون أبو حصيرا(١١٨)" من "المفدال ". وقد حاول "أبو حصيرا" أن يستقطب المتدينين من اليهود الشرقيين (يهود المغرب في الأساس) وفاز بثلاثة مقاعد، وانضم "أبو حصيرا" إلى الحكومة الائتلافية برئاسة "بيجن"، وزيرًا للعمل والرفاه، إلى أن استقال في ٣٠ أبريل عام ١٩٨٢م في إثر إدانته بفضيحة مالية. وقد خاض "أبو حصيرا" انتخابات الكنيست الحادي عشر ١٩٨٤م في ظل ظروف مختلفة تمامًا عن تلك التي كانت سائدة في علم ١٩٨١م. ففي ذلك الحين طرحت "تامي" نفسها بوصفها قائمة طائفية تسعى لاستقطاب اليهود المهاجرين من شمال إفريقيا. غير أن قوة "أبو حصيرا" أخذت

في التراجع بسبب الفضيحة المالية التي تورط فيها. ولم يحصل إلا على مقعد واحد فقط في انتخابات ١٩٨٤م، بينما لم يحصل على أي مقعد في الكنيست الثاني عشر ١٩٨٨م، وكذلك الكنيست الثالث عشر ١٩٩٢م(١١٩).

وتبدو القضية وكأنها قضية عادية تتعلق بالفساد في المجتمع الإسرائيلي، يرتكبها العديد من الساسة الإسرائيليين الإشكناز، ولكنها في الحقيقة تعد مظهرًا من مظاهر الصراع التقليدي بين السفارديم والإشكناز، وقد أدت هذه التهمة لخفوت نجم "آهارون أبو حصيرا" من على الساحة السياسية. والغريب في الأمر أن السيناريو نفسه تكرر مع زعيم يهودي شرقي آخر هو "أرييه درعي(١٢٠)" الزعيم السياسي لحزب شاس، وهو من أصول يهودية مغربية أيضًا، الأمر الذي أدى إلى إبعاده من على الساحة السياسية الإسرائيلية.

(هـ)حزب شاس:

تشكل حزب "شاس"، وهو الاختصار العبري لما ترجمته بالعربية " السفارديم المتمسكين بالتوراة "، عام ١٩٨٣م، وظهر في انتخابات ١٩٨٤م أول مرة كقائمة طائفية تمثل اليهود الشرقيين في الأحزاب الدينية على غرار قائمة "تامي"، من خلال حركة تمردية داخل حزب "أجودت يسرائيل" قام بها حاخامات من الطوائف الشرقية، هاجمت "أجودات يسرائيل" بسبب "تقصيراته إزاء المتدينين من أبناء الطوائف الشرقية" وكان هؤلاء الحاخامات قد أسسوا في عام ١٩٨٣م "اتحاد السفارديم المتمسكين بالتوراة" واشتركوا في انتخابات السلطات المحلية بقائمة منفردة(١٢١).

وقد حصلت شاس على أربعة مقاعد في انتخابات الكنيست الحادي عشر عام ١٩٨٤م، وعلى ستة مقاعد في انتخابات الكنيست الثاني عشر عام ١٩٨٨م وهو العدد نفسه في الكنيست الثالث عشر عام ١٩٩٢م، وعلى عشرة مقاعد في انتخابات الكنيست الرابع عشر عام ١٩٩٦م وعلى سبعة عشر مقعدًا في الكنيست الخامس عشر عام ١٩٩٩م؛ مما دفع به ليكون القوة السياسية الثالثة بعد حزبي العمل والليكود؛ وعلى إحدى عشر مقعدًا في الكنيست السادس عشر عام ٢٠٠٣م؛ وعلى اثني عشر مقعدًا في الكنيست السابع عشر علم ٢٠٠٦م.

وبذلك فرض حزب شاس نفسه على تشكيل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، بداية من تشكيل الحكومة الإسرائيلية الـ٢١ بزعامة المعراخ في ١٩٨٤/٩/١٣ في أعقاب انتخابات الكنيست الـ١١، وحتى الحكومة الحالية الـ٣١ بزعامة كاديما، التي تشكلت في ٢٠٠٦/٥/٤ في أعقاب انتخابات الكنيست الـ١٧، ولم يكن حزب شاس ضمن المعارضة، وبالتالي خارج

التشكيل الحكومي، منذ ظهوره على الساحة السياسية سوى لفترات محدودة أبرزها في تشكيل الحكومة الـ ٢٥ (٩٥/١١/٢٢ - ٩٦/٦/١٨) والحكومة الـ ٣٠ (٢٠٠٣/٢/٢٨ - ٢٠٠٦/٥/٤)([١٢٢]).

وتمكن حزب شاس من تثبيت جذوره في المجتمع الإسرائيلي، عن طريق تأسيس شبكة "همعيان-المنبع" عام ١٩٨٥م، وهو الأمر الذي جعله -ربما- الحزب الوحيد الذي يتصل بناخبيه يوميًا بصورة مباشرة، عن طريق أربعمائة فرع في مختلف أنحاء البلاد، تقدم نشاطات وخدمات اجتماعية وتربوية ودينية لنحو مائة ألف نسمة يوميًا. ويعمل في هذه الشبكة مئات الحاخامات، الذين استطاعوا إقناع مئات العائلات-خصوصًا في "بلدات التطوير"- بالتوبة والعودة إلى الدين، كما يوفر الحزب رياض أطفال مجانية، وشبكة تعليمية متكاملة(١٢٣).

ويعد حزب شاس أكبر الأحزاب ذات التوجهات الإثنية العرقية السفارادية؛ لذلك أصبح يلعب دورًا محوريًا حيويًا في تشكيل الخريطة السياسية الإسرائيلية وتحديد ملامحها خلال العقد الأخير من القرن العشرين، بينما الأحزاب والحركات الأخرى ذات الزعامات والمساندة اليهودية المغربية اقتصر تواجدها وتأثيرها على فترات محددة، وانتهى بها الأمر إما بالاختفاء تمامًا من على مسرح الأحداث السياسية أو بالانزواء في ظل الأحزاب الكبرى.

وهكذا يتضح كيف أصبح ليهود المغرب حضور واضح على مسرح الحياة السياسية في إسرائيل، خاصة من نهاية العقد السابع للقرن العشرين وبالتحديد منذ أن أسهموا بثقلهم العددي في تغيير مجريات الأحداث السياسية بالتصويت لصالح الليكود. وبدأت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سواء كانت ليكودية أم عمالية في إسناد العديد من الحقائب الوزارية لشخصيات سياسية إسرائيلية ذات أصول يهودية مغربية، مثل : "دافيد ليفي([١٢٤])"، و"أرييه درعي" و"عمير بيرتس([١٢٥])".

وعلى ساحة المنافسات الحزبية، استطاع "عمير بيرتس"، رئيس الهستدروت وعضو الكنيست المنتمي للطائفة اليهودية المغربية، تحقيق فوز غير مسبوق على الرئيس غير المنتخب لحزب العمل ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، "شمعون بيريس" في نوفمبر ٢٠٠٥، وهو الفوز الذي وصفه المراقبون وعدد من السياسيين في إسرائيل "بالانقلاب" و"الزلزال الذي هزّ مسرح السياسة الإسرائيلية برمته"، وبذلك يكون أول يهودي سفارادي يتولى زعامة حزب العمل منذ تأسيسه عام ١٩٣٠م.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن عددًا من القياديين في لليكود، بينهم وزير الخارجية "سيلفان شالوم(١٢٦)"، والوزير "مئير شيطريت(١٢٧)"، قد حذروا من أن فوز "عمير بيرتس" برئاسة العمل سيلحق ضررًا بالليكود لأن قسمًا من الشرائح الاجتماعية الضعيفة وخصوصا من اليهود الشرقيين سيصوتون في الانتخابات القادمة لصالح "عمير بيرتس" المغربي الأصل.

ورغم هذا الزحف المستمر من قبل يهود المغرب نحو دوائر صنع القرار السياسي داخل إسرائيل، إلا أن هذا يفتقد للشرعية الكاملة وما يزال دورهم منقوصًا. وهذا ما عبر عنه "شلومو بن عامي(١٢٨)" قائلاً: " ما زلت إلى يومنا هذا ابنًا من الخارج في حركة العمل إذ إن أمثالي من أبناء الهجرات في الخمسينات، ما زالوا يعدون أبناء خارجيين، حتى لو تمكنوا عبر مسار شاق من احتلال موقع موازٍ لمواقع النخب. وحتى عندما يبدو لنا، لأول وهله، أننا أصبحنا جزءا لا يتجزأ من هذه الثقافة الرائدة، فأننا لن نصبح تمامًا من أبناء السبط. نحن في الداخل ولسنا في الداخل، إذ إن الرجل الآتي من الخارج، ابن الطوائف [اليهودية الشرقية]، ما زال يجد صعوبة في الحصول على الشرعية الكاملة لوجوده داخل هذا المعسكر(١٢٩).

(٥)الموقف من الصراع العربي-الإسرائيلي

يتأرجح موقف الإسرائيليين من أصول مغربية، مثل غيرهم من قطاعات المجتمع الإسرائيلي، من قضية الصراع العربي-الإسرائيلي بين مواقف متشددة مؤمنة بفكرة أرض إسرائيل الكاملة، ومواقف أخرى مؤيدة لإحلال السلام والجلوس إلى مائدة المفاوضات.

(أ) موقف متشدد:

المثير في الأمر أن اليهود الشرقيين أصبحت لهم مصلحة في احتفاظ إسرائيل بالأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧م، وذلك لأن تدفق الأيدي العاملة العربية أتاح لهم الفرصة لكي يحسنوا أوضاعهم، ولذلك فإنهم لا يتعاطفون مع أولئك الذين يقترحون إبعاد تلك الأيدي العاملة عن طريق إعادة المناطق المحتلة للفلسطينيين. وقد أشار الأديب الإسرائيلي عاموس عوز(١٣٠) إلى هذا التوجه لدى اليهود الشرقيين في حوار أجراه مع يهودي مغربي في "بيت شيمش" القريبة من القدس في كتابة المشهور " في أرض إسرائيل"(١٣١)، ومما جاء في هذا الحوار:

"...أعطوا لنا بيوتًا، وأخذوا في مقابله عملاً شاقًا، كما أعطوا لنا تعليمًا وأخذوا احترامنا لذاتنا. من أجل ماذا أحضروا آبائي لإسرائيل؟ أنا أخبرك بسبب ماذا...أليس بسبب الأعمال

القذرة؟ فلم يكن لديكم حينئذ عربًا، وكنتم في حاجة لآبائي كعمال نظافة وخدمات وعمال طوارئ، وأيضًا شرطيين. أحضرتم آبائي ليكونوا لكم عربًا..لكن ماذا؟ لو أعادوا المناطق، حينئذ سيتوقف العرب عن المجيء للعمل، ووقتئذ ستعيدوننا لنكون عمالاً للأعمال الحقيرة كما كان الوضع من قبل. فقط بسبب ذلك، نحن لن نسمح لكم بإعادة المناطق. وهذا بخلاف حقوقنا التوراتية والأمنية. انظر: ابنتي، اليوم تعمل في البنك ولديها عربي يأتي كل مساء لتنظيف الفرع. بالطبع تتمنون، أن تجدوها مطرودة من البنك لتعمل على أي ماكينة نسيج أو تعمل في مسح البلاط بدلاً من العربي"(١٣٢).

وهكذا، خلفت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة، وتجربة الاستيعاب المريرة التي خاضها يهود المغرب في إسرائيل، خاصة خلال الخمسينات والستينات، بصمات واضحة على توجهات يهود المغرب في إسرائيل؛ لدرجة دفعتهم لتبني آراء سياسية متشددة (مثل: تأييد حزب الليكود ورفض إعادة المناطق المحتلة للفلسطينيين)، والقيام بأعمال احتجاجية عنيفة في كثير من الأحيان (مثل: أحداث وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٩م ومظاهرات الفهود السود عام ١٩٧١م). ولأنهم كانوا أكثر قطاعات المجتمع الإسرائيلي معاناة، كان لهم السبق في رد الفعل قبل أي طائفة سفارادية أخرى. ولكن مثل هذا الموقف المتشدد لم يأت من منطلق عقيدة أيديولوجية بل من منظور الخوف على المكاسب الاقتصادية المحدودة والارتقاء الاجتماعي النسبي الذي تحقق لهم منذ الاستيلاء على الأراضي العربية الفلسطينية، واستغلال العمالة العربية في الأعمال الشاقة المتدنية داخل إسرائيل. كما أن هذا الموقف ليس هو الموقف الرسمي لكل أبناء الطائفة اليهودية المغربية فهناك نماذج عديدة تشير إلى حرصهم على إحلال السلام.

(ب) مواقف معتدلة

تعددت أشكال المواقف المعتدلة الداعية للسلام العربي-الإسرائيلي، التي تبناها إسرائيليون من أصول يهودية مغربية، وكان من أبرزها:

[١/ب] مؤتمرات يهود المغرب لدعم التعايش السلمي

بدأت الدعوة لهذه المؤتمرات من قبل شخصيات يهودية ما تزال تقيم بالمغرب، وبدعم معلن من البلاط الملكي المغربي في عهد الملك "الحسن الثاني"، في محاولة لدعم التعايش السلمي بين اليهود والعرب.

ومن هذا المنطلق، نظم يهود المغرب مؤتمرًا تأسيسيًا للاتحاد العالمي لليهود المنحدرين من أصول مغربية، هذا وقد سبقه تأسيس التجمع العالمي لليهودية المغربية في أواسط الثمانينات، خلال الفترة (٢- ٣ مايو ١٩٩٩م)، الذي عقدت أعماله في مدينة مراكش تحت رعاية الملك "الحسن الثاني" من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط.

وتدارس المشاركون على مدى يومين وضع اليهود في العالم، وأهمية تحقيق سلام دائم مع العرب، وتفعيل دور الاتحاد العالمي لليهود المغاربة ليكون مخاطبًا في المحافل الدولية للمساهمة في تعزيز فرص السلام في الشرق الأوسط. وقالت مصادر في المؤتمر أن أحد أهداف إقامة مثل هذا التجمع، هو التعرف على تطور الطائفة اليهودية في المغرب، وتحفيزها للحفاظ على تراثها الحضاري والثقافي المحلي، والمساهمة في توطيد الحوار العربي-اليهودي، والعمل على إطلاق مسلسل السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وبناء مناخ من الثقة بين المسلمين واليهود بالاستناد إلى تجارب التعايش الديني في المغرب (١٣٣).

ويبرز هذا المؤتمر مدى الثقل الذي يمثله اليهود في المغرب رغم ضآلة عددهم هذا من جانب، ومن جانب آخر، يظهر مدى التأثير الواضح للطائفة اليهودية المنحدرة من أصول مغربية على الخريطة السياسية داخل إسرائيل. وجاءت هذه التظاهرة التي تبناها يهود المغرب في أنحاء العالم كدعوة للسلام والحوار بين العرب واليهود، وضرورة التصويت لصالح السلام لاستئناف العملية التفاوضية المتعثرة. وسعي هذا التجمع العالمي لليهود المنحدرين من أصول مغربية لترسيخ العلاقات بين أبناء هذه الطائفة، والإبقاء على ارتباطهم بالبلد الأصلي المغرب، وضرورة حفاظهم على هويتهم وتميزهم الثقافي في المجتمعات التي هاجروا إليها.

[٢/ب] حركات السلام السفارادية ولجانه

- **مجموعة هوية وحوار:**

تأسست مجموعة هوية وحوار في باريس سنة ١٩٧٦م، على يد مثقفين يهود مغاربة بهدف تحقيق هدف مزدوج هو: (أولاً) الحفاظ على هوية وذاكرة اليهودية المغربية وإنعاشها، (ثانيًا) المساهمة في الحوار الفلسطيني-الإسرائيلي ومصالحة العالم اليهودي مع العالم الإسلامي، واستمرت في العمل بداية من السبعينات والثمانينات إلى غاية أوائل التسعينات(١٣٤).

وهي عبارة عن مجموعة ضغط سياسية بلغ عددْ أعضائها نحو ٨٥٠ عضو في فرنسا، وكان لها دور في ترتيب مقابلات بين سياسيين إسرائيليين ومغربيين منذ قيام رئيس الحكومة الإسرائيلية حينئذ " شمعون بيرس" بزيارة المغرب عام ١٩٨٦م. وكان لأندري أزولاي دور فعال في تأسيس هذه المجموعة(١٣٥).

• حركة الشرق من أجل السلام:

في ١/٦/١٩٨٣م، كتبت صحيفة هاآرتس تقول: إن المثقفين من أبناء يهود " البلاد الإسلامية" أسسوا حركة جديدة تدعى " الشرق من أجل السلام"، وتهدف إلى: تشجيع قضية السلام مع الشعب الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية، وإلى النضال ضد التمييز العنصري في إسرائيل(١٣٦). قام بتأسيسها " شلومو الباز " (وهو يهودي من أصول مغربية)(١٣٧).

• منظمة القوة السوداء:

في تموز/يوليو ١٩٨٣م، أقام الجامعيون ويهود " البلاد الإسلامية " في حيفا منظمة "القوة السوداء"، وتؤمن هذه المنظمة بالتحالف الوثيق بين الشعب العربي الفلسطيني ويهود "البلاد الإسلامية" المضطهدين في إسرائيل، وعملت هذه الحركة بقيادة " منشي هاروني"، وهو رئيس اتحاد الطلبة في جامعة حيفا، وعضو حزب "تامي" (حزب اليهود المغاربة)(١٣٨).

• لجنة الحوار الإسرائيلي الفلسطيني:

في عام ١٩٨٦م، تأسست هذه اللجنة من أجل مساندة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، والنضال من أجل السلام والديمقراطية. عقدت اللجنة مؤتمرًا صحفيًا في القدس حضرة قادة المنظمة: الدكتور " شلومو الباز" (مغربي)-استاذ في الجامعة العبرية بالقدس، والبروفيسور " ساسون سوميخ" (عراقي)-أستاذ الأدب العربي في جامعة تل أبيب و" دادا بن شطريت" (مغربي)زعيم حركة " شاحاك(١٣٩)" وعضو مجلس بلدية القدس.وأعلن "شلومو الباز" أن الموقعين على بيان اللجنة سيعملون على تكذيب الادعاء اللئيم؛ القائل إن يهود الشرق يكرهون العرب ويعادون السلام ويحبون الحرب. وأكد على أنهم يملكون القدرة والإرادة لبناء جسر بين العالم العربي والمجتمع الإسرائيلي، وقد وقع على بيان اللجنة مائة شخصية يهودية شرقية. وأكدوا في ختام المؤتمر الصحفي أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني في أية مفاوضات. وجرت خلال عامي ١٩٨٧/٨٦م لقاءات بين أعضاء من اللجنة

وممثلي عن منظمة التحرير في رومانيا وفي المجر، شارك فيها عضو الكنيست السابق " شارلي بيطون"(١٤٠).

ولكن ينبغي أن نفهم أن هذه الجهود الرامية لإحلال السلام كانت تسعى في حقيقة الأمر لإحداث هدوء نسبي حتى يتمكن اليهود السفارديم من طرح قضاياهم الداخلية وحلها، فبحلول السلام لن يكون للحكومة أي سبب تتذرع به للهروب من هذه القضايا الاجتماعية والاقتصادية الخانقة التي يعاني منها قطاع عريض من السفارديم، ولن يكون أمام الدولة سوى تقليص ميزانياتها التي تذهب للدفاع والتسليح، وتعزيز المخصصات المالية، وتدعيم الاهتمام الحكومي لتحسين أوضاع هذه القطاعات العريضة في أحياء الحزام الأسود وفي بلدات التطوير.

وقد عبر "شارلي بيطون" عن هذا في حديث نشر له في مجلة فلسطين الثورة في ١٩٨٧/١/١٧م، قائلاً: "..نعتقد أن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ستخلصنا من الحبل الملفوف حول أعناقنا الذي يتلخص في التهديد اليومي لنا من جانب حكومة إسرائيل بالتزام الهدوء لأن "الدولة محاطة بالأعداء العرب الذين هدفهم رمي اليهود في البحر". ولذا علينا السكوت والسماح لإسرائيل بإنشاء ترسانة عسكرية، والتوسع والاحتلال العسكري. وتكون النتيجة أن يصبح أولادنا وقود الحروب والمعارك التي خاضتها الحكومة منذ ١٩٤٨م...ولنتحول، كإسرائيليين، إلى شرطي أمريكي في منطقة الشرق الأوسط (١٤١). كما أنه بحلول السلام بين جميع الأطراف المتنازعة سوف تصبح إسرائيل جزءا لا يتجزأ من منطقة الشرق الأوسط، وسوف يغلب عليها الطابع الشرقي ويختفي الطابع الإشكنازي، كما يزعم المسئولون الإسرائيليون.

ثالثاً: الواقع الثقافي

(١) أخطاء الإشكناز

لم يكن لدى النخبة الإشكنازية القابضة على مقاليد الحكم في إسرائيل أدنى حد معرفي بما تملكه الطائفة اليهودية المغربية من تقاليد وعادات وموروثات ثقافية، وقد حكمت عليهم وفق معايير مادية (مثل: الفقر، والجهل وعدم القدرة على الاندماج)، ولأن المعطيات كانت خاطئة فإن الحكم الذي أصدرته النخبة الإشكنازية كان خاطئاً أيضاً. ويتمثل أحد الأخطاء الكبرى التي ارتكبها الإشكناز في حق يهود المغرب وغيرهم من أبناء الطوائف الشرقية، في محاولة الفرض

الإجباري للثقافة الإسرائيلية الجديدة ذات الطابع العلماني الغربي، والعمل على تحطيم الأطر الثقافية الجماعية التي ظلت محافظة على الهيكل التقليدي للمجتمع اليهودي المغربي([١٤٢]).

أ) فرض الثقافة العلمانية الشتاتية

عد اليهود القدامى أنفسهم أصحاب دور المرشدين والموجهين، الذين يهدفون إلى تغيير ثقافة المهاجرين اليهود وأنماط سلوكهم، حتى يتخلوا عن ثقافتهم الشتاتية القديمة، ويتبنوا العبرية الجديدة؛ ليصبحوا بذلك جزءًا من المجتمع الجديد. ولم ينظروا إلى هذه المهمة على أنها مهمة صعبة؛ لأنهم هم أنفسهم رفضوا حينه ثقافتهم الشتاتية، وأوجدوا بدلاً منها ثقافة عبرية إسرائيلية. إلا أن هذه الثقافة القومية والعلمانية الجديدة، أي الثقافة العبرية التي رغب المهاجرون في تبنيها لأنفسهم كثقافة خاصة بهم، كانت وعن غير قصد تحمل نفس طابع ثقافة البلاد الأصلية للأشخاص الذين أوجدوها، فالأدب العبري الحديث والشعر العبري والواقع واللغة- كل هذا كان متأثرًا بعادات ومفاهيم وأذواق قادمة من دول أوروبا الشرقية، وهي نفسها البلدان التي هاجر منها الذين وضعوا هذه الثقافة(١٤٣).

وقد عبر الكاتب المسرحي الإسرائيلي "جفريئيل بن سمحون"، وهو من أصل مغربي، عن سيطرة الطابع الغربي على أنماط الحياة الإسرائيلية بقوله: " إنك تشعر بأنه يوجد هنا نوع ما من الشذوذ العنيف، فنحن نعيش في الشرق وثقافتنا كلها غربية ؟..نحن نعيش على سواحل حوض البحر المتوسط ونفكر بعقلية أوروبية شمالية(١٤٤)".

وسائل القمع الثقافي:

استخدمت المؤسسة الإشكنازية الحاكمة العديد من الوسائل القمعية الثقافية لسلخ اليهودي المغربي عن تراثه وعالمه، وإجباره على تبني أنماط ثقافية غربية، ومن أبرز هذه الوسائل:

- <u>تزييف التاريخ</u>: كانت عملية فرض الثقافة العلمانية الشتاتية في حاجة ماسة إلى قطع كل الروابط التي تشد المهاجرين الشرقيين لماضيهم، وسلخهم عن ثقافتهم وهويتهم؛ حتى يكون من السهل خلق مسوخ بشرية على غرار الشخصية الإشكنازية وبذلك يتحقق انصهارهم في المجتمع الجديد.

ويعترف الكاتب "أربيه ايلياف" بهذا الخطأ الفادح قائلاً: " لقد فصلنا اليهود الشرقيين- وخاصة الجيل الشاب منهم- عن ماضيهم وأصولهم ومجدهم، وقمنا بتلقينهم (كما فعلنا مع أبنائنا نحن) بأن كل شيء قد بدأ في أوروبا الشرقية: النظرية اليهودية والصهيونية والفكر

الطليعي والاستقرار في فلسطين، وروينا لهم أن الجمال والشعر والثقافة والاستمرارية كانت قد وجدت هناك عند آباء زملائهم الصغار وأمهاتهم وأجدادهم من الإشكنازيم. وبما أن كل شيء قد وجد هناك فهذا يعني أنه لم يحدث أي شيء عند آبائهم هم. وبذلك توصلنا بسرعة إلى أسطورة "أمية" و"تخلف" اليهود الشرقيين " فقد نزلوا للتو من على أشجارهم وخرجوا من كهوفهم(١٤٥)".

وتهدف هذه المحاولة من جانب المجتمع الإسرائيلي، لإلصاق كل ما هو وحشي وبربري وبدائي باليهود السفارديم، لترسيخ الإحساس بالدونية في نفوسهم، باعتبار أنهم يقفون في أدنى درجات الرقي الثقافي، وهو ما يؤدى بدوره لدفعهم لكراهية ونبذ هويتهم الثقافية والتبرم من أية رابطة تجذبهم نحو هذا الماضي أو بمعنى آخر دفعهم لكراهية الذات.

حقًا، عانى اليهود الشرقيون من نقص في النواحي المهارية التكنولوجية وفي العلوم المتقدمة، التي كان من الممكن أن توفر لهم حياة كريمة ووضع أفضل داخل المجتمع الإسرائيلي، لكنهم لم يعانوا مطلقًا من أي نقص ثقافي، بل على العكس كانوا يتمتعون بذخيرة ثقافية غزيرة من عادات وتقاليد وأنماط حياتية منظمة، لكن المؤسسات الإشكنازية عمدت إلى خلط الأوراق، وإلى تعميم الأحكام، حيث استنتجت أن النقص في العلوم المتطورة يستتبع بالضرورة نقصًا في التراث الثقافي، وبذلك حكمت بالموت على الهوية الثقافية اليهودية الشرقية ورأت أنه يجب التخلص منها وأن تحل محلها الهوية الإسرائيلية الجديدة.

وهكذا كان لقاء المهاجرين القادمين من بلاد الشرق مع المجتمع الإسرائيلي لقاء صدمة، فقد تكشف لهم فجأة أن ثقافتهم اليهودية الأصيلة، بدلاً من أن تكون جسرًا، شكلت حاجزًا بينهم وبين المجتمع الجديد، فهي تثير الاحتقار والعداء، كما أن حاملي هذه الثقافة يوصفون بأنهم أقل شأنًا وغرباء على المجتمع الجديد، فظهر لديهم ما عرف باسم "أزمة هوية(١٤٦)".

- <u>التمييز الثقافي</u>: تعاني الطوائف اليهودية الشرقية من إشكاليات التمييز الطائفي داخل المجتمع الإسرائيلي، ويعد التمييز الثقافي أحد الألوان لهذا التمييز، هذا بالإضافة إلى الإنكار الصريح بأن هذه الجماعات لديها عناصر ثقافة أصيلة أو حتى قادرة على خلق إبداعات ثقافية راقية، وخير دليل على هذا التمييز الثقافي هو ما يعاني منه الأدباء من أبناء الطوائف اليهودية الشرقية من تمييز حاد ضدهم على مختلف الأصعدة.

وجاء على لسان أحدهم، وهو " بنحاس كوهين كجان " رسام من أصل مغربي معبرًا عن هذا التمييز بقوله: " توجد هنا ثقافتان، طبقتان...يوجد هنا قاهر ومقهور...توغل التمييز بين

القاهر والمقهور إلى عالم الثقافة. وهناك من يتحدثون عن "أدب شرقي". ماذا يعني ذلك ؟ يعني أنه يوجد سيد ويوجد عبد..هذا هو شتاتي. إنني أشعر بأنني مبعد منعزل عن كل الثقافات(١٤٧)".

ويعبر الأديب "جفريئيل بن سمحون" عن التمييز الصارخ في مجال العمل المسرحي قائلاً: "نحن ندفع رغمًا عنا للبقاء خارج دائرة العمل المسرحي...والمعسكر الأدبي لم يشجع ولم يطور نفسه لقبول واستيعاب، وربما لتشجيع ظهور مبدعين لا ينتمون مثلاً للحركة الكيبوتسية أو للمؤسسة الحاكمة. نحن جميعًا نشأنا خارج هذا المعسكر، نحن أغراب عن هذا المعسكر. والآن عندما نظهر، ونتواجد، فإن ذلك بفضل جهودنا الذاتية، وعندما تتم دعوتنا لدخول هذه الدوائر التي كانت مغلقة أمامنا، فإن ذلك بفضل جهودنا أيضًا، لكن في واقع الأمر نحن نكون مغلقين أمامهم أيضًا(١٤٨)".

وقد نشأ عن التهميش الثقافي الذي تنتهجه الدوائر الأدبية تجاه "جفريئيل بن سمحون"، ومن على شاكلته من الأدباء السفاراد، نوع من الانغلاق الثقافي المتبادل والجهل بثقافة الآخر؛ لأنها لا تسمح لهذا الطرف بتقديم أدبه وثقافته. الأمر الذي أوجد لديهم مشاعر الغربة والعزلة داخل المجتمع الإسرائيلي، تلك المشاعر التي ارتبطت عادة بالشخصية اليهودية الشتاتية. وقد عبر "جفريئيل بن سمحون" عن هذه المشاعر قائلاً: " إنني أريد أن أشعر عندما أسافر إلى باريس بأنني في شتات، وعندما أكون في القدس أشعر بأنني حقًا في القدس. ومن الذي سوف يوضح ذلك؟ هل..هاملت وعطيل...وكل ما تقدمه المسارح المدعومة من الحكومة؟(١٤٩)".

وكان لطغيان الطابع الإشكنازي على كافة الأنماط الحياتية أن شعر اليهود الشرقيون بشيء من الغربة ليس عن المجتمع الإسرائيلي فحسب، بل أيضًا عن ثقافتهم وهويتهم الشرقية. فيقول "جفريئيل بن سمحون": "عندما أسمع مثلاً مذيعين في التلفاز من ذوي اللهجة الشرقية أشعر بالغربة. ورغم أن ٦٠% من سكان إسرائيل من أصحاب اللهجة الشرقية، لكن عندما يسمعون لهجة شرقية في التلفاز يشعرون بنوع من الفظاظة. وبهذا الشكل أسدلوا الستار بين أي واقع فني أو مسرحي وبين السكان غير الغربيين(١٥٠)".

وهكذا تصارعت داخل الشخصية اليهودية المغربية بصفة خاصة، والشخصية اليهودية الشرقية بصفة عامة، العديد من المشاعر والأمراض الشتاتية التي كان من المستحيل أن تصيبه لولا سياسة التمييز التي تمارسها ضدهم الدوائر الإشكنازية المختلفة. وكانت "أزمة الهوية" هي

الثمرة الطبيعية لهذا التمييز الطائفي والقمع الثقافي، فأصبح اليهودي الشرقي يكتنفه إحساس مزدوج بالغربة، غربة تجاه مجتمعه الإسرائيلي، وغربة أخرى تجاه هويته وثقافته الشرقية.

(ب) تحطيم الأطر الجماعية والأسرية

أدت سياسة "بوتقة الصهر"، الساعية لتذويب كل الفروق وعناصر الاختلاف بين الجماعات المهاجرة، إلى تحطيم "الإطار الجماعي والعائلي" وهو الدعامة الرئيسة التي يقوم عليها المجتمع اليهودي المغربي.

وفي البداية تحطم الإطار الجماعي القروي، حيث لم يتم توطين كل أبناء القرية في مستوطنة مشتركة(١٥١). إلا أن يهود المغرب يختلفون عن باقي الطوائف اليهودية الشرقية في إشكالية تحطم "الإطار الجماعي"، حيث إن من عانى من تحطم هذا الإطار الجماعي هم المغاربة الذين أقاموا في المدن الكبرى وهم قلة، بينما تم تجميع الأغلبية في بلدات التطوير والمستوطنات الزراعية، وبالتالي لم يشعروا بتفكك هذا الإطار، بل ساعدهم هذا التكتل في مراكز معينة، مثل بلدات التطوير، على فرض سيطرتهم الإدارية والحصول على مكاسب سياسية.

أما الإطار الثاني الذي تفكك بالفعل، هو الإطار العائلي الذي بتحطمه أحدث شرخًا لا يمكن رأبه وكان أحد أبرز الأخطاء التي ارتكبها الإشكناز تجاه المغاربة وغيرهم من الطوائف اليهودية الشرقية. وقد أعترف الكاتب الإسرائيلي "أرييه ايلياف" بهذا قائلاً: " كان أحد أخطائنا الأكثر خطورة هو قيامنا "بتفتيت" الأسرة الكبيرة وتهجمنا على التقاليد الأبوية التي يتبعها اليهود الشرقيون...ربما كانت ستتفتت من تلقاء نفسها، فمن المؤكد تقريبًا أن إطار العائلة الأبوية الكبيرة لم يكن ليستطيع الصمود أمام ضغوط واقع الحياة الإسرائيلية. لكننا نحن الإشكنازيم عمدنا إلى تسريع هذا الانهيار بدلاً من كبحه، فأبعدنا الجد والأب، وجعلنا منهما حالة اجتماعية بدلاً من أن نعتمد على البنية الموجودة ونستخدمها كنوع من واقية الصدمات...فبدلاً من أن نعتمد على الأجداد في الأسرة قمنا بتقسيم الأسرة الكبيرة إلى عشرات النوى الصغيرة، وقد نال كل زعيم أسرة في "الموشافيم" نصيبه من هذا التفتيت، وهكذا عطلنا مكانته، وأصبح بين ليلة وضحاها مثله مثل الآخرين وضاع دوره المتميز، وانتهى به الحال بأن وجد نفسه مهملا تمامًا. وهكذا حولنا هؤلاء الشيوخ والحاخامات والحكماء والزعماء الطبقيين لمجموعاتهم الصغيرة إلى مجرد أفراد من الطبقة الدنيا غير منتجين، وبالتالي محرومين من

حقوقهم...وسرعان ما أصبحنا نرى الشيوخ والطاعنين في السن، وقد غدوا عمالاً تعساء يقومون بالأعمال التي كان قد رفضها الجميع(١٥٢)".

هذا، وقد أثر تحطم هذه الأطر الجماعية والعائلية بالسلب على عمليات استيعاب واحتواء تلك الجماعات اليهودية المغربية المهاجرة، كما مثل أحد العثرات في طريق تكيفهم مع المجتمع الجديد، وكان سببًا مباشرًا في تأخر مشاركتهم وممارستهم لدورهم داخل المجتمع.

وقد تحدث " شلومي بن عامي" عن الصعوبات التي واجهت والديه قائلاً: "أعتقد أن الأمر الجوهري هو إحساسهما المفاجئ بالعزلة، دون تلك الحماية التي توفرها الجماعة. إذ وبصورة مفاجئة أصبحا يعيشان لذاتهما، وأصبحا وحيدين تمامًا في مواجهة مؤسسة بعيدة وغير واضحة، ومع لغة أخرى ومعايير غير مفهومة، وفي خضم موجات من الهجرة الجماعية، حيث لا أهمية فيها للإنسان الفرد ولا قيمة له. وأعتقد أنه بالنسبة إليهما، كما بالنسبة إلى أناس آخرين كثيرين، كانت الصدمة في تحطم الأطر الثقافية الجماعية التي كان ينتميان إليها. لقد وجدا أنفسهما فجأة يقفان في وجه عالم غير مفهوم(١٥٣)".

وعلى العكس من المثال الكلاسيكي حيث ترتبط الهجرة بالرغبة في التحسن الفردي والعائلي والجماعي، فإن هذه العملية بالنسبة لليهود الشرقيين في إسرائيل كانت معكوسة إلى حد كبير وما كان للمهاجرين الإشكناز من روسيا أو بولندا "علياه-(حرفيًا: صعود)" أي هجرة، كان للمهاجرين الشرقيين من العراق أو مصر "يريداه-(انحدار)" أي نزوح. وإذا كان للأقليات الإشكنازية المضطهدة حل معين وشبه خلاص للثقافة، فقد كان للشرقيين القضاء الكامل على تراث ثقافي، وخسارة هوية، وانحطاط اقتصادي واجتماعي(١٥٤).

(٢) موقف السفاراديم

لم يقف يهود المغرب، وغيرهم من اليهود الشرقيين، مكتوفي الأيدي تجاه الممارسات الإشكنازية، بل كانت لهم مواقف واضحة للحفاظ على هويتهم وكيانهم الثقافي، ومن أبرز هذه المواقف ما يلي:

(أ)التأكيد على الهوية العرقية

إن اليهودي المصري أو العراقي عندما كان يعيش في وطنه كان يطلق عليه اسم يهودي، وبالتالي كانت يهوديته جزءًا من شعوره بالذات، ولكنه عندما ذهب إلى إسرائيل أطلقوا عليه هناك اسم المصري أو العراقي، وبالتالي أصبحت عراقيته أو مصريته جزءا من إحساسه بذاته

وبيهوديته، وهذا جعله يحرص على الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية والثقافية مع اليهود الآخرين الذين أتوا من مصر أو العراق، بينما فقدت اليهودية دورها كأداة للتماسك الاجتماعي، أو على حد قول الكاتب اليهودي فينجرود: " إذا كان هؤلاء المهاجرون يهودًا في المغرب، فإنهم أصبحوا في إسرائيل مغربيين"(١٥٥).

ويختلف الأمر بالنسبة للإشكناز، وخاصة العلمانيون، فيتضاءل التأكيد على الهوية العرقية المحددة مثل "بولندي" أو "روماني"، بسبب العلاقة السلبية مع الماضي(١٥٦).

ومن ذلك يتضح، أن المجتمع الإسرائيلي هو الذي دفع أبناء الطوائف الشرقية للتأكيد على الأصول الإثنية، ودفعهم لوضع هويتهم الإثنية الخاصة ("مغربي" أو"عراقي" أو "مصري") كقيمة عليا عن الإسرائيلية. فاليهود المغاربة ينظرون إلى أنفسهم أولاً على أنهم يهود مغاربة ثم بعد ذلك على أنهم إسرائيليون، بينما الإشكناز ينظرون إلى أنفسهم على أنهم إسرائيليون أولاً ثم يهود بعد ذلك.

ووفقًا لهذا المبدأ، يحرص اليهود الشرقيون على إبراز الهوية الشرقية في مختلف تعاملاتهم فيكفي أن تقوم بجولة في حي هتكفا في تل أبيب أو في أي تجمع سفارادي في البلاد كي تلمس الروابط التي تشد هؤلاء اليهود إلى الثقافة العربية، فالمطاعم في تلك الأحياء لا تقدم إلا الطعام العربي، والباعة يعلنون عن جودة خضارهم وفواكههم برطانة عربية-عبرية، بالرغم من أن الأكثرية الساحقة منهم ولدت وترعرعت في إسرائيل. وفي المقاهي يطلقون العنان لصوت أم كلثوم وسليمان المغربي وعبد الحليم حافظ، كما أن الألحان الأكثر شعبية تتألف من أنغام شرقية ألفها فنانون من أصل عراقي ويمني ومراكشي(١٥٧).

(ب)العلاقة الحميمة ببلد المنشأ

حافظ يهود المغرب على صلات وطيدة بالمغرب وارتباط وثيق بمجتمعهم السابق، وكانت وسائلهم للحفاظ على هذه العلاقة: التأكيد على استمرارية بعض العادات والسلوكيات المميزة للطائفة اليهودية المغربية التي أصبحت تحظى بشعبية كبيرة في أوساط التجمعات اليهودية المغربية المهاجرة(مثل الاحتفال بعيد الميمونة، وزيارة الأضرحة، والموسيقى المغربية وبعض الأكلات المغربية كالكسكس)، وكذلك الحرص على زيارة المغرب، لتفقد معالم النشأة وزيارة الأماكن المقدسة، لاستعادة ذكريات الماضي الجميل على الواقع، وهو ما يمكن أن يطلق عليه مسمى العودة إلى الجذور. وهناك وسيلة أخرى لاستعادة ذكريات الماضي الجميل، وذلك عن

طريق العودة الأدبية ومحاولة إعادة بناء هذا الماضي بكل ملامحه، الأمر الذي نلمسه بوضوح لدى الكثير من الأدباء من أبناء الطوائف الشرقية على اختلاف أصولهم.

وتعد المغرب من أوليات الدول العربية التي فتحت أبوابها أمام عودة اليهود منذ عام ١٩٧٦م، فمنذ اللحظة الأولى التي سمح فيها الملك "الحسن الثاني" بفتح أبواب المغرب أمام المهاجرين اليهود المغاربة الراغبين في زيارة وطنهم الأول، بدأ يتدفق عشرات الزائرين اليهود على المغرب(١٥٨).

وقد حرصت شخصيات بارزة مغربية الأصل على مشاركة البلد الأم "المغرب" في احتفالاتها، ففي عام ١٩٨٦م، نظم عضو الكنيست السابق "آشير حاسين"، وهو من أصل مغربي من حزب العمل ورئيس "اتحاد مهاجري شمال إفريقيا"، في "بت يم" احتفالية بمناسبة حلول الذكرى الخامسة والعشرين لجلوس الملك "الحسن الثاني" على عرش المملكة المغربية الشريفية. كما غرس "آشير حاسين" غابة على شرف الملك "محمد الخامس"، وكان قد غرس من قبل غابة أخرى في راموت بالقرب من القدس على اسم الملك "محمد الخامس"(١٥٩).

(٣) التأثير الثقافي اليهودي المغربي

كان الملمح الثقافي البارز في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين هو الظهور العلني لبعض الرموز الفلكلورية من احتفالات وعادات وسلوكيات إثنية، مثل زيارة الأضرحة والاحتفالات بعيد الميمونة المغربي وعيد السهرانا الكردي، وذلك بعد فترة من الخوف والقلق والخجل من مثل هذه المكونات الثقافية الشديدة المحلية، والارتباط بأبناء الطائفة. فمع مطلع السبعينات بدأ يظهر نوع من الاتجاه الإيجابي نحو الماضي والحنين إلى تراث الآباء وثقافتهم، واكتسبت هذه المظاهر الإثنية نوعًا من الشرعية الثقافية. ولعل هذا التحول هو حلقة في منظومة متكاملة شملت مختلف جوانب المجتمع الإسرائيلي، وهو التحول نفسه الذي ظهر على ساحة الأدب العبري، حيث بدأ يظهر الصوت الشرقي معبرًا عن مشاكل أبناء الطوائف اليهودية الشرقية، وهو ما حدث أيضًا في المجال السياسي، حيث بدأت تظهر بعض الشخصيات السياسية ذات الأصول اليهودية الشرقية بصورة ملحوظة داخل الأحزاب والحركات السياسية المختلفة. ومن المرجح أن تعليل هذا التحول يرتبط في المقام الأول بالكثرة العددية للطوائف اليهودية الشرقية وثرائها الثقافي، وعدم قدرة المجتمع الإسرائيلي على هضم واستيعاب هذه الفئات وتذويبها وسلخها عن ماضيها، وهو الأمر الذي سوف تتضح معالمه، خلال السنوات

الأخيرة من القرن العشرين، عندما ينتهج المجتمع الإسرائيلي سياسة التعددية الثقافية ويتبنى العديد من الاحتفالات والعادات الإثنية.

وتلي مرحلة الظهور مرحلة أخرى، هي مرحلة التأثير والتأثر والمشاركة من قبل أفراد الجماعات الأخرى في مثل هذه الاحتفالات، وفيما يلي أربعة نماذج ثقافية تحولت من كونها عادات مقصورة على الطائفة المغربية إلى عادات مميزة للمجتمع الإسرائيلي ككل، وهي كما يلي:

(أ) زيارة الأضرحة

أمام صعوبات الحياة في السنوات الأولى في إسرائيل، وخيبة الأمل من الأمل المسيحاني، كانت الأضرحة موردًا ثقافيًا من الصعب التخلي عنه، ولكن كان من المستحيل التعامل معه واستخدامه في حجم الماضي، في ضوء قلة الأضرحة في إسرائيل، وعلى ما يبدو أنه لم تختف هذه الظاهرة في خمسينات القرن العشرين، لكنها قلت جدًا، كما أن أشكال التعبير العلنية الجماعية كانت ممنوعة، فكانت الاحتفالات تجري في إطار عائلي أو في إطار الحي. لكن خلال الستينات والسبعينات، حدث اتجاه يسعى للاهتمام بإعادة إحياء ظاهرة زيارة الأضرحة(١٦٠).

وقد اتخذ يهود المغرب في إسرائيل ثلاث بدائل لتعويض نقص الأضرحة في إسرائيل، وهي كالتالي:

- "ضم " أماكن تتعلق بأصحاب أضرحة محليين، بمعنى " مغربة " سلوكيات الزيارة والاحتفالات التي تجرى حول الأضرحة اليهودية داخل إسرائيل، مثل ربي شمعون بر يوحاي وربي مئير بعل هنيس، وكذلك تبنيهم شخصيات دينية تنتمي لطوائف يهودية أخرى مثل ربي حوني همعجال في حتسور وربي رفين جمليئيل في يفنه.
- "إتخاذ " شخصيات دينية مرموقة كأصحاب أضرحة جدد معاصرين، كما حدث في الاحتفال الكبير الذي أقيم في بئر سبع حول قبر ربي حييم حوري الذي مات عام ١٩٥٧م.
- إحياء تقاليد متعلقة بزيارة الضريح، و" نقل رمزي " لصاحب الضريح من المغرب إلى إسرائيل، ويتم هذا بمبادرة من أحد الأشخاص عندما يظهر له صاحب الضريح في الحلم ويخبره عن المكان الجديد الذي يرغب أن يقام له فيه ضريح جديد، وطبقت هذه الطريقة عند إقامة ضريح الربي دافيد موشية في صفد عام ١٩٧٣م، والذي أصبح

البديل الجديد لضريحه في جبال الأطلس. وكذلك بوابة جنة عدن التي اكتشفت عام ١٩٧٩م في بيت شان وهى ترتبط بروايات أسطورية خاصة بالنبي إلياهو(١٦١). ويعلل اليهود ظاهرة وجود أكثر من ضريح للصديق الواحد في إسرائيل؛ بأن الصديق لا يدفن في أي من هذه القبور؛ حيث يصعد إلى السماء بعد موته لقربه ومحبته للرب (١٦٢).

ومن أبرز الأماكن التي يزورها يهود المغرب في إسرائيل، ما يلي:

- مزار للربي دافيد موشيه وله ثلاثة مراكز رئيسة: أ- في أشكلون "عسقلان" [اقيم في أوائل الستينات]؛ ب- في أوفاقيم؛ ج-في صفد[أقيم عام ١٩٧٣م].
- قبر ربي مئير بعل هنيس في طبرية، وقبر ربي شمعون بر يوحاي في ميرون،
- قبر ربي حاييم حوري – التونسي الأصل- في بئر سبع، وقبر ربي يتسحاق أبو حصيرا في الرملة، الذي يدعى باسم " آفا حاخي"(١٦٣).
- قبر ربي حوني همعجال في حتسور، وقبر ربي رفين جمليئيل في يفنيه في الجليل،
- مدخل جنة عدن في بيت شان الذي اكتشف عام ١٩٧٩م (١٦٤).
- قبر ربي يوحنان بن زكاي في منطقة يفنه(١٦٥).

هذا بالإضافة إلى الحائط "الغربي " [حائط البراق]، وقبور الآباء في مقبرة المكبيلا [الحرم الخليلي]، وقبر راحيل، وقبر شمعون ومغارة النبي إلياهو. ولا يكتف يهود المغرب بمجرد زيارة عادية يوم الاحتفال ذاته، بل يأتون ويقيمون عند الضريح عدة أيام ويمارسون نفس الطقوس التي اعتادوا أن يمارسوها في المغرب من الذبح عند الضريح وقضاء وقت جميل في أحضان الطبيعة والغناء والرقص والشرب(١٦٦).

ويلاحظ، أن زيارة الأضرحة هي أحد الوسائل التي اتخذها يهود المغرب للعودة إلى الماضي المغربي الجميل [وهروبًا من الواقع الإسرائيلي المرير]، لكنهم لم يتمكنوا من إحياء هذه الظاهرة إلا بعد أن تحسنت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وبعد أن تقلدت بعض الشخصيات الإسرائيلية ذات الأصول اليهودية المغربية مناصب سياسية مرموقة في إسرائيل(١٦٧).

ومن الجدير بالذكر، أن معظم هذه الأضرحة توجد في بلدات التطوير ذات الكثافة السكانية المغربية العالية أو بالقرب من التجمعات اليهودية المغربية الأخرى. ولعل اكتشاف أو اتخاذ مثل هذه الأضرحة في مثل تلك المناطق النائية كانت وسيلة لجذبهم للمكان ودفعهم للبقاء وعدم الرحيل عنه (١٦٨).

وقد برزت ظاهرة تبجيل الأضرحة بصفة خاصة في حالات التوتر الأمني والحرب، فقد أقيم مزار الربي دافيد موشيه في مدينة صفد في أعقاب حرب ١٩٧٣م، ويقال إن تدخل صاحب الضريح ظهر في إنقاذ معالوت. كما يبرز هذا الدافع الأمني في الاحتفالات بالربي حوني همعجال في حتسور، التي يقال إنها مرتبطة بعملية إنقاذ المدينة من هجوم السوريين في حربي ١٩٦٧م و ١٩٧٣م (١٦٩). وهو نفس الشيء بالنسبة لربي شمعون بر يوحاي مع سكان ميرون(١٧٠).

ومن أشهر العائلات التي تحظى بالتقديس والتبجيل لدى يهود المغرب عائلة "أبو حصيرا " الذائعة الصيت ذات المكانة الدينية المرموقة، التي ينسب لها العديد من الحاخامات والصديقين وأصحاب الأضرحة في إسرائيل وفي شمال إفريقيا، ومن بينهم ربي "يعقوب أبو حصيرا ". وتتمركز عائلة "أبو حصيرا " الآن في مدينة بئر سبع في إسرائيل، ومن أشهر أفرادها ربي "إسرائيل أبو حصيرا"(١٧١).

ويقوم "ربي براش" المعروف باسم "بابا براش"، ابن ربي " إسرائيل أبو حصيرا "، بتنظيم الاحتفال السنوي لذكرى "إسرائيل أبو حصيرا"، وقد تحول بدوره إلى صديق، وهو على قيد الحياة، حيث يقوم ببيع البركات إلى الزوار الراغبين في العلاج أو حل المشاكل، واستطاع "براش" أن يحول مناسبة الاحتفال التذكاري هذه إلى مناسبة سياسية، حيث نجح في خلط ودمج الأهداف والدوافع السياسية والدينية معًا، وأصبح الاحتفال السنوي بإسرائيل أبو حصيرا احتفالاً سياسيًا(١٧٢).

وأخذ يتدفق على الأسر المؤسسة لهذه الاحتفالات [مثل أسرة أبو حصيرا] الدعم المالي المناسب، وامتيازات سياسية جيدة، خاصة مع تأسيس حزب تامي بزعامة "آهارون أبو حصيرا"(١٧٣). هكذا؛ تحولت الأضرحة في إسرائيل إلى ما يشبه المشروع الاستثماري، فهي تعد مصدرًا رئيسيًا للثراء المالي والنفوذ الروحي والسياسي.

كما أصبحت زيارة الأضرحة إحدى الوسائل غير الحكومية لفتح قنوات اتصال مع الأطراف العربية لتهدئة الأوضاع، ومحاولة غير مباشرة لإحلال السلام في المنطقة.

وقد جاءت المبادرة بتهدئة الأوضاع هذه من قبل الملك "الحسن الثاني" عندما سمح ليهود المغرب، المهاجرين في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك إسرائيل، بالحضور "لزيارة الأضرحة"؛ كمحاولة من الملك "الحسن الثاني" لإيجاد فرص للتقارب بين الدول العربية خاصة بين مصر وإسرائيل بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م(١٧٤).

(ب) احتفالات الميمونة

كان يهود المغرب في إسرائيل يحتفلون بعيد الميمونة بأسلوب وطريقة مشابهة للاحتفال التقليدي في فاس ومكناس، لكنه كان احتفالاً بسيطًا ولا يأخذ صورة جماعية أو علنية. واقتصر على الاحتفال مساء العيد على المائدة. ولكن هذا الاحتفال تزايد تدريجيًا حتى أصبح العيد القومي الإسرائيلي، فقد بدأت جماعة من المهاجرين المغاربة النشطين سياسيًا في ترتيب وإحياء ورعاية هذا العيد، والإشراف على إقامته. ففي سنة ١٩٦٦م، احتفل ٣٠٠ يهودي بعيد الميمونة وكانوا من فاس، وفي ١٩٦٧م اشترك ٥ آلاف يهودي حيث قدم اليهود المغاربة الدعوات لليهود لمشاركتهم هذا الاحتفال، ومن ثم لم يكن كل المحتفلين من المغاربة، وفي عام ١٩٦٨م ارتفع عدد المشاركين إلى ١٠ آلاف يهودي، وفي عام ١٩٦٩م وصل عدد المحتفلين إلى ٢٠ ألف من مختلف المناطق، وفي عام ١٩٧٢م اشترك نحو ١٢٠ ألف من كل أنحاء البلاد وأقيمت الاحتفالات في الشوارع وأقيم أكثر من ٦٠ مكانًا للاحتفال، وفي عام ١٩٧٥م اشترك أكثر من مليون يهودي، كما شاركت نحو ٣٠٠ شخصية من فرنسا ومن مختلف أنحاء أوروبا ومن كندا(١٧٥).

وكان يحتفل بعيد الميمونة في حدائق "جان ساكر" في مدينة القدس، ثم نقلت مؤخرًا إلى ميدان بلدية القدس، ويرتدي الحضور خلال الاحتفال ملابس العيد التقليدية " الطربوش الأحمر والعباءة المغربية البيضاء" ويرددون بركة الميمونة التقليدية " تربحوا وتسعدوا " (١٧٦).

وتبدأ احتفالات الميمونة بإحياء التجمعات المسائية، فعلى طول إسرائيل وفي جميع أحياء المغاربة تعد العائلات أطعمة العيد وتتبادل الزيارات، وفي صبيحة اليوم التالي ينتقل المشهد للحدائق حيث يحتشد المحتفلون، ويتم بناء مسرح كبير متخم بالإعلانات والزينات، ومكبرات الصوت المدوية، وفي وسط الحديقة وبالقرب من المسرح يتم نصب خيمة للعروض الفنية الشعبية العرقية، ويتم حجز أكبر الخيم للمغاربة، وتوجد خيمة تقدم فنون وموسيقى يهود كردستان ويهود جورجيا ويهود أمريكا الجنوبية ويهود أثيوبيا. ويمضى اليوم في شواء اللحم والغناء والرقص والاسترخاء في الشمس. ويبدأ البرنامج الرسمي عند الظهيرة فتقوم مجموعة

الممثلين والمؤدين بالغناء والرقص، ويقوم القادة السياسيون بإلقاء الخطب، حيث يحضر كل من رئيس الدولة ورئيس الوزراء، ولفيف من الوزراء إلى جانب عدد من قادة الأحزاب السياسية(١٧٧).

وتقوم وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة بنقل وقائع الاحتفال على الهواء مباشرة، كما تقوم الصحف المختلفة بإفراد صدر صفحاتها لتغطية هذا الحدث الاحتفالي. ويحظى احتفال الميمونة باهتمام كبار الزعماء والساسة الإسرائيليين وعلى رأسهم زعماء حزب العمل والليكود، فهو يعد فرصة جيدة لكسب أصوات أبناء الطائفة المغربية ذات الثقل العددي، إلى حد أن عيد الميمونة أصبح مؤشرًا دقيقًا لتحديد من سيفوز ومن سيخسر في الانتخابات العامة.

وقد عبرت عن هذا الاتجاه "داليا ايتسيك"، عضو الكنيست عن حزب العمل، بقولها: "هذا احتفال سياسي ومن يقول غير ذلك فهو كاذب". وصرح "يتسحاق نافون" رئيس الدولة السابق قائلاً: " هل يوجد أفضل للسياسيين من احتفال الشمال إفريقيين الذي من الممكن أن يجذب لهم الكثير من الأصوات ؟ إنني مستعد أن أجزم أن احتفالات السهرانا للطائفة الكردية سيذهب إليها القليل من السياسيين، لأن الأكراد أصواتهم قليلة جدًا " (١٧٨).

وأصبحت الميمونة عطلة وطنية إسرائيلية، وساعد نجاحها على جعل الانتماء الإثني والتعددية مشروعين في المجتمع الإسرائيلي، فقامت مجموعات مهاجرة أخرى بنسخ هذا الاحتفال، وأصبحت الميمونة النموذج الأصلي للاحتفالات الإثنية الإسرائيلية(١٧٩). فيحتفل يهود كردستان بعيد السهرانا على غرار عيد الميمونة. وبسبب تعارض الاحتفال بهذا العيد مع الاحتفال بعيد الميمونة في الربيع ، نقل يهود كردستان احتفالهم إلى أيام عيد المظال في الخريف، ويتم الاحتفال بالقرب من إحدى القرى ذات الكثافة الكردية، حيث يتجمع الآلاف من الكردستانيين يأكلون، ويعزفون ويغنون التراتيم التقليدية الشعبية، ويستمعون إلى خطب السياسيين الإسرائيليين. كما يحتفل يهود إيران بعيدهم المسمى "روزي بيجه" في اليوم التالي لعيد الفصح في "رمات جان". ويحتفل يهود الفلاشا بعيدهم المسمى "سيجد" في القدس، ويقوم الأثيوبيون بالصلاة الجماعية والصيام، حيث يجتمعوا من كل أنحاء إسرائيل فوق تل أو جبل صغير يطل على القدس، وينزلون بعد يوم كامل من الصلاة، وسماع المواعظ الدينية في صمت، ويسيرون في موكب إلى "الحائط الغربي". ويحضر هذا الاحتفال عدد من رجال السياسة(١٨٠).

(ج)التعاويذ

مازال قطاع كبير من أبناء الطائفة المغربية داخل إسرائيل يؤمنون بالقوى الخارقة للتعاويذ والأحجبة للحماية من الحسد، وللتداوي من الأمراض، وللإنجاب، ولجلب الحظ وتوسيع الرزق. ويسود هذا الاعتقاد في أوساط الطبقات ما دون المتوسطة ذات الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية المتدهورة كما في "شلومي" إحدى بلدات التطوير ذات الكثافة السكانية المغربية العالية(١٨١).

ولا يقتصر الأمر على العامة فقط، بل يوجد من بين الزعماء السياسيين ذوي الأصل اليهودي المغربي من يؤمن بمثل هذه الخرافات، وأبرزهم زعماء حزب "شاس". ففي انتخابات الكنيست الرابع عشر عام ١٩٩٦م، أمر "أرييه درعي" أتباعه أن يحملوا معهم حجاب الحصن الحصين، عند دخولهم إلى مراكز الاقتراع، وأن يضعوه داخل صناديق الانتخابات مع بطاقات التصويت، وقال إن هذا الحجاب له مفعول السحر في إنجاح مرشحيهم. أما في انتخابات عام ١٩٩٩م، أوعز "أرييه درعي" إلى أنصاره بأن يعمدوا عند وضعهم بطاقات الانتخاب في الصناديق إلى ترديد تعويذه خاصة شفاهة مأخوذة من سفر المزامير(١٨٢).

وقد رفع "أرييه درعي" من شأن ثقافة الأحجبة والتعاويذ منذ انتخابات الكنيست الثاني عشر عام ١٩٨٨م. وهو بنفسه يؤمن بهذه الطريقة، ويحمل أرييه درعي في جيبه منذ ثلاث سنوات حجاب خاص مصنوع من الفضة حصل عليه من أحد كبار الحاخامات. وفي السنوات الأخيرة أخذت صناعة الأحجبة في حزب شاس في الازدهار(١٨٣).

(د)الكسكس

تحولت أكلة الكسكس المغربية من مجرد أكلة مقصورة على الطائفة اليهودية المغربية داخل المجتمع الإسرائيلي إلى أكلة شعبية مشهورة، حتى إنها أصبحت مدرجة على قائمة الطعام الرئيسة في الجيش.

ويتكون الكسكس من القمح المجروش والماء وينضج على صلصلة خضراوات مع اللحم. وهناك أنواع عديدة من الكسكس وأكثر هذه الأنواع شهرة هو الكسكس الحلو الذي يوضع فيه اللوز والزبيب، والجزر والبصل المسكر. وهناك كسكس بالأعشاب يقدم للمرأة العاقر لتصبح ولودًا (١٨٤)– هذا على حد زعمهم.

ومجمل القول، أن بعض مكونات الثقافة المميزة للطائفة اليهودية المغربية في إسرائيل، أخذت تفرض نفسها على الواقع الثقافي الإسرائيلي وأصبحت جزءا لا يتجزأ من هذا الكيان؛ وذلك بفضل قوة الوزن العددي ليهود المغرب وحرصهم الشديد على التواصل مع تراثهم، والحفاظ على ثقافتهم، والاعتزاز بهويتهم، وبفضل ثراء وتميز مثل هذه الأشكال الثقافية اليهودية المغربية، ولعدم اشتمال الثقافة الإشكنازية الرسمية للمجتمع الإسرائيلي على بدائل تعوض الطوائف اليهودية السفارادية عن ثقافتهم الشرقية.

الهوامش:

(١)كتاب الإحصاء السنوي لإسرائيل، لعام ٢٠٠٦، مرجع سابق.
(٢) انظر: أحمد الشحات هيكل، التمييز الطائفي للسفارديم في ضوء تجربة الاستيعاب، مجلة مختارات إسرائيلية، العدد ١٠٠، أبريل ٢٠٠٣، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، (ص ص ١٢٤- ١٢٨).
(٣)أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ٥٧).
(٤)أليكس واينجرود، "أشكال التكيف الأثني، توطن يهود العراق ويهود المغرب في إسرائيل دراسة مقارنة"، ترجمة:خليل توما، في: عادل مناع وعزمي بشارة "إعداد"، دراسات في المجتمع الإسرائيلي، مركز دراسات المجتمع العربي في إسرائيل، صندوق فريدريش إيبرت، بيت بيرل، إسرائيل، ديسمبر ١٩٩٥م، (ص ١٧٣).
(٥) المرجع نفسه.
(٦)خليل إبراهيم الطيار، مرجع سابق، (ص ٢٣٩).
(٧)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ١٦٩).
(٨)الأهرام، ١٩٩٧/٤/٣م.
(٩)وحيد محمد عبد المجيد، اليهود العرب في إسرائيل: احتمالات العودة واتجاهاتها، عدد رقم ٢٧، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أغسطس ١٩٧٨م، (ص ١٠٠).
(١٠)لمزيد من التفاصيل انظر: سامي ميخائيل، هذه أسباط بني إسرائيل: ١١ عشر حوارًا حول مسألة الطائفية، إصدار سفريات بوعليم، الكيبوتس القطري والحارس الفتي، تل أبيب، ١٩٨٤، (ص ص ٨٣- ٨٤)، [بالعبرية].
(١١)مأمون كيوان، مرجع سابق، (ص ص ١٤٥-١٤٦).
(١٢)أليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٧٤).
(١٣)يتسحاق موشيه عمانوئيل، مرجع سابق، (ص ٤٧).
(١٤)Chouraqui, Andre N., Op. Cit., (p. 298).
(١٥)أليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٧٣).
(١٦)Ben-Rafael ,Eliezer ,Op. Cit., (p.64).
(١٧) شلومو سفيريسكي ومناحيم شوشان، بلدات التطوير: في مواجهة غد متغير، إصدار يتير، ١٩٨٥، (ص ٥)، [بالعبرية].
(١٨)جفريئيل ليفشيتس، مدن التطوير: أساس جديد للتخطيط السياسي، إصدار معهد القدس لأبحاث إسرائيل، القدس، ١٩٩٠، (ص ٣٤)، [بالعبرية].
(١٩)انظر:عفرا كينان، إقامة منطقة تعناخ في الخمسينات، في: وادي يزرعئيل (مرج ابن عامر)، ١٩٠٠- ١٩٦٧: مجموعة من المقالات المختارة، ١٩٩٣، (ص ص ١٧٨- ١٨٠، ١٨٣- ١٨٤)، [بالعبرية].
(٢٠)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٢٩٦).
(٢١)مأمون كيوان، مرجع سابق، (ص ١٤٦).
(٢٢)شلومو سفيريسكي ومناحيم شوشان، مرجع سابق، (ص ص ١- ٢).
(٢٣)انظر: المرجع نفسه، (ص ١٦، ٣٣).
(٢٤)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ١٤٨).
(٢٥)انظر: المرجع نفسه.

(٢٦)قسم الدراسات (إعداد)، التمييز العنصري أبرز معالم الصهيونية، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨٢م، (ص ٨٦).

(٢٧)محمد السيد سعيد وأميرة سلام، استيعاب المهاجرين في إسرائيل: وتناقضات المجتمع الصهيوني، عدد رقم ٢١، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، فبراير ١٩٧٨م، (ص ٦٥).

(٢٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ١٤٩).

(٢٩)هجرة الشباب: تأسست في ألمانيا عام ١٩٣٤م، بهدف تهجير الشباب والأطفال إلى فلسطين واستيعابهم في المستوطنات وإعدادهم لحياة العمل والزراعة. ومنذ عام ١٩٤٨م، استوعبت "هجرة الشباب" بالإضافة إلى الشباب والأولاد المهاجرين الجدد، أولادًا وشبانًا من ضواحي المدن ومن قرى التنمية. وتقوم بمنح هؤلاء الشباب بالإضافة للإطار الاستيعابي، خدمات طبية واجتماعية وملابس وتدريب وخدمات دينية وتنظيم معسكرات صيفية.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ص ٣٣٤-٣٣٥).

(٣٠)يوسيف مئير، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(٣١)محمد السيد سعيد وأميرة سلام، مرجع سابق، (ص ٦٥).

(٣٢)Ben-Rafael ,Eliezer ,Op. Cit., (p.101).

(٣٣)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ١٨١).

(٣٤)انظر: المرجع نفسه، (ص ص ١٨١-١٨٣).

(٣٥)انظر:المرجع نفسه، (ص ص ١٨٩-١٩٢).

(٣٦)وحيد محمد عبد المجيد، مرجع سابق، (ص ١٣٠).

(٣٧)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٢٤٤).

(٣٨)أفيشاي مرجليت، "إسرائيل الأخرى"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٦،خريف ١٩٩٨م، بيروت، (ص ١٣٦).

(٣٩)خليل إبراهيم الطيار، مرجع سابق، (ص ص ٢٤٣-٢٤٤).

(٤٠)وحيد محمد عبد المجيد، مرجع سابق، (ص ١١١).

(٤١) جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٢٦٠).

(٤٢) لمزيد من التفاصيل انظر: يتسحاق موشيه عمانوئيل، مرجع سابق، (ص ص ٢٧- ٢٨).

(٤٣)يوسيف مئير، مرجع سابق، (ص ٤١).

(٤٤)انظر: أحمد الشحات هيكل، الاحتجاج الاجتماعي لليهود السفارادبم..مراجعة تاريخية، مجلة القدس، عدد ٩١، يوليو ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة، (ص ص ٧٥-٨٨).

(٤٥)يتسحاق موشيه عمانوئيل، مرجع سابق، (ص ٤٩).

(٤٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣١٤).

(٤٧) المرجع نفسه، (ص ٣١٥).

(٤٨) أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٠٨).

(٤٩)أليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٧٥).

(٥٠)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣١٤).

(٥١) بيير تريكانو، السيفراديون-البرو ليتاريا الصهيونية"، في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادية، لمجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة: فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت،١٩٨١م، (ص ١٥٦).

(٥٢)انظر: أنيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٠٩).

(٥٣)إيتان كوهين، المغربيون- الصورة السلبية للإشكنازيم، دار نشر ريسلنج، ٢٠٠٢، (ص ٩٦)، [بالعبرية].

(٥٤)داش:الحركة الديموقراطية من أجل التغيير"، بزعامة يجآل يادين. تكونت قبيل انتخابات ١٩٧٧م من: "الحركة الديمقراطية" التي شكلها يجآل يادين في نوفمبر ١٩٧٦م، و" شينوي" التي شكلها أمنون روبنشتاين عقب حرب ١٩٧٣م، و"المركز الحر" برئاسة شموئيل تامير ومنظمة "عوديد".وقد حصلت على ١٥ مقعدًا، وانضمت لحكومة الليكود.(انظر: الهيئة العامة للاستعلامات"ناشر": تطور الأحزاب والحركات السياسية في إسرائيل، دراسة تحليلية، ١٩٨٤م، ص ص ٣٦-٣٧).

(٥٥)إيتان كوهين، مرجع سابق، (ص ٩٥).

(٥٦) شلومو مالكا، "الفهود السود"، في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادية، لمجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة: فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت،١٩٨١م، (ص ص ١٦٩-١٧٠).

(٥٧) شالوم كوهين، "المنفى في العودة للوضع السفارادي عام ١٩٧٨م"،في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادية، لمجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة: فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت،١٩٨١م، (ص٩٢).

(٥٨)جولدا مائير : (٣ مايو ١٨٩٨ – ٨ ديسمبر ١٩٨٧م). رابع رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية، خــلال الفترة الممتدة من بين ١٧ مارس ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤م. وُلدت جولدا مابوفيتز في مدينة كييــف أوكرانيــا وهاجرت مع عائلتها إلى مدينة ميلواكي في ولاية ويسكونسن الأمريكية عام ١٩٠٦م. تخرجت مــن كلّيــة المعلمين وقامت بالعمل في سلك التدريس وانضمّت إلى منظمة العمل الصهيونية في عام ١٩١٥م. ومن ثمّــة، قامت بالهجرة مرّة أُخري ولكن هذه المرّة إلى فلسطين وبصحبة زوجها موريس مايرسون في عام ١٩٢١م. ولّما مات زوجها في عام ١٩٥١م، قررت جولدا تبني اسم عبري فترجمت اسم زوجها إلى العبرية (مائير). إنتقلت جولدا إلى مدينة تل أبيب في عام ١٩٢٤م وعملت في مختلف المهن بين إتّحاد التجارة و مكتب الخدمة المدنية قبل أن يتمّ انتخابها في الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٤٩م. عملت جولدا كوزيرة للعمل في الفترة ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦م وكوزيرة للخارجية في الفترة ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦م في أكثر من تشكيل حكومي. وبعــد وفــاة رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول في فبراير ١٩٦٩، تقلّدت جولدا منصب رئيس الوزراء وقد تعرّضت حكومة التآلف التي ترأستها للنزاعات الداخلية وأثارت الجدل والتساؤلات في مقدرة حكومتها على القيــادة خاصّة بعد الهجوم العربي المباغت والغير مُتوقّع، والذي أخذ الإسرائيليين علــى حــين غــرّة في ٦ أكتــوبر ١٩٧٣م. تعرّضت جولدا مائير لضغوط داخلية نتيجة الأحداث التي سلفت فقامت على تقــديم اســتقالتها وعقبها في رئاسة الوزراء يتسحاق رابين. وفي ٨ ديسمبر ١٩٧٨م، ماتت جولدا مــائير ودفنــت في مدينــة القدس. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:http://ar.wikipedia.org/wiki/)

(٥٩)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ص ٣١٥-٣١٦).

(٦٠) شلومو مالكا، مرجع سابق، (ص ١٧٠).

(61)لمزيد من التفاصيل انظر: صحيفة البيان، " المتطرفون يتحولون إلى إرهابيين عندنا "، الجمعة ١٣ رجب ١٤٢٣هـ - ٢٠ سبتمبر- 2002 العدد ٥٩٢:
http://www.albayan.co.ae/albayan/seyase/2002/issue592/stories/1.htm

(62) المرجع نفسه.

(٦٣)مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦م، (ص ص ٢٥٦-٢٥٧).

(٦٤) انظر:حنا هرتسوج، إثنية سياسية- بين الخيال والواقع: تحليل اجتماعي تاريخي للقوائم الإثنيــة في مجلــس النواب والكنيست (١٩٢٠- ١٩٨٤)، إصدار الكيبوتس الموحد، ١٩٨٦، (ص ١٥٣)، [بالعبرية].

(٦٥)قسم الدراسات، التميز العنصري أبرز معالم الصهيونية، مرجع سابق، (ص ص ٥٠-٥١).
(٦٦)انظر:جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٧١).
(٦٧)شلومو مالكا، مرجع سابق، (ص ص ١٧٠-١٧١).
(٦٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٢٠).
(٦٩)انظر:المرجع نفسه، (ص ص ٣٢٠-٣٢١).
(٧٠)المرجع نفسه، (ص ٣٢١).
(٧١) شلوم مالكا، مرجع سابق،(ص ١٧٥).
(٧٢) شالوم كوهين: ولد في مصر وعاش في العراق ومنها هاجر إلي إسرائيل.
(٧٣) أوري أفنيري:صحفي وسياسي إسرائيلي مشهور، ورئيس تحرير مجلة "هاعولام هازيه- هذا العالم"، ومؤسس حركة تحمل ذات الاسم، يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام ١٩٦٥م عندما انتخب أفنيري عضوًا للكنيست فجمع العرب واليهود في هذه الحركة، التي خاضت انتخابات الكنيست أعوام ٦٥ ،٦٩ و٧٣. تنادي الحركة بإقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.(انظر: تطور الأحزاب، مرجع سابق، ص ٣٤).
(٧٤)انظر: التمييز العنصري أبرز معالم الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٥٢).
(٧٥) حنا هرتسوج، مرجع سابق، (ص ص ١٢٦- ١٢٧).
(٧٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٢٥).
(٧٧)حنا هرتسوج، مرجع سابق، (ص ١٢٥).
(٧٨)المرجع نفسه، (ص ١٥٨).
(٧٩)شلي: اختصار للمسمى العبري الذي يعني "السلام لإسرائيل"، ظهرت قبل انتخابات عام ١٩٧٧م. ضمت عددًا كبيرًا من الحركات اليسارية الاشتراكية، مثل:حركة "موكيد"، وجناح من الفهود، وحركة "الاشتراكيين المستقلين"،وحركة "هاعولام هزيه" وأعضاء من مجلس السلام الإسرائيلي-الفلسطيني. وتنادي بإقامة سلام مع العرب على أساس إقامة دولة فلسطينية مستقلة وإعادة الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧م.(انظر: تطور الأحزاب، مرجع سابق، ص ص ٣٤-٣٥).
(٨٠)ركاح:تشكل بعد انفصال الحزب الشيوعي الإسرائيلي إلى راكاح وماكي عام ١٩٦٥م(انظر: المرجع نفسه،ص ص ١٤-١٦).
(٨١)حاداش:تهدف سياستها الخارجية إلى تسوية القضية الفلسطينية، كما توافق على إقامة دولة فلسطينية في الضفة وغزة، وتدعو إلى المساواة الكاملة لعرب ٤٨ .(انظر: المرجع نفسه، ص ص ٣٥-٣٦).
(٨٢)مردخاي ساسون، "بين التمرد والانطواء مقابله مع الآباء المؤسسين للفهود السود الإسرائيليين"، في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادي، مرجع سابق، (ص ١٧٩).
(٨٣)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٢٥).
(٨٤)انظر: المرجع نفسه، (ص ٣٧٠).
(٨٥)التمييز العنصري أبرز معالم الصهيونية، مرجع سابق، (ص ٧٤).
(٨٦) صحيفة هاآرتس ٨١/١/٩م.
(٨٧)انظر:أليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ص ١٧٥-١٧٦).
(٨٨)إيلا حبيبة شوحط، "اليهود الشرقيون في إسرائيل: الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها اليهود"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨م، بيروت، (ص ١١٦).
(٨٩)انظر: جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٣٢).

(٩٠)إيتان كوهين، مرجع سابق، (ص ٩٥).
(٩١)المرجع نفسه، (ص ٩٧).
(٩٢)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٣٣).
(٩٣) بيير تريكانو، مرجع سابق، (ص ١٥٩).
(٩٤)إيتان كوهين، مرجع سابق، (ص ٩٥).
(٩٥) شلومو مالكا، مرجع سابق، (ص ١٧٥).
(٩٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٣٢).
(٩٧)إيتان كوهين، مرجع سابق، (ص ٩٨).
(٩٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٣٤).
(٩٩)المرجع نفسه، (ص ص ٣٦٩-٣٧٠).
(١٠٠)انظر: المرجع نفسه، (ص ٣٨٢، ٤٠٢).
(١٠١)الليكود:"التكتل"ظهر هذا التكتل نتيجة لتحالف عدة أحزاب وقوى سياسية وكتل برلمانية إلا أن دعامته الأساسية تكمن في كتلة "جاحال" المكونة من "حيروت"وحزب" اليبراليين".وقد تشكل الليكود رسميًا في ١٩٧٣/٩/١٣م من :كتلة جاحال، وكتلة حزب القائمة الرسمية "بقايا حزب رافي"، وحركة العمل الرسمية، وكتلة أحدوت وكتلة ياعد. (انظر: الهيئة العامة للاستعلامات، تطور الأحزاب، مرجع سابق، ص ٢١).
(١٠٢) المعراخ: "التجمع"- وهو تجمع أحزاب شكل عام ١٩٦٥م بمبادرة من حزب "الماباي" و"أحدوت هاعفودا- اتحاد العمل" و"عمال صهيون"، للعمل بصورة مشتركة في مؤسسات الدولة . وفي ١٩٦٨م أقام "المعراخ" مع "رافي" (قائمة عمال إسرائيل، التي أسسها بن جوريون عام ١٩٦٥) حزب العمل الإسرائيلي.(انظر: أفرايم ومناحم تلمي، مرجع سابق، ص ٢٨٥).
(١٠٣)Ben-Rafael, Eliezer, Op. Cit., (p. 238).
(١٠٤)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٦٩).
(١٠٥) إيلي بن رافائيل، "الإثنية، استيعاب وتغييرات سياسية في إسرائيل "، أبيريون، عدد ٨، شتاء ١٩٨٧/ ١٩٨٨، (ص ٥١)، [بالعبرية].
(١٠٦) موقع الكنيست(٢٠٠٣/١/٣٠م): www.knesset.gov.il .
(١٠٧) صحيفة هاآرتس الإسرائيلية(٢٠٠٣/١/٣٠م) www.haaretz.co.il .
(١٠٨) حزب كاديما: وترجمته إلى العربية (إلى الأمام) وهو حزب إسرائيلي تأسس في نوفمبر ٢٠٠٥ من قبل أرييل شارون بعيد انسحابه من حزب الليكود وقد انضم إليه العديد من أعضاء الكنيست من حزب الليكود وأحزاب أخرى. وبعد مرض شارون تولى قيادة الحزب ايهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي ومن بين قيادتها تسيي ليفني وشمعون بيريس. اشترك الحزب في الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية وحاز على ٢٩ مقعدا من أصل ١٢٠ مقعدًا في الكنيست وأصبح بذلك أكبر حزب في الكنيست.(انظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة: (http://ar.wikipedia.org/wiki/
(١٠٩) نقلاً عن صحيفة يديعوت أحرنوت:
http://my.ynet.co.il/pic/news/election_2006/all/all.htm
(١١٠) نقلاً عن صحيفة يديعوت أحرنوت:
http://go.ynet.co.il/electionSummery/default.asp?ID=11
(١١١) انظر:أحمد الشحات هيكل، "عمير بيرتس" والحراك السياسي ليهود المغرب في إسرائيل، مجلة القدس، عدد ٨٤، ديسمبر ٢٠٠٥، مركز الإعلام العربي، القاهرة، (ص ص ٧٧- ٨٦).

(١١٢)حنا هرتسوج، مرجع سابق، (ص ١٤٠، ١٤٣، ٢٠٩).
(١١٣) دافيد سيطون، مرجع سابق، (ص ١٥٩).
(١١٤)Ben-Rafael, Eliezer, Op. Cit., (p. 114).
(١١٥)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٥٦).
(١١٦)حنا هرتسوج، مرجع سابق، (ص ١٤٠).
(١١٧)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ص ٣٥٧-٣٥٨).
(١١٨)آهارون أبو حصيرا:ولد عام ١٩٣٨م في المغرب، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٩م. شغل منصب مدير بلدية الرملة منذ عام ١٩٧١م، وانتخب عضوًا للكنيست عام ١٩٧٣م، ويعد زعيمًا للطوائف الشرقية في حزب "المفدال".تقلد منصب وزير الأديان بعد انتخابات ١٩٧٧م. وفي أواخر عام ١٩٨٠م،وجهت إليه تهمة التلاعب بالأموال العامة وتلقي الرشوة، وحكم عليه بالسجن ٥١ شهرًا مع إيقاف التنفيذ وتغريمه مبلغًا ماليًا.(انظر: رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، ص ٣٣٦).
(١١٩) المرجع نفسه، (ص ١١٤).
(١٢٠)أرييه درعي: ولد في مكناس عام ١٩٥٩م، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٦٨م. تولى زعامة حزب شاس منذ عام ١٩٨٥م. وفي عام ١٩٩٩م، حكم عليه بالسجن لإدانته بتلقي رشاوى وخيانة الأمانة خلال توليه منصبي مدير عام وزارة الداخلية ثم وزيرها ١٩٨٥-١٩٩٠م؛ مما اجبره للتخلي عن زعامة الحزب عام ١٩٩٩م لإيلي يشاي المغربي الأصل أيضًا.
(١٢١)رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ص ١٩٢-١٩٣).
(١٢٢) نقلاً عن موقع الكنيست:
http://www.knesset.gov.il/faction/heb/FactionGovernment.asp
(١٢٣)رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، مرجع سابق،، (ص ص ١٩٥-١٩٦).
(124)دافيد ليفي: من مواليد الرباط بالمغرب عام ١٩٣٧، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٧، تقلد العديد من المناصب الوزارية، وكان عضوًا في الكنيست لأكثر من دورة برلمانية.
(125) عامير بيرتس: ولد في مدينة بوجار في المغرب سنة ١٩٥٢، هاجرت أسرته إلى إسرائيل وهو في الرابعة من عمره، وأقامت في النقب الغربي لعدة سنوات، ثم انتقلت بعدها إلى مستعمرة سديروت، وقد عانت أسرته من الفقر مثل معظم الأسر اليهودية الشرقية المقيمة في بلدات التطوير. خدم "عمير" في الجيش الإسرائيلي كضابط في كتيبة المظليين، وبتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٧٤ أصيب بجراح بليغة في مواجهه عسكريه في سيناء. فاز برئاسة مجلس بلدة سديروت وهو في الثلاثين من عمره لمدة خمس سنوات كممثل حزب العمل. ويشغل منصب عضو كنيست منذ عام ١٩٨٨ بصورة مستمرة. وفي عام ١٩٩٤ انتخب "عمير" كرئيس للقسم المركزي في الهستدروت قسم التنظيم المهني. وفي ديسمبر ١٩٩٥ انتخب "عمير" رئيسًا للهستدروت الجديدة وبعد ٣ سنوات انتخب مرة أخرى في انتخابات مباشرة لوظيفة رئيس الهستدروت بأغلبية كبيرة، وفي مايو ٢٠٠٢ انتخب لفترة خمس سنوات أخرى. كان "عمير بيرتس" من البارزين في معسكر السلام الإسرائيلي منذ أن كان رئيسًا لمجلس سديروت في الثمانينات، فقد أيد إقامة دوله فلسطينية، مستقلة. نظم التظاهرة الكبرى "النقب يغني للسلام" ومن هناك طالب بوجوب ترك غزة على الفور. كما وقف "عمير" ضد الاستثمار في المستوطنات على حساب الأحياء الفقيرة وبلدات التطوير. أسس في عام ١٩٩٩ حزب العمال "عام أحاد- شعب واحد"، الذي فاز بثلاث مقاعد في انتخابات الكنيست الـ ١٦، وبعد مرور سنه عاد "عمير" إلى حزب العمل، وبعد عودته إلى حزب العمل أسس حركة آدام (إنسان)، التي أخذت على عاتقها أن تقود فكر اشتراكي ديموقراطي

في إسرائيل من أجل تقدم المجتمع الإسرائيلي في مجال النمو والمساواة، وأصبح منذ عام ٢٠٠٥ وحتى عام ٢٠٠٧ رئيسًا لحزب العمل ووزيرًا للدفاع.

(126)سيلفان شالوم: من مواليد قابس في تونس عام ١٩٥٨، هاجرت أسرته إلى عام ١٩٥٩، شغل عددًا من المناصب الوزارية، أخرها منصب وزير الخارجية في حكومة شارون الثانية، وكان عضوًا في الكنيست لأكثر من دورة برلمانية ضمن صفوف حزب الليكود.

(127) مئير شطريت: من مواليد مدينة قصر السوق في المغرب عام ١٩٤٧، هاجر مع أسرته عام ١٩٥٧، وهو عضو كنيست من عام ١٩٩٢ و لأكثر من دورة برلمانية عن حزب الليكود، وتقلد العديد من الحقائب الوزارية.

(١٢٨) شلومو بن عامي:ولد في طنجة بالمغرب ١٩٤٣م، هاجر مع أسرته إلى إسرائيل عام ١٩٥٥م.درس في الجامعة العبرية وجامعة أكسفورد. انتخب عضوًا في الكنيست منذ عام ١٩٩٦م، وهو أحد قادة حزب العمل من اليهود الشرقيين، شغل في حكومة باراك عدة مناصب وزارية منها:وزير الأمن العام ثم وزير الخارجية. وهو أستاذ للتاريخ، وقد تولى من قبل منصب عميد كلية التاريخ في جامعة رامات أبيب.(انظر: أحمد خليفة وخالد عايد، مرجع سابق، ص ص ١١٥-١١٦).

(١٢٩)آري شفيط "محاور"، "مقابلة مع عضو الكنيست شلومو بن عامي (مقتطفات)"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨م، بيروت، (ص ١٤٤).

(١٣٠)عاموس عوز:ولد في القدس ١٩٣٩م، وهو يعد أشهر الأدباء الإسرائيليين الذين تميزوا بمكانتهم الأدبية على خريطة الأدب العبري المعاصر. تعود جذوره العائلية إلى أوديسا في روسيا وهو من عائلة كلاوزنر الأدبية.حصل على العديد من الجوائز الأدبية الإسرائيلية (مثل: جائزة برينر، وبيالك وإسرائيل في الأدب)والعالمية (مثل: جائزة ستيلار من جامعة بلتيمور بأمريكا وفرانكفورت للسلام).وعمل أستاذًا في أكثر من جامعة (مثل: اكسفورد، والعبرية، وكاليفورنيا، وبوسطن وبن جوريون). (انظر: عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر في أعمال عاموس عوز:دراسة تحليلية مقارنة بين كتاباته السياسية وبعض أعماله الأدبية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العبرية وآدابها،كلية الآداب،جامعة عين شمس، ١٩٩٩م، ص ص٢-٣٦).

(١٣١)رشاد عبد الله الشامي، "مظاهر التمييز الطائفي"، مجلة القدس، العدد ١٦، أبريل ٢٠٠٠م، القاهرة، (ص ٣٥-٣٦).

(١٣٢) عاموس عوز، من هنا وهناك في أرض إسرائيل في خريف ١٩٨٢، إصدار عام عوفيد، ١٩٨٨، (ص ٣٢).

(١٣٣)الحياة اللندنية، طبعة القاهرة، ٤ /١٩٩٩/٥م، (ص ٣).

(١٣٤)أندري أزولاي، مقدمة، في: محمد كنبيب، يهود المغرب ١٩١٢-١٩٤٨م، ترجمة: إدريس بنسعيد، تقديم: أندري أزولاي، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم ٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس،الرباط، ١٩٩٨م، (ص ١٢).

(١٣٥)جدعون ليفي، مرجع سابق، (ص ١١).

(١٣٦)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ٣٨٣).

(١٣٧)أمين المهدي، من ورقة للحوار " مقدمة "، في: سامي ميخائيل، رواية فيكتوريا، ترجمة: سمير نقاش، تقديم ومراجعة:رشاد عبد الله الشامي، مركز الدراسات والترجمة لحوض المتوسط، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، يونيو ١٩٩٥م، (ص ل).

(١٣٨)جدع جلادي، مرجع سابق، (ص ص ٣٨٣-٣٨٤).

(١٣٩)شاحاك: وهي اختصار عبري ترجمته (تحسين حياة الطائفة)، أسسها اليهود السفارديم في الأحياء الغربية من القدس عام ١٩٨٢م.[بزعامة دادا بن شطريت المغربي الأصل] تمركز نشاطها في حي عير جانيم وحي كريات مناحم، ٨٠% من سكان هذه الأحياء من المغرب العربي، وتطالب بضرورة توظيف الأموال في الأحياء الفقيرة لا في المستوطنات.(جدع جلادي، مرجع سابق، ص ٣٨١).

(١٤٠)لمزيد من التفاصيل انظر: المرجع نفسه، (ص ص ٣٨٦-٣٩٠، ٣٩٦-٣٩٧).

(١٤١)المرجع نفسه، (ص ٣٢٧).

(١٤٢) انظر: أحمد الشحات هيكل، القمع الثقافي لليهود السفارديم، مجلة مختارات إسـرائيلية، العـدد ١١٧، سبتمبر ٢٠٠٤، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسـة الأهـرام، القـاهرة، (ص ص ١٥٥-١٦٠).

(١٤٣)أفيفا أفيف، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق: محمد أحمد صالح، مراجعة: محمد محمود أبو غـدير، تقـديم وإشراف: محمد خليفة حسن، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، رقم ٦، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، (ص ٧٢).

(١٤٤) فيريد هارئيل، " المسرح في إسرائيل كاقتصاد خاص: دكتور جفريئيل بن سمحون في حوار مع دكتور فيريد هارئيل"، مجلة أبريون، عدد ٣، شتاء ١٩٨٤/١٩٨٥، (ص ٢٩)، [بالعبرية].

(١٤٥)أريبه ايلياف، "سقط الحساب"، في: إسرائيل الثانية المشكلة السفارادية، لمجموعة من الكتاب اليهود، ترجمة: فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨١م، (ص ٢٠).

(١٤٦)أفيفا أفيف، مرجع سابق، (ص ٧٢).

(١٤٧)بلفور حكاك "محاور"، "ليشاهدوا من وجه نظري"، مجلة أبريون، عدد ٣، شتاء ١٩٨٤/ ١٩٨٥، (ص ص ١٠- ١١)، [بالعبرية].

(١٤٨)فيريد هارئيل، مرجع سابق، (ص ٢٨).

(١٤٩) المرجع نفسه، (ص ٢٧).

(١٥٠) المرجع نفسه.

(١٥١) يديدا خلفون ستيلمان، مرجع سابق، (ص ٢٤).

(١٥٢) أريبه ايلياف، مرجع سابق، (ص ١٩).

(١٥٣) آري شفيط، مرجع سابق، (ص ص ١٤٣-١٤٤).

(١٥٤) إيلا حبيبة شوحط، اليهود الشرقيون في إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١١١).

(١٥٥)رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفـة، العـدد ١٠٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٨٦م، (ص ٩٦).

(١٥٦) إيلي بن رافائيل، مرجع سابق، (ص ٥٠).

(١٥٧)شالوم كوهين، مرجع سابق، (ص ٩١).

(١٥٨) أيل إيرليخ، "سلام سيدي الملك"، صحيفة هاآرتس، ملحق موساف هاآرتس، ١٩٨٦/٨/١، (ص ١١ ب)، [بالعبرية].

(١٥٩) المرجع نفسه، (ص ١١، ١٣).

(١٦٠)يورام بيلو، مرجع سابق، (ص ٤٦).

(١٦١) المرجع نفسه، (ص ص ٤٦-٤٧).

(١٦٢) سوزان السعيد، المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية: دراسة عن مولد أبو حصيرة بمحافظة البحيرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧م، (ص ١٦٦).

(١٦٣)يشكر بن عامي، زيارة الأضرحة في أوساط يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ١١١).

(١٦٤)يورام بيلو، مرجع سابق، (ص ص ٤٦-٤٧).

(١٦٥) صموئيل اتينجر، مرجع سابق، (ص ٣١٧).

(١٦٦)يشكر بن عامي، زيارة الأضرحة في أوساط يهود المغرب، مرجع سابق، (ص ١٢٠).

(١٦٧) يورام بيلو، مرجع سابق، (ص ص ٤٨-٤٩).

(١٦٨) المرجع نفسه، (ص ٤٩).

(١٦٩)المرجع نفسه، (٤٩-٥٠).

(١٧٠) يشكر بن عامي، زيارة الأضرحة في أوساط يهود المغرب، مرجع سابق،(ص ١٢٠).

(١٧١) إسرائيل أبو حصيرا: المعروف باسم بابا سالي، من ريساني عاصمة منطقة تافيلالت في المغرب، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٦٤م وكان في السبعين من عمره وبعد وصوله إلى إسرائيل استقر مع عائلته في نتيفوت بالقرب من بئر سبع وهناك رأس المدرسة التلمودية العليا وتحول منزله إلى مكان يحج إليه الناس ليتلقوا البركة، ويستشيرونه فيما يصيبهم من أمراض، و في التعاملات المالية.وعندما توفي إسرائيل أبو حصيرا عام ١٩٨٤م عن عمر يناهز الرابعة والتسعين تحول قبره، الذي أقيم خارج مدينة نتيفوت، إلى مزار عام (انظر:سوزان السعيد، المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، مرجع سابق، ص ص ١٢٧-١٢٩).

(١٧٢)المرجع نفسه ، (ص ١٢٩).

(١٧٣)يوسيف شطريت، مرجع سابق، (ص ١٣٩).

(١٧٤)انيس بن سيمون، مرجع سابق، (ص ١٨٣).

(١٧٥)سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مرجع سابق، (ص ٢٣٧).

(١٧٦)انظر: دانييل بن سيمون، "أبطال جان ساكر"، صحيفة هاآرتس، ملحق موساف هاآرتس، ١٩٩٧/٥/٢، (ص ٣ ب)، [بالعبرية].

(١٧٧)انظر:سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مرجع سابق، (ص ص ٢٣٨-٢٣٩).

(١٧٨)انظر: دانييل بن سيمون، مرجع سابق، (ص ٣ ب).

(١٧٩)أليكس واينجرود، مرجع سابق، (ص ١٧٦).

(١٨٠)انظر: سوزان السعيد، موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة، مرجع سابق، (ص ٢٤٠).

(١٨١)يديدا خلفون ستيلمان، مرجع سابق، (ص ٢٣).

(١٨٢)انظر:حسن فؤاد، صورة من قريب:"أرييه درعي زعيم الأتقياء ؟"، الأهرام، ملحق الجمعة ١٩٩٩/٥/٢٨م، (ص ٩).

(١٨٣) انظر: يوسي بر موحا، "القربان"، صحيفة هآرتس، ملحق موساف هاآرتس، ١٩٩٩/٣/٢٦، (ص ٥ ب)، [بالعبرية].

(١٨٤)يديدا خلفون ستيلمان، مرجع سابق، (ص ٥٠).

الخاتمة

في ضوء ما تقدم من استعراض الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي والثقافي ليهود المغرب خلال العصر الحديث، فقد تمكنت الدراسة من التوصل للعديد من النتائج، من أبرزها ما يلي:

١- ارتباط يهود المغرب الشديد بوطنهم الأم " المغرب "، واعتزازهم بهويتهم وتراثهم وثقافتهم المغربية، وحرصهم الدءوب على اصطحاب الكثير من الأنماط الحياتية اليهودية المغربية معهم إلى إسرائيل، ويرجع ذلك إلى:

أولاً) علاقتهم الإيجابية بالماضي المغربي

(أ) **الجانب الاجتماعي**: أثبتت الدراسة التحام يهود المغرب بكافة عناصر المجتمع المغربي؛ حيث لم يتركزوا داخل أحياء خاصة بهم " الملاح "، بل أقاموا خارج أسوار هذا الحي اليهودي وكان لهم مطلق الحرية في الإقامة في أي مكان شاءوا.

(ب) **الجانب الاقتصادي**: أوضحت الدراسة أن يهود المغرب لعبوا دورًا فعالاً في الحياة الاقتصادية، وشاركوا في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي بحرية ودون أية قيود، ولم يصدر أي قرار يمنع اليهود من مزاولة مهنة أو حرفة أو الالتحاق بأية وظيفة. كما شاركت المرأة اليهودية الرجل في مختلف المهن والحرف يدًا بيد، ولم يمنع المجتمع المغربي المرأة اليهودية من ممارسة حقوقها في الحياة.

(ج) **الجانب السياسي**: أكدت الدراسة تمتع يهود المغرب بحق المواطنة المغربية الكاملة، وأنهم كانوا يعاملون بوصفهم مواطنين مغاربة من الدرجة الأولى، لا يختلفون عن بقية السكان، وأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج الوطني المغربي، كما حظوا بحماية البلاط الملكي المغربي في مختلف العصور.

(د) **الجانب الثقافي**: امتلك يهود المغرب تراثًا ثقافيًا ثريًا غنيًا بعناصره الفلكلورية مشبعًا بالبيئة المغربية ذات الثقافة العربية الإسلامية، واحتفلوا بأعيادهم المختلفة بشكل علني وبحرية مطلقة. وقد كانت أغلب عاداتهم وسلوكياتهم الثقافية تعبر عن الرغبة في الاندماج في المجتمع المغربي والتواصل مع سائر السكان المسلمين، ويبرز ذلك في الاحتفال بعيد الميمونة وزيارة الأضرحة المنتشرة في مختلف ربوع المغرب.

ثانيًا) رد فعل وهروب من سلبية النظام الإسرائيلي

تمثلت سلبية النظام الإسرائيلي تجاه يهود المغرب في جوانب عديدة من أبرزها ما يلي:

(أ) ردة ثقافية وانتكاسة اجتماعية: منذ مطلع القرن العشرين، بدأ اليهود في المغرب يخطون خطواتهم الأولى نحو مسيرة التطوير، والانتقال من المجتمع القروي الغارق في التقاليد القديمة إلى مجتمع المدينة والحياة الحديثة، وبدأت تتكون طبقات مدنية متحضرة شاركت هي ومختلف قطاعات يهود المغرب في مختلف الأنشطة الحياتية داخل المجتمع المغربي، ولكن هذه المسيرة تم وأدها على يد أجهزة التهجير الصهيونية، التي أخذت تدفع اليهود للخروج من المغرب تحت دعاوى واهية لإنقاذهم من حياة الاضطهاد التي سيلاقونها في المغرب بعد رحيل المستعمر الفرنسي، وفي إسرائيل حدثت لهم ردة ثقافية وانتكاسة اجتماعية؛ حيث أعيدوا ثانية إلى القرية ومناطق التطوير التي تفتقد لأية أسس تنموية.

(ب) القضاء على روح الإبداع والمبادرة: شرعت الجهات المسئولة عن استيعاب المهاجرين اليهود المغاربة، وغيرهم من اليهود السفاراديم، باسم التطوير والرغبة في تحقيق مبدأ "مزج الشتاتات" إلى قهر ثقافة وتراث يهود الشرق، وأبعدت كل شيء شرقي حتى لو كان إيجابيًا، وحولته إلى شيء سلبي يجلب الخجل والخزي، بل ودفعت هذه الممارسات البعض منهم لكراهية الذات، وحولت المؤسسة الإشكنازية أبناء الطوائف السفارادية لمجرد أفراد يقفون عند حد التلقي والتقليد، ولم تتح أمامهم أية فرصة للمبادرة والإبداع. وهكذا طبق الإشكناز مسيرة التطوير التي نقلوها من مجتمعاتهم الأوروبية، ولكن بصور معكوسة، فبدلاً من أن تدفع السفاراديم للانخراط في الحياة بمختلف جوانبها والمشاركة فيها بدور فعال، نجد أنها دفعتهم لهامش المجتمع.

(ج) التحامل ضد يهود المغرب: عان يهود المغرب داخل المجتمع الإسرائيلي من سياسة التحامل والآراء المسبقة، التي وصمتهم بالإجرام والعدوانية والجهل، وتعاملت معهم معظم الدوائر المختلفة داخل المجتمع الإسرائيلي على هذا الأساس. وتناست معظم التحليلات الاجتماعية والنفسية أن الشخصية اليهودية المغربية قد اكتسبت تلك الأمراض الاجتماعية والنفسية: مثل، انتشار الدعارة، والإدمان، والإجرام، والعنف والعدوانية من المجتمع الإسرائيلي نفسه، بدليل أن هذه النواقص لم يكن يعاني منها اليهود في المغرب.

(د) فرض الوصاية الجبرية: اتسمت جميع أعمال الدولة بالموقف الوصائي: فجميع الخدمات الاجتماعية والاقتصادية التي تقدم لهم لا تعد من التزامات الدولة نحو مواطنيها، وإنما

حسنات ترمى إليهم، بغية رفع مستوى هذه المادة الإنسانية إلى مستوى أعلى؛ لذلك وجب على يهود المغرب التقبل وعن طيب خاطر أية تغييرات تحدث لهم، حتى لو كانت لا تتوافق مع مجتمعهم.

٢- وجدت الحركة الصهيونية في حالة التدين الكبير في صفوف اليهود المغاربة أرضًا خصبة لبث فكرها وجذب اليهود المغاربة للالتحاق بصفوفها أو اعتناق مبادئها، وقد اختلفت توجهات الحركة الصهيونية نحو يهود المغرب عن توجهاتها نحو يهود شرق أوروبا، فالهدف الرئيس للحركة الصهيونية من انخراط يهود المغرب في النشاط الصهيوني، يتمثل في الحصول على دعمهم المالي للنشاط الصهيوني في أوروبا من جانب، والحصول على دعمهم المعنوي والمشاركة في المؤتمرات الصهيونية من جانب آخر؛ وذلك لتأكيد عالمية الفكر الصهيوني وشموليته لكل الطوائف اليهودية.

٣- نظر أغلبية يهود المغرب للنشاط الصهيوني من منظور ديني بحت وفسروا الفكر الصهيوني بأسلوب ممزوج بالورع الديني والتقاليد المسيحانية، وتعاملوا مع مسألة الهجرة إلى فلسطين على أنها واجب ديني. ولذلك جاءت أساليب استجابتهم للنشاط الصهيوني متوافقة مع هذا المفهوم الديني، تتنوع ما بين شراء الشيكل الصهيوني، وجمع التبرعات وتنظيم حملات دعائية لترويج أسهم الاستيطان الصهيوني.

٤- لم تكن الهجرة اليهودية بأي حال من الأحوال هجرة لأسباب صهيونية، بل كانت هجرة أزمة بحثًا عن حياة أفضل، وخوفًا من مستقبل غامض في ظل دولة عربية مستقلة وصراع ضاري بين العرب واليهود على فلسطين، وانصياعًا وراء الادعاءات التي روجها المبعوثون الصهيونيون؛ وعلى ذلك يمكن اعتبار هجرة يهود المغرب إلى إسرائيل بمثابة خلاص اجتماعي/اقتصادي- مسيحاني.

٥- تميزت الهجرة اليهودية من المغرب لإسرائيل بأنها هجرة بلا صفوة؛ لأنها خلت من أبناء النخبة اليهودية المغربية، سواء على المستوي الثقافي والاقتصادي والروحي، حيث اتجهت إلى إسرائيل جموع المعدمين من يهود المغرب – وهم أغلبية – مما أدى لتعرض هؤلاء المهاجرين حتى نهاية ستينات القرن العشرين لصعوبات قاسية خلال عمليات الاستيعاب، ولم يتمكنوا من أن يكون لهم دور بارز داخل المجتمع الإسرائيلي إلا مع بداية العقد السابع من القرن العشرين بعد أن نشأت بينهم صفوة جديدة وبعد وصول الصفوة الاقتصادية والثقافية اليهودية المغربية من الخارج إلى إسرائيل.

٦- يشير ظهور بعض الممارسات الفلكلورية المحلية المرتبطة بالتراث اليهودي المغربي على الساحة الثقافية الإسرائيلية، مثل الاحتفال بعيد الميمونة وزيارة الأضرحة، إلى فشل الفكرة الصهيونية في تحقيق معظم أهدافها: فلم تتمكن من إقامة "دولة يهودية" ولكنها أقامت "دولة لليهود"، ولم تنجح في تكوين ثقافة يهودية خاصة أو أن يكون لها طابع فلكلوري واحد بل أصبح لديها ثقافات مختلفة تختلف من طائفة لأخرى، ويشير أيضًا إلى رغبة اليهود المغاربة في التعبير عن ذاتهم وإثبات هويتهم السفارادية في مجتمع حاول فرض ثقافة غربية علمانية عليهم ولم يحترم هويتهم الثقافية.

٧- لم تتمكن الحركة الصهيونية من حل المشكلة اليهودية وتغيير المصير اليهودي الذي يتسم بالعزلة والشتات وكراهية الآخرين لهم، بل أدت إلى تفاقم المشكلة وتعقدها، حيث تحولت هذه المشاعر إلى سمات رئيسة مميزة للشخصية الإسرائيلية ذات الأصول اليهودية السفارادية، ولم يقتصر الأمر على كراهية الدول المحيطة لإسرائيل، بل أيضًا شمل كراهية اليهود السفاراديم لليهود الإشكنازيم. وقد عبر الكاتب الإسرائيلي "مردخاي بر أون" عن فشل الصهيونية بقوله: " كان الحلم الصهيوني يطمح في تجمع إقليمي لليهود في فلسطين كشعب واحد وليس لتجميع إقليمي لقبائل مختلفة، لا تلبث عند وصولها أن تتصارع مع بعضها بعضًا...".

٨- أوضحت الدراسة أن حالة الحرب والتوتر والإحساس بعدم الأمن ترص الصفوف داخل المجتمع الإسرائيلي، وتسد الفجوات الاقتصادية والاجتماعية المتنامية بين الأقلية الحاكمة "الإشكناز" والأكثرية المحكومة "السفاراد"، وبالتالي فإن حالة الهدوء والسلام تحدث نوعًا من التصدع الداخلي وتساعد على إبراز قضايا التمييز والقهر الثقافي على السطح، وتبدأ عناصر المجتمع الإسرائيلي في التناحر فيما بينها(بدليل أحداث وادي الصليب في عام ١٩٥٩م، ومظاهرات الفهود السود بدءًا من عام ١٩٧١م وحادثة مقتل يتسحاق رابين في ١٩٩٥/١١/٥م على يد يجآل عامير)، وهذه ليست مجرد دعوة للسلام مع إسرائيل بقدر ما هي محاولة لفهم ومعرفة الخط السياسي الذي تسير عليه إسرائيل، كما أن هذا يساعد على فهم أسباب انتهاج إسرائيل لسياسة التسويف والمماطلة وعدم تسليمها بالسلام الشامل.

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾

* * * * * *

﴿ الفهرست ﴾

تقديم.. ٣

مقدمة.. ٥

الفصل الأول: بداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا.............. ٧

الفصل الثاني: اليهود في المغرب خلال القرن العشرين............. ١٩

الفصل الثالث: النشاط الصهيوني في المغرب (١٩٠٠-١٩٦٤م) ... ٦٣

الفصل الرابع: يهود المغرب في إسرائيل.......................... ١٢١

الخاتمة.. ١٨١

تعريف بالمؤلف

- أحمد محمد الشحات عبد المنعم هيكل
- مدرس بقسم اللغات الشرقية شعبة اللغة العبرية وآدابها كلية الآداب جامعة حلوان

- من أبرز أعماله:
  - عيد الحرية واستعباد العمال الأجانب في إسرائيل، مجلة القدس، عدد ٦٢، فبراير ٢٠٠٤، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص ص ٩٠- ٩٨.
  - المشهد الإسرائيلي: الواقع الدموي...وأوهام التوبة، مجلة القدس، عدد ٨٣، نوفمبر ٢٠٠٥، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص ص ٨٣-٨٩.
  - صورة القدس في الأدب الإسرائيلي، مجلة القدس، عدد ٨٥، يناير ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص ص ٨٣-٩٠.
  - برنارد لويس عراب الإدارة الأمريكية، مجلة القدس، عدد ٨٩، مايو ٢٠٠٦، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص ص ٤٣-٤٩.
  - ترجمة كتاب أفراهام إيفين شوشان "خلاصة قواعد اللغة العبرية" بالاشتراك مع آخرين، إصدار دار رواج للنشر والطباعة، القاهرة ٢٠٠٦.